جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرأة الافرنجية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية إبان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩١هـ/١٠٩٦-١٢٩١م)

أطروحة تقدمت بها الطالبة :

ليلى سلمان ماضي العامري

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية وهي جزء من نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الاسلامي

اشراف :

أ.م.د. سلوى حسن عيدان

١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝

صدق الله العلي العظيم . النجم : ٣٩ ، ٤٠ .

الاهداء

الى روح والدي ...

الى روح والدتي ...

حبا ووفاء ...

الى رفيق دربي زوجي الغالي ...

الى اولادي وفلذات كبدي ...

الى اختي وصديقتي الغالية دنيا ...

الباحثة

شكر وامتنان

لا يسعني بعد ان انهيت جهدي المتواضع هذا ، ان اتقدم بوافر الشكر والامتنان الى من ادنى مجلسه مني تواضعا الى من كانت ملاحظاته ظلا احتمي به استاذي المشرف على هذه الأطروحة (الاستاذ الدكتور حسين كاظم القطب) والذي كان له الفضل الكبير في متابعة هذه الدراسة اول بأول ، اذ بفضله سجل عنوان هذه الأطروحة . وكذلك اتقدم بالشكر الى مشرفتي الثانية (الاستاذ المساعد الدكتور سلوى حسن عيدان)التي اتمت انجاز العمل

والشكر موصول لأساتذتي في السنة التحضرية جميعهم دون استثناء على جهودهم التي بذلوها والتي كانت منارا لي نورت دربي فكان لتواضعهم سببا كبيرا في اجتياز مرحلتي الدراسية والشكر موصول الى اساتذتي وزملائي في قسم التاريخ .

كل الشكر والتقدير لمن مد يد العون لي سواء من بعيد او من قريب ، والحمد لله رب العالمين .

كما اخص بالشكر زميلاتي العزيزات في قسم التاريخ وكل الشكر والتقدير لمن مد يد العون لي سواء من بعيد او قريب والحمد لله رب العالمين

الباحثة

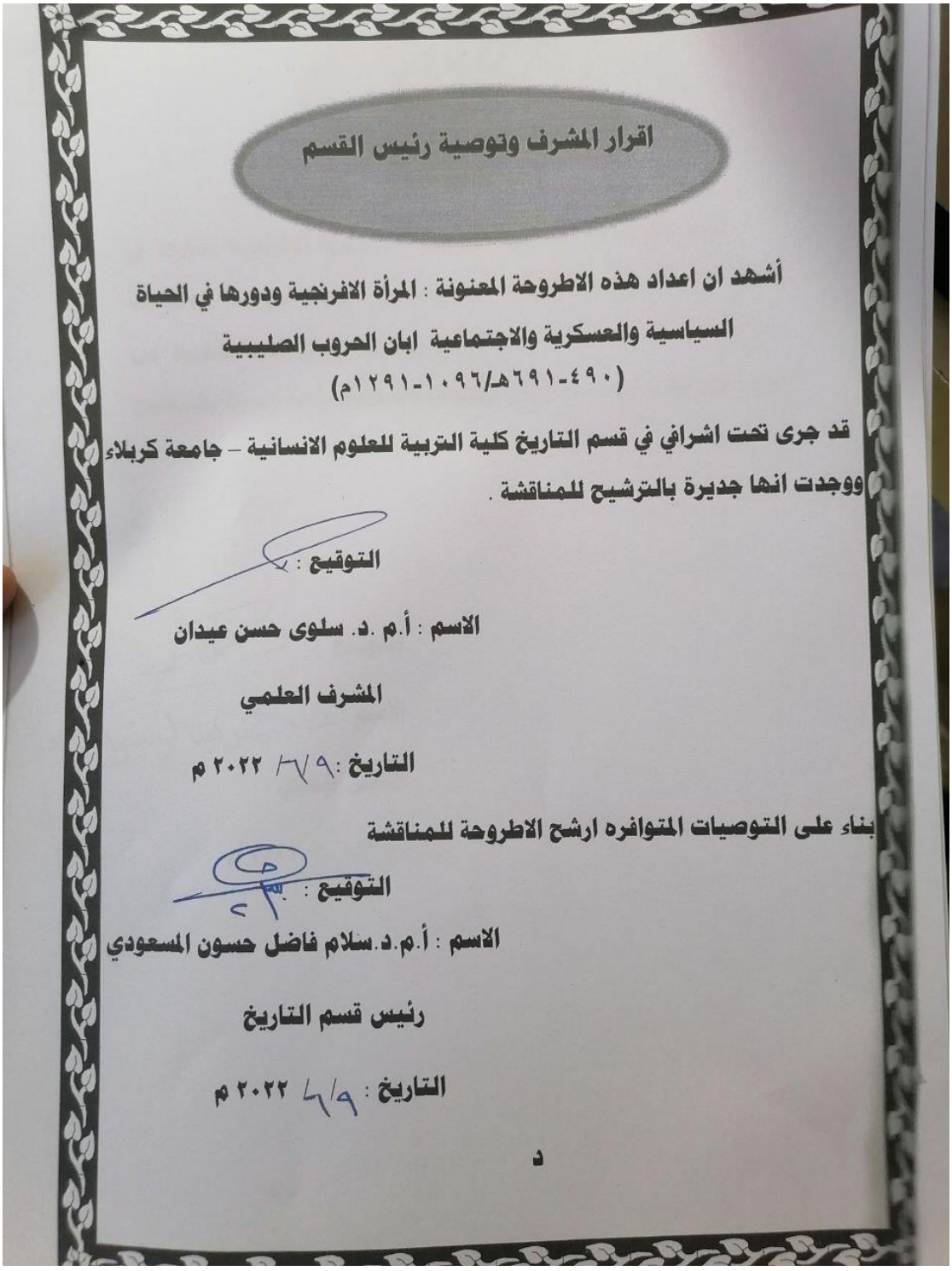

اقرار المشرف وتوصية رئيس القسم

أشهد ان اعداد هذه الاطروحة المعنونة : المرأة الافرنجية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية ابان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩١هـ/١٠٩٦-١٢٩١م)

قد جرى تحت اشرافي في قسم التاريخ كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة كربلاء ووجدت انها جديرة بالترشيح للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : أ.م .د. سلوى حسن عيدان

المشرف العلمي

التاريخ : ٩/ ٧/ ٢٠٢٢ م

بناء على التوصيات المتوافره ارشح الاطروحة للمناقشة

التوقيع :

الاسم : أ.م.د.سلام فاضل حسون المسعودي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ : ٩/ ٧/ ٢٠٢٢ م

د

اقرار الخبير اللغوي

أشهد ان هذه الاطروحة المعنونة : ((المرأة الافرنجية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية إبان الحروب الصليبية ((٤٩٠-٦٩١ هـ/١٠٩٦-١٢٩١م)) قد تم قراءتُها من الناحية اللغوية من قبلي واجدها خالية من الاخطاء اللغوية والنحوية وانها جديرة بالترشيح للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : د. محمد عبد الرسول عباس

الخبير اللغوي

التاريخ : ٢٤/٦/ ٢٠٢٢ م

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، إننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة (المرأة الافرنجية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية إبان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩١ هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) وقد ناقشنا الطالبة (ليلى سلمان ماضي) في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/٥م المصادف يوم الأربعاء و نعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي بتقدير (جيد جدا).

التوقيع
رئيس لجنة المناقشة
أ.د. عمار محمد يونس
التاريخ/ ١٣ /١١

التوقيع
عضو لجنة المناقشة
أ.د. حيدر محمد عبدالله
التاريخ/ ١٣/١١/٢٠٢٢

التوقيع
عضو لجنة المناقشة
أ..د. عقيل عبد الله ياسين
التاريخ/ ١٣ /١١

التوقيع
عضو لجنة المناقشة
أ.م.د محمد مهدي علي
التاريخ/٧ /١١

التوقيع
عضو لجنة المناقشة
أ.م.د محمد عبيس حميد
التاريخ/٩/١١

التوقيع
عضو لجنة المناقشة ومشرفاً
أ.م .د سلوى حسن عيدان
التاريخ/٦ /١١

مصادقة مجلس الكلية

صادق مجلس كلية التربية للاختصاصات الانسانية/جامعة كربلاء على اقرار لجنة المناقشة.

التوقيع
أ.د. حسن حبيب الكريطي
عميد كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء
التاريخ ١٣/١٠/٢٠٢٢

الملخص:

كانت الحروب الصليبية إحدى حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب طوال قرنين كاملين منذ أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد أعدَّ الأوروبيون كل ما في استطاعتهم من قوة وعتاد وبشر، مُتسلِّحين بصكوك الغفران ورعاية الكنيسة لكل المخطئين، مؤمِّلين إقامة الفردوس الأرضي في بلاد الشام حيث منطلق المسيح والمسيحية وقد أشارت المصادر والنصوص التاريخية أن المرأة الصليبية في فترة العصور الوسطى شاركت في الحروب الصليبية ، إما عن طريق القتال أو الترفية عن الجند أو قيامها بمراسلة أهم الملوك والأمراء الصليبيين الذين كان لهم دوراً كبيراً في المحافظة على عرش مملكة بيت المقدس ، والتصدي لمحاولات الصليبين لاستردادها . وتميزت تلك الدراسة بسرد أشهر الزيجات السياسية بين الصليبيين في الشرق ،والتي كانت من ضمن العوامل المساعدة على ترسيخ أقدام المرأة الإفرنجية في مملكة بيت المقدس وباقي الإمارات الصليبية ،كملكة ووريثة للعرش . كما وضحت الدراسة صورة خاصة عن المرأة الصليبية ومدى تأثرها بالحياة في الشرق ،وذلك من خلال العادات والتقاليد الإسلامية ، وظهر هذا التأثير واضح في عدة نواحي ، منها

النظافة الشخصية مثال على ذلك أن الصليبيون كانوا معتادين على غسل ملابسهم بمياه البحر، ولم يعرفوا الصابون إلا بعد قدومهم للمشرق الإسلامي، ومن ناحية الطعام والشراب والملبس و حفلات الزفاف وغيرها فقد كانت الطبقات الراقية تستأجر الطاهيات الشرقيات إعجاباً بطريقة طهيهن . فتعلمن طريقة عمل الفطائر والمعجنات الأخرى و تعرفن على البهارات التي تستخدمها الشرقيات في الطهي وبعضهن امتنعن عن أكل لحم الخنازير تشبها بالمسلمين ،أما بالنسبة للمشروبات فاصطنعن منها المعطرة والمثلجة والمحلاة ، ثم تأثيرها على المرأة الشرقية سواء كان تأثير سلبياً أم ايجابياً بيد أن ابن جبير كان ممن التفت إلى ولع فريق من النساء الصليبيات والفرنجيات بتقليد النساء المسلمات في التزيّين والتنقُّب والتحلِّي والتخضُّب والتعطُّر.

المقدمة

تناولت الدراسة موضوع المرأة الإفرنجية خلال الحروب الصليبية لأنها كانت من أولى الجموع التي حرصت على القدوم إلى الشرق ، فقد كان لها دوراً بارزاً أثر على الحملات الصليبية تأثيراً واضحاً.ويبدو أن طبيعة الأوروبيات وما نعمن به من حرية هو الذي ساهم في إيجاد نوعية معينة من النساء اتصفن بالقوة والشجاعة ،كما أن معظمهن من الطبقات الطامحة لتحقيق ثراء يرفع من وضعهن الاقتصادي المرير، لذلك كان الشرق لهن بمثابة الفردوس الموعود الذي يحلمن به. فكان من الضروري التعرف على أحوال المرأة الإفرنجية في عصر الحروب الصليبية سواء كانت سياسية أودينية أوإجتماعية ، لذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على موقف المرأة الإفرنجية من الدعاية الصليبية ،لمشاركتها في الحملات العسكرية إلى بلاد الشام وما تعرضت له من معاناة . مبينة كيفية وصول المرأة الإفرنجية إلى السلطة في الشرق والظروف التي عاشتها والمصاعب التي واجهتها .والكشف عن دور المرأة ومكانتها في ذلك المجتمع الفر نجي في الشرق على الرغم من قلة المعلومات المتاحة حول ذلك إلا أن الباحثة حاولت جهدها للوصول لحقائق الأمور وتحليل المعلومات التاريخية القليلة التي وردت في المصادر حول المرأة الإفرنجية. وقد أشارت المصادر والنصوص التاريخية أن المرأة الصليبية في فترة العصور الوسطى شاركت في الحروب الصليبية ، إما عن طريق القتال أو الترفية عن الجند أو قيامها بمراسلة أهم الملوك والأمراء الصليبيين الذين كان لهم دوراً كبيراً في المحافظة على عرش مملكة بيت المقدس ، والتصدي لمحاولات الصليبين لاستردادها . وتميزت تلك الدراسة بسرد أشهر الزيجات السياسية بين

الصليبيين في الشرق ،والتي كانت من ضمن العوامل المساعدة على ترسيخ أقدام المرأة الإفرنجية في مملكة بيت المقدس وباقي الإمارات الصليبية ،كملكة ووريثة للعرش . كما وضحت الدراسة صورة خاصة عن المرأة الصليبية ومدى تأثرها بالحياة في الشرق ،وذلك من خلال العادات والتقاليد الإسلامية ، وظهر هذا التأثير واضح في عدة نواحي ، منها النظافة الشخصية مثال على ذلك أن الصليبيون كانوا معتادين على غسل ملابسهم بمياه البحر، ولم يعرفوا الصابون إلا بعد قدومهم للمشرق الإسلامي، ومن ناحية الطعام والشراب والملبس و حفلات الزفاف وغيرها فقد كانت الطبقات الراقية تستأجر الطاهيات الشرقيات إعجاباً بطريقة طهيهن . فتعلمن طريقة عمل الفطائر والمعجنات الأخرى و تعرفن على البهارات التي تستخدمها الشرقيات في الطهي وبعضهن امتنعن عن أكل لحم الخنازير تشبها بالمسلمين ،أما بالنسبة للمشروبات فاصطنعن منها المعطرة والمثلجة والمحلاة ، ثم تأثيرها على المرأة الشرقية سواء كان تأثير سلبياً أم ايجابياً .

ان الذي دفعنا للغوص في هذه الدراسة هو التاريخ الذي سجلته المصادر الاوربية عن المرأة ونشاطها والذي تمحور في جانبين الجانب الاول نشاط النساء الاميرات والحاكمات والجانب الثاني نشاط النساء من الطبقة العامة ، ومهما يكن من امر فقد انبرينا للوقوف على سلوك المرأة الصليبية ابان الحروب الصليبية ، لذا جاء العنوان " المرأة الإفرنجية ودورها في الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية أبان الحروب الصليبية " ومما دفعنا لدراسة الموضوع اننا لم نجد دراسة اختصت بالمرأة الاوربية وتتبع نشاطها بشكل تفصيلي وتحليلي ، فمما سبقنا وكان اقرب الدراسات لموضوعنا دراسة بعنوان : " دور المرأة ومكانتها زمن الصراع العربي الافرنجي

للباحثة سمر محمد ابو سليمة من الجامعة الاسلامية في غزة " اذا ان الباحثة كانت قد درست دور المرأة ليس في بلاد الشام فحسب بل في كل الامصار الاسلامية زمن الحروب الصليبية وتعدت في بعض فصولها زمن الحروب الصليبية ، وكذلك فهي لم تختص بالمرأة الصليبية فحسب بل حتى بنشاط المرأة المسلمة ، فضلا عن انها لم تقف بشكل تحليلي وتفصيلي عند اراء المؤرخين ولاسيما المعاصرين للحدث لتنقل آراؤهم في اثر المرأة الاوربية الامر الذي دفعنا للتخصص في دراسة المرأة الصليبية واثرها زمن الحروب الصليبية .

وانسجاما ومنهج البحث العلمي فقد قسمنا دراستنا هذه على تمهيد ومقدمة واربعة فصول تلتها خاتمة .

تضمن التمهيد دراسة لأثر المرأة الاوربية قبيل الحروب الصليبية ولاسيما في المجتمع الاوربي ، وكيف كانت تعمل لغرض قوتها ليل نهار ، وجاء الفصل الاول تحت عنوان : " الاثر السياسي للمرأة ابان الحروب الصليبية " والذي قسم بدوره على اربعة مباحث : الاول عالج اثر المصاهرات في دور المرأة السياسي والمبحث الثاني عالج النظام الاقطاعي وعلاقته بدور المرأة السياسي ، وجاء المبحث الثالث ليعالج اثر المرأة في مملكة بيت المقدس ، وكل المباحث سابقة الذكر تكلمت عن اثر المرأة الاوربية ، الا المبحث الرابع فقد جاء ليظهر اثر المرأة المسلمة زمن الصراع الافرنجي الاسلامي ، وذلك لغرض المقارنة والوقوف على الفرق بين الاثرين .

امـا الفصـل الثـاني فكـان تحـت عنـوان " الحـراك العسـكري للمـرأة الصـليبية " وقسـم بـدوره علـى خمسـة مباحـث الاول : بعنـوان " تقيـيم المصـادر الاجنبيـة والعربيـة لتواجـد المـرأة الصـليبية العسـكري " وكـان هـذا المبحـث بمثابـة الكاشـف لتقـيم المصـادر الاوربيـة لمشـاركة المـرأة فـي السياسـية او بقيـة الجوانـب الاخـرى ، وقـد فصـلنا فيـه القـول وتطرقنـا لـدور المصـادر المعاصـرة للحـدث ومـا قالتـه عـن اثـر المـرأة ومشـاركتها فضـلا عـن اسـتعانتنا بـبعض المراجـع الحديثـة التـي تكلمـت عـن اثـر المـرأة وكيـف قيمـت مشـاركتها . وجـاء المبحـث الثـاني ليعـرض اثـر الملكـة ميسـلندا وحراكهـا العسـكري ، امـا المبحـث الثالـث فقـد خصـص لـدور الاميـرة الـيس فـي الحـراك العسـكري ، فيمـا جـاء المبحـث الرابـع ليظهـر دور الاميـرة كونسـتانس فـي الاحـداث العسـكرية ، امـا المبحـث الخـامس فقـد تطـرق لمشـاركة عامـة النسـاء الصـليبيات فـي الاحـداث العسكرية .

وقـد شـكل الفصـل الثالـث لبنـة اساسـية مهمـه مـن هـذه الدراسـة فقـد تطـرق لأثـر المـرأة الصـليبية فـي الجانـب الاجتمـاعي فقـد شـمل علـى اظهـار الـدور الاجتمـاعي للمـرأة الافرنجيـة ابـان الحـروب الصـليبية " وقـد قسـم هـو الاخـر علـى مبحثـين الاول : ركـز علـى الانحـراف الاخلاقـي للمـرأة الصـليبية واثـره فـي بـلاد الشـام ، امـا المبحـث الثـاني فجـاء ليظهـر الاثـار الاجتماعيـة للحـروب الصليبية على المرأة الصليبية .

امـا الفصـل الرابـع والاخيـر فقـد خصـص لأبـرز الاثـر الثقـافي للمـرأة وتأثرهـا بـالمجتمع العربـي ، وقـد وقـع فـي سـتة مباحـث الاول : عـالج نصـيب المـرأة مـن التعلـيم فـي العصـور الوسـطى ، والثـاني جـاء تحـت عنـوان اثـر العلمـاء فـي حـث النـاس وابعـادهم عـن الرذيلـة ، وجـاء الثالـث تحـت عنـوان :

تـأثر المـرأة الصـليبية بثقافـات المجتمـع العربـي ، اذ عكـس هـذا المبحـث كيـف تـأثرت المـرأة الافرنجيـة بثقافـات المجتمـع العربـي الاسـلامي مـن المأكـل والمشـرب وغيـر ذلـك ، امـا المبحـث الرابـع فجـاء تحـت عنـوان : أهـم المـدراس التـي اقيمـت زمـن الحـروب الصـليبية ، وهنـا لابـد مـن ان نعطـي مسـاحة مهمـه عـن التسـاؤل الـذي ربمـا يـأتي عـن سـبب خـروج الدراسـة عـن هيكليتهـا وتبنيهـا طروحـات ربمـا يجـد مـن يقرأهـا انهـا بعيـده عـن الفرضـية التـي جـاءت بهـا الا وهـي التركيـز علـى المـرأة الافرنجيـة اذن كيـف شـمل هـذا المبحـث والـذي بعـده علـى نسـاء غيـر اوربيـات او بـالأحرى نشـاط للنسـاء العربيـات ؟

فيكـون الجـواب هنـا : ان المـادة العلميـة التـي تضـمنتها المصـادر التـي رجعنـا اليهـا يكـاد الأثـر العلمـي للمـرأة الصـليبية منعـدما فيهـا ، اذ ركـزت علـى الجانـب السياسـي والعسـكري دون غيـره ، فلجأنـا الـى اظهـار اثـر النسـاء العربيـات او قـل المسـلمات لغـرض معرفـة اثـر المـرأة بصـورة عامـة ؛ امـا المبحـث الخـامس فهـو بعنـوان : **"ملامـح الحركـة العلميـة فـي العصـر الايـوبي "** ، وجـاء المبحـث السـادس بعنـوان : **نمـاذج مـن الاثـر الثقـافي للمـرأة بعـد الحروب الصليبية**

هذه الدراسة شأنها شأن غيرها من الدراسات الأكاديمية، قد اعتمدت عددا من المصادر والمراجع والبحوث الحديثة، والتي توزعت في ميادين مختلفة تاريخية وأدبية وجغرافية، فضلا عن كتب التراجم واللغة والحديث التي يمكن أن يجد فيها الباحث إشارات هامة ومفيدة عن دور المرأة سياسيا واجتماعيا وثقافيا ومكانتها في المجتمع خلال فترة الحروب الفرنجية (الصليبية) من خلالها يمكن رسم صورة

واضحة للمرأة في تلك الحقبة التاريخيةوفيما يلي عرض وتحليل موجز لبعضها ([1]) من خلال مؤلفيها :

أولا - المصادر العربية:

أ- المصادر التاريخية:

١- ابن القلانسي ([2]) (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ." ذيل تاريخ دمشق" وهو كتاب مختص بمدينة دمشق، جمع مؤلفه أحداثها السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى وفاته وقد استفدت منه في توضيح دور المرأة لتدبير الملك في مدينة دمشق في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، وهو كتاب يجمع السياسة والاقتصاد والحالة الاجتماعية .

٢- ابن عساكر ([3]) (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) . في كتابه :" تاريخ مدينة دمشق " وهو كتاب واسع ومتخصص بمدينة دمشق، فقد استعرض تاريخ دمشق، وما حل بها من

---

[1] وقد نهجنا أسلوب سنة الوفاة للمؤلف في ترتيبها .

[2] ابن القلانسي، هو أبو يعلي حمزة بن راشد التميمي الدمشقي، ولد سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩م وقد اهتم بدراسة العلوم الدينية والأدبية وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء في مدينة دمشق، و أصبح رئيسا للديوان، وكان دقيقا وموضوعيا في كل ما تطرق إليه في كتابه، وليس من شك في رئاسته لديوان الإنشاء جعلته مطلعا على كافة الأمور والأحداث ومكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية، ومعظم كتب التراجم التي تحدثت عن ابن القلانسي أتت إلى ذكر نشاطاته وسلوكه وصفاته ، سمع من عز الدين أبي القاسم بن عساكر وغيره، وكان يصاحب الشيخ تاج الدين الكندي ملازما له، وانتفع به وكان كيسا متواضعا ، وكانت أسرة ابن القلانسي من أكبر اسر دمشق وأعظمها مكانة، وقد احتفظت أسرته بمكانة مرموقة في دمشق لعدة قرون، توفي في شهر رمضان ودفن بجبل قاسيون. أبوشامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١٤٤ الذهبي، سير، ج ٢٠ ، ص. ٣٦١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨١ .

[3] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الإمام المحدث البارع الحافظ المتقن الضابط ذو العلم الواسع شيخ الإسلام. ومحدث الشام، كان محدث زمانه ومن أعيان الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث واشتهر به، وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره، رحل وطوف، وجاب البلاد ولقي المشايخ، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة، وكان أبو القاسم المذكور حافظة دينا جمع بين معرفة المتون والأسانيد . اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ٨٢.

الأعيان،قد أفدت منه في رسم صورة للمرأة ودورها في الحياة العلمية والكتاب يحتوي على التراجم والحوادث التاريخية، و تراجم لشيخات ابن عساكر خلال فترة الدراسة .

٣- ابن منقذ([1]) (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) كتابه : " الاعتبار" قدم لنا في كتابه العديد من الجوانب الاجتماعية في بلاد الشام، ومن أمثلة ذلك تناوله للمرأة المسلمة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ومظاهر البطولة الفردية لعدد من النساء في ميادين القتال، كما تحدث عن الحرية الجنسية للمرأة الصليبية، ، وتحليله لسلوكياتهم من الإيجابيات والسلبيات؛ كما أن أسامة يقدم لنا تصورا هاما وموضوعيا لصفات الصليبيين، وقد وصفهم بالشجاعة والاحتراز في الحرب، وقرر أنه لا فضيلة لهم إلا الشجاعة، كما تناول دور المرأة الفلسطينية في المقاومة الشعبية ضد الصليبين.

٤- العماد الأصفهاني ([2]) (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) . في كتابه : " الفتح القسي في الفتح القدسي" وهو كتاب مكرس لأعمال صلاح الدين العسكرية، حيث يعتبر المؤلف شاهدا على العصر ، من خلال مرافقة المؤلف لصلاح الدين للفترة من

---

[1] هو مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ ابن مرشد بن علي الشيزري، ولد في ٢٧ جماد الآخر ٤٨٨هـ / ٤ يولية ١٠٩٥م وكان من كبار رجال بني منقذ أصحاب قلعة شيزر، سكن دمشق على أيام نور الدين محمود، وقام بالهجرة إلى القاهرة، ثم اضطر للإقامة في حصن كيفا، وكان من الرجال المشهورين، والشعراء المبرزين، وكان له علاقات شخصية مع الصليبيين أوقات السلم، وعندما استولى صلاح الدين على مدينة دمشق استدعاه وهو شيخ قد تجاوز الثمانين من عمره، وغمره بإحسانه وعطفه؛ توفي أسامة في ٢٣ رمضان ٥٨٤هـ / ١٥ نوفمبر ١١٨٨م .ابن منقذ، الاعتبار، مقدمة المحقق، ص٦- ١٣١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٩٥- ١٩٦. عوض، الجغرافيون، ص ٢٤٥- ٢٤٧.

[2] هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد، وكنيته أبو عبدالله بن أبي فرج الأصفهاني، ولد في أصفهان سنة٥١٩هـ / ١١٢٥م وكان فقيها شافعيا تفقه بالمدرسة النظامية على يد أبي منصور سعيد بن محمد الرزاز، عمل في خدمة نور الدين محمود بدمشق، وأشرف على ديوان الإنشاء ثم عمل في خدمة صلاح الدين وأصبح كاتبا في الدولة الصلاحية، وكان القاضي الفاضل يثني عليه ويمتدحه ووصفه "بالزناد الوقاد "صنف العديد من الكتب أهمها" البرق"، "الفتح القسي في الفتح القدسي "وغيرها؛ توفي في رمضان ٥٩٧هـ / حزيران ١٢٠١م . الأصفهاني، الفتح، مقدمة المؤلف، ص ٦ . أبوشامة، الروضتين، ج٥، ص ٤٢ . ابن خلكان، وفيات ، ج٥، ص١٤٧.

٥٨٣هـ - ٥٨٩هـ / ١١٨٨- ١١٩٤م)، وهو كتاب تميز بأسلوبه الديواني، واشتماله على فقرات خطابية؛ بحيث يصعب على الباحث استخراج الحقائق التاريخية وقد أفدت منه من خلال الإشارات التي أوردها عن المرأة الصليبية ودورها في المجتمع الصليبي خلال فترة الصراع.

وكتابه : " خريدة القصر وجريدة العصر "أفاد دراستي في ذكر الشعراء الذين تم ذكرهم في الكتاب .

٥- ابن شداد ([1]) (ت ٦٢٢هـ / ١٢٣٤) . في كتابه : " سيرة صلاح الدين" وهو مخصص السيرة صلاح الدين، وكان ملازمة له، من هنا تأتي أهمية المصنف كون مؤلفه شاهد عيان للأحداث ومشاركا فيها وقد أفدت منه في دور المرأة الفرنجية في القتال، بالإضافة إلى نقل صور عن الحياة العامة .

٦- ابن الأثير ([2]) (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٥م) في كتابه : " الكامل في التاريخ" وهذا الكتاب غني عن التعريف في حولياته، وقد أفدت منه كثيرا في رسم الصورة السياسية لدى المسلمين والفرنجة فضلا عن الحياة الاجتماعية .

---

[1] هو بهاء الدين أبي المحاسن بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي المعروف بابن شداد، ولد بالموصل في شهر رمضان (٥٣٩هـ / مارس ١١٤٥م)، ونشأ بهافي رعاية أخواله بني شداد فنسب إليهم، وكان والده قد توفي وهو حدث صغير، و كان بهاء الدين فقيها شافعيا؛ تلقى علومه على يد شيوخ الموصل والبصرة؛ توفي في صفر ٦٣٢هـ / نوفمبر ١٢٣٤م . أبوشامة، الروضتين، ج٥، ص ٢٤٨. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص ٨٤- ٨٥ الذهبي، سير، ج٢٢، ص٣٨٤

[2] هو عز الدين بن على بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني، ولد بالجزيرة في ٤ جمادى الأولى ٥٥٥ هـ /١٢ أيار ١١٦٠م انتقل إلى الموصل مع والده ، وكان إماما في حفظ الحديث، وحافظ التواريخ المتقدمة والمتأخرة؛ كما كان خبيرا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، وصنف عدة تصانيف منها كتاب "الكامل" . أبو شامة ، الذيل على الروضتين، ص ١٠٥.

٧- ابن العديم ([1]) (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) ، في كتابه : " بغية الطلب في تاريخ حلب " حيث اختصره المؤرخ في كتاب أسماه " زبده الحلب في تاريخ حلب " وهو كتاب جمع مؤلفه الحوادث العامة للمنطقة وقد أفدت منه كثيرة في فصول البحث، ابتداء من الناحية السياسية في حلب مرورا بالأحوال الاجتماعية

ب-كتب التراجم والطبقات

الكتب التراجم والطبقات أهمية كبيرة في البحث العلمي، حيث أنها تلقي الضوء على الجوانب الفكرية والثقافية، والمذهبية للأشخاص، وتقدم بعض اللمحات الحضارية والاجتماعية، والاقتصادية، وأهم كتب التراجم والطبقات التي اعتمدت عليها الدراسة هي:

١- ابن خلكان: ([2]) (ت ٦٨١ه / ١٢٨٢م) . كتاب :" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر في التراجم والتاريخ الأدبي، وتكمن أهميته في كونه مصنفة اعتمد على مصادر عديدة منها : "تاريخ دمشق لابن

---

[1] هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، ولد بعد رأس القرن السادس، وأسمع على بيبرس العديمي، وعمتيه؛ خديجة، وشهدة. وحدث، وسمع عليه ابن عشائر " منتقى مشيخة الفسوي"، والأول من مشيخة ابن شاذان الكبرى ، وغير ذلك. وكان له معرفة بالأدب، والتاريخ، جيد المذاكرة، حسن المحاضرة، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه (بغية الطلب في تاريخ حلب) كبير جدا، اختصره في كتاب آخر سماه (زبدة الحلب في تاريخ حلب). ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٠٣.

[2] هو شمس الدين محمد بن بكر، ولد في أربيل سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م، وعين في وظيفة نائب قاضي القضاة وهو لم يبلغ بعد التاسعة والعشرين من العمر، ثم عين قاضي القضاة في دمشق عام ٦٥٩هـ /١٢٦٠م،،كان ابن خلكان إماماً ذكيا وبارعا، وإخبارية عالمة بالشعر والتاريخ وأيام الناس، توفي سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م . انظر، أبو الفداء، المختصر في تاريخ، ج ٢، ص ٣٥٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ٢٨١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص ٢١٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٠٥.

عساكر، و "النوادر السلطانية" لابن شداد، وقد ترجم فيه للعديد من العلماء والفقهاء والقادة السياسيين في حقبة الدراسة.

٢- الذهبي ([1]) (ت ٧٤٨هـ / ١٢٤٧م) . يعد كتابه :" سير أعلام النبلاء " من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي عنيت بالتراجم والطبقات، ومن خصائص موسوعة الذهبي أنها احتضنت سبعة قرون ونيفة من تاريخ رجال الإسلام وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م، كما أنها تناولت جميع طبقات الشعب وخلفاء وسلاطين وحكام وملوك وأمراء وشعراء ونحاة وتراجم النساء، وقد أفادت الدراسة من هذه الموسوعة في معظم فصول الدراسة وخاصة الفصل الثالث الذي تناول دور المرأة والتعليم من خلال تراجم النساء في كافة المجالات، إذ زودتنا بمعلومات وفيرة عن عدد النساء العالمات والفقيهات والمحدثات والواعظات، وغيرهن ممن ورد ذكرهم في الدراسة وهناك مصادر أخري للمؤرخ نفسه أفادت الدراسة في جميع فصولها مثل : " تذكرة الحفاظ" و "العبر في خبر من غبر " و" معجم الشيوخ الكبير" و " تاريخ الإسلام" .

٣- ابن العماد ([2]) (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) . كتاب : " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " جمع فيه ابن العماد بين التراجم والحوادث ، مع التركيز على التراجم وذكر فيه الوفيات مرتبة حسب السنين من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر الهجري / السابع إلى القرن السادس عشر الميلادي، وقد أفادت الدراسة الكثير من تراجم الرجال والنساء فكان الكتاب ملازمة لكافة فصول الدراسة.

---

[1] هو شمس الدين محمد الذهبي، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤ م وبرع في علوم الحديث والقراءات والتاريخ، صنف مصنفات عديدة بلغت حوالي مائة مصنف، وفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، فقد بصره فأنقطع عن التأليف، وأكب على التدريس بمدارس دمشق حتى توفي سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م. الذهبي، سير أعلام، مقدمة المحقق، ج١، ص١٣ - ١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٤٥، ١٤٤. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ١٥٣-١٥٥.

[2] هو شهاب الدين أبي الفلاح بن العماد الحنبلي توفي سنة، ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م، انظر، ابن العماد، شذرات الذهب، مقدمة المحقق، ج١، ص٥-٨.

ج- كتب الجغرافيا والرحلات

قدمت كتب الجغرافيا معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى من الناحية الجغرافية البلاد الشام ومصر، موضوع الدراسة واستفادت الباحثة من هذه المصادر خلال تعريف الكثير من المناطق الإسلامي في بلاد الشام ومصر، أما كتب الرحلات فقد كان لأصحابها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهدتهم وتجاربهم وقد أفادت هذه الكتب الدراسة بمعلومات كثيرة لم تذكرها كتب التاريخ وكتب التراجم، ومن هذه المصادر :

١- ابن جبير([1]) (٦١٤هـ / ١٢١٧م) سجل كل ما شاهده في بلاد الشام في كتابه " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" المعروف برحلة ابن جبير، من خلال زياراته لتلك البلاد، حيث دون فيها مشاهداته في رحلته الأولى إلى المشرق عام ٥٨٧هـ / ١١٨٢م، والثانية ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، والتي دون فيها ما شاهده عن أسرى المسلمين من قبل الفرنجة ، وعن ما شاهده في دمشق من مأثر عمرانية من قبل نساء البيت الأيوبي، مع ذكر الأوقاف على تلك المنشئات، كما أفادني بمعلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية، مثل إيراد بعض الجوانب الخاصة بالعادات والتقاليد الاجتماعية سواء لدى المسلمين أو الصليبيين على نحو أدى إلى إثراء الرسالة، وتناول ابن جبير كذلك جانبا مهما من جوانب العلاقات السلمية بين الصليبين والمسلمين في بلاد الشام، وذلك من خلال التعامل والتبادل التجاري بينهما، وعن اختلاط الفرنجة في بلاد الشام.

---

[1] هو محمد بن أحمد الأندلسي، ولد في مدينة بلنسية ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، وتلقى العلم على شيوخ عصره في غرناطة، وسبتة، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي، لأولى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، وانتهى منها بعودته إلى بلنسية سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م، والثانية في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، أي بعد أن استرد السلطان صلاح الدين بيت المقدس، أما الثالثة فكانت في سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م، ولكن لم يطل به العمر حيث توفي في الإسكندرية في العام نفسه. ابن جبير، الرحلة، مقدمة المحقق، ص٦-١٠. سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ٢٢٠. عوض، والجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٨٣-٢٨٧.

٢- الحموي ([1])(ت: ٦٢٦هـ /١٢٢٨م) يعتبر كتابه: " معجم البلدان" من أهم المؤلفات ، فهو بمثابة موسوعة جغرافية قائمة بذاتها نظرة لوفرة المادة التي أوردها وتحدث فيها عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار، وكتاب معجم البلدان مرتب وفقا للحروف الأبجدية ولا غنى عنه للباحث في التاريخ والجغرافيا والأدب وتاريخ البلدان خاصة في تحقيق أسماء المدن والبلدان والمعالم الجغرافية ([2])، وقد أفدت منه من حيث كونه المصدر الأول للتعريف بالبلدان والمدن والقرى التي تناولتها الدراسة.

ثانياً - المصادر الأجنبية

بالإضافة إلى المصادر سالفة الذكر فقد استفادت الباحثة خلال دراستها من العدد من المصادر الأخرى، ولابد للباحث من الاطلاع على المصادر الأجنبية؛ لأنها تقدم لنا صورة أخرى الوضع في فترة الصراع، فضلا عن أنها تكمل ما أغفلته المصادر العربية. من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

١- فوشيه الشارترى ([3]) (Fulcher of charters).

وضع كتابه أعمال الفرنجة واعتمدت الباحثة

"Gesta Francorum Iherusale peregrinantium"حجاج بيت المقدس" على الترجمة العربية لهذا الكتاب التي قام بها زياد العسلي بعنوان : " تاريخ الحملة إلى القدس " والتاريخ الذي كتبه فوشيه هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن إفرنجي محلي يغطي كل الفترة التكوينية الباكرة التي أعقبت الحملة الصليبية

---

[1] هو ياقوت بن عبدالله، ولد في الفترة الواقعة بين سنتي (٥٧٤هـ - ٥٧٥هـ / ١١٨١- ١١٨٢م) ببلاد الروم، ولكنه وقع في الأسر وهو صغير فاشتراه أحد تجار بغداد كي يعتمد عليه في تجارته، وتنقل ياقوت بين كثير من الأمصار وتوفي بظاهر مدينة حلب سنة ٦٢٦ه /١٢٢٨م. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦، ص ١٢٧. اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٥٩ عوض، الجغرافيون، ص٧٣،٧٥ .

[2] البيشاوي، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية ، ص ٢٦.

[3] فوشيه الشارتري تولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا في الفترة الواقعة بين سنتي (٤٤٩ - ٤٥١هـ /١٠٥٨ - ١٠٥٩م)

الأولى، وكان شاهد عيان لمعظم الإحداث التي دونها في كتابه، علاوة على أنه استقى بعض المعلومات الأخرى من شهود عيان، وكذلك من الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوربي، وعلى هذا فالمادة التاريخية التي قدمها فوشيه غزيرة بحيث غطت جوانب كبيرة من تاريخ الصليبيين في الشرق، وبخاصة في مملكة بيت المقدس الصليبية وماحل بمملكة بيت المقدس خلال العقود الثلاثة الأولى، وقد أفادت الرسالة في إشارته بشأن وضع المرأة المسلمة بعد وقوعهن في الأسر، كما أشار إلى دور المرأة الإفرنجية في تقديم العون والمساعدة في القتال ضد المسلمين من تقديم الماء وغيره وأفاد كتاب فوشيه الدراسة في تزويدها بمعلومات عن تأثر الفرنجة خلال حقبة زمنية قصيرة بعادات وتقاليد الشرقيين سواء الاجتماعية منها والاقتصادية وذلك باختلاطهم بالسكان المحليين وزواجهم من المسيحيات الشرقيات.

٢- وليم الصوري " William of Tyre "([1])

ويعد كتاب " تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر"

Historia Rerum in Partibus Transmannis Gestaeam، من أهم المصادر الأجنبية المعاصرة التي أر خت للحروب الفرنجية، كون مؤرخه كان من الشخصيات المقربة من البلاط الفرنجي، وقد تم نقل الكتاب إلى اللغة الإنجليزية

---

[1] ولد وليم الصوري في بيت المقدس عام ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م، متجها إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعليمه، وهو ينتمي (لاسرة فرنسية شاركت في الحملة الفرنجية الأولى، وقد عاش وليم في الشرق الإسلامي واتقن اللغة العربية اللاتينية والفرنسية، واتجه وهو في مقتبل العمر إلى الغرب الأوروبي لاستكمال تعلمه هناك، وخاصة في باريس وشارتر كما ذهب إلى إيطاليا، وبعد أن قضى عشرين عاما في أوروبا عاد بعد ذلك إلى الشرق عام ١١٦٥ م، و عمل في خدمة الملك وكان مربيا لبلدوين الرابع ومستشارا له، وقد عينه الملك Amalric عموري، واخذ يتدرج في سلك المناصب الدينية عموري رئيسا لأساقفة صور وكاد أن يصل إلى بطريركية بيت المقدس ولكن هرقل رئيس أساقفة قيسارية تمكنوا من الحصول عليها بعد مؤامرة حيكت ضد وليم الصوري إذ بعث هرقل له من سقاه السم وقتله عام ١١٨٤م، انظر سمالي المؤرخون، ص ١٧٩ ، العريني :مؤرخو، ص ١٠١ توفيق : المؤرخ وليم الصوري، ص ١٨١ – ١٨٧ Cf.also: Richard,J., The Latin Kingdom. vol. I. p.١١٠, Cahen.op. cit.pp. ١٦-١٨ .

بعنوان A History of the Deeds done Beyond the seaوالكتاب ترجم إلى اللغة العربية، و قام على ترجمته سهيل زكار بعنوان " تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحر" ، وخرج الكتاب في مجلدين، وترجمه أيضا حسن حبشي محمد بعنوان " تاريخ الحروب الصليبية " فخرج في أربعة أجزاء. وقد تناول وليم الصوري فترة زمنية طويلة لم يتعرض لها من سبقه من المؤرخين اللاتين أمثال فوشيه الشارتري، وألبرت دكس، وروبرت الراهب وغيرهم .و توقف وليم الصوري في تاريخه حتى عام ١١٨٤ م .وهو يمتاز بأهمية خاصة لأنه يتناول وجهتي النظر الدينية والدنيوية، فيما يتعلق بالأحداث التي رواها، وذلك بحكم المناصب التي تولاها، أما الفترات التي تناولها الكتاب فيمكن أن نقسمها إلى الآتي:

القسم الأول: تناول فيه المؤلف تاريخ الشرق اللاتيني منذ فتح المسلمين لسوريا، أي حوالي ٥٢١ - ٦٤٠ هـ / ١١٢٧-١٢٤٢م، وقد اعتمد فيه على العديد من المصادر المعاصرة لهذه الفترة، وعلى شهود عيان، أو الذين يكتبون من الغرب الأوروبي فنقل عن البرت دكس وفوشيه الشارتري وريموند داجيل وغيرهم، واعتمد أيضا على شهود عيان ووثائق قبل مغادرة ١١٦٢ م (فقد اعتمد فيها وليم - الشرق إلى أوروبا، أما الفترة الثانية الممتدة من) ١١٢٨

الصوري على الأرشيفات، والوثائق الملكية، وروايات شهود عيان. منذ أن عاد إلى الشرق مرة ثانية وحتى عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م، وأصبحت كتاباته على درجة كبيرة من الإتقان، وساعده على ذلك إتقانه العديد من اللغات مثل اللاتينية واليونانية والعربية والعبرية، و لم يراع الترتيب الزمني أحيانا عند ذكر بعض الأحداث، أما فيما يتعلق بالمادة التي زودنا بها يكاد يكون المصدر الرئيس بالنسبة للفصل الثاني من الدراسة، فقد أورد العديد من التفاصيل عن مشاركة المرأة في الحملات الصليبية وقدومها إلى الشرق ، وكيفية وصولها لدفة الحكم، كما تحدث عن دور المرأة السياسي في مملكة بيت المقدس .

التمهيد :

عانت المرأة الاوربية – كما دون ذلك الاوربيون – من الظلم في تواجدها في المجتمع الغربي الاوربي ، فمن الناحية الاجتماعية تزامنت تلك الرؤية تماما مع ما فكرت به المجتمعات التي كانت سائدة آنذاك بأنها امتداد لحركة الشيطان وهذه النظرة التشاؤمية وهذه جعلت من المؤرخين يغدقون بأقلامهم بالكتابة عنها رغم ان تأريخهم مليء بالنظرة السلبية للمرأة [1] .

فقد كان الرهبان في الكنيسة يعتقدون بأن اساس كل خطيئة هي المرأة ، اذ يعتقدون انه بسبب حواء خسر ادم والجنس البشري ككل جنات عدن ، لذلك فهي احدى ادوات الشيطان التي يقود بها الرجال الى جهنم [2] .

يرى "روزماري " انه لابد ان نعلم ان المرأة في العصور الوسطى سواء التي في القصر او المزارعة منها كانت متدنية في نظر الرجال مهما كبر شأنها ، ويرجع السبب في ذلك الى ان التقلبات

([1]) نعنعي ،عبد المجيد ،صور المرأة الصليبية ،ص٣١٦ ،عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، اوربا في العصور الوسطى (النظم والحضارة) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة : بدون تاريخ) ص ٨٨-٩١ .

([2]) ديورانت ، ول وايريل ، قصة الحضارة ،ترجمة محمد بدران (بيروت : بدون تاريخ) ج١١ ، ص ٣٠٠ .

والمحـــن والاضـــطرابات هـــي مـــن جعلـــت المـــرأة بهـــذه الصـــورة المدنية [1] .

ولا نعلـــم مـــا علاقـــة المحـــن والتقلبـــات بـــاثر المـــرأة ونظرتهـــا الاجتماعيـــة ؟ ، وعلـــى اي حـــال فـــان مـــؤرخي الغـــرب قـــد اظهـــروا لنـــا بوضـــوح المنظـــور الاجتمـــاعي للمـــرأة فـــي العصـــور الوســـطى وربمـــا ارتـــبط ذلـــك بحســـب مـــا نـــرى بـــأمور الميـــراث والقـــوانين التـــي شـــرعت لأجـــل ذلـــك والتـــي حرمـــت المـــرأة الصـــليبية مـــن ميراثهـــا كأبنـــة او زوجـــه وهـــذا الـــذي ثـــار حفيظـــة الكتـــاب والمـــؤرخين الاوربيـــين . فكمـــا هـــو معلـــوم ان ملـــف الميـــراث اخـــذ الشـــغل الشـــاغل والمســـاحة الواســـعة عنـــد الكتـــاب بدرجـــة انهـــم لـــم يعطـــوا تفاصـــيل كافيـــه عـــن تعلـــيم المـــرأة ودورهـــا العلمـــي مـــثلا ، علـــى عكـــس مـــا فصـــلوه مـــن قضـــايا الميـــراث لدرجـــة ان أن دور المـــرأة الإفرنجيـــة فـــي الشـــرق لا يمكـــن فهمـــه إلا مـــن خـــلال معرفـــة العلاقـــات الإقطاعيـــة فـــي الأمـــارات الصـــليبية فـــي المشـــرق ويضـــاف الـــى ذلـــك فهـــم قـــانون الوراثـــة الـــذي ســـارت عليـــه تلـــك الإمارات [2] .

ولا نعلـــم لـــم هـــذا الاهتمـــام ، هـــل لانـــه خـــالف قـــوانين اوروبـــا وقـــد تـــم تعديلـــه فيمـــا بعـــد ام لأنـــه كـــان غريبـــا عـــن المنظومـــة الاوربيـــة آنـــذاك ؟ وربمـــا يكـــون الجـــواب ان نظـــام الميـــراث قـــد خـــالف كثيـــرا الارث

---

[1] - **Rosemary horrox and Mark ramrod, A social history of england ١٢٠٠-١٥٠٠,camberidge university press ٢٠٠٦-p.١٠-١٤ .**

([2]) حسين ، حسن عبد الوهاب ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية (مصر : ١٩٩٧م) ص١٥٨ .

التاريخي الاوربي ، ناهيك عن انه قد مس الكيان القيادي للمرأة الصليبية ولاسيما في مرحلة بيت المقدس الامر الذي دعا جود فري البولوني الى تشريع مجموعة قوانين ناغمت في بناءها العام البناء السياسي والإداري للمستعمرات الصليبية النظام سميت تلك القوانين بـ " مجموعة قوانين بيت المقدس " ، وقام جود فري في الأيام الأولى لحكمه مملكة بيت المقدس ، بعقد اجتماعات لجميع المشرعين القانونيين الذي جاءوا معه من الغرب الأوربي على اختلاف قومياتهم وأقاليمهم ، وطلب منهم كتابة تشريعات قانونية للمملكة الجديدة ، وكانت النتيجة مجموعة من القوانين الأساسية ، جرى تغييرها حسب مقتضيات الضرورة لتواكب الأمور التي تستجد على الساحة الصليبية لاسيما في مملكة بيت المقدس[1] .

وربما نجد اصداء سوء قانون الميراث في المصادر الاسلامية ، فهذا العماد الأصفهاني يصف ميراث المرأة الصليبية بقوله : **" وعادتهم انه إذا مات ملك ينتقل ملكه إلى ولده وسواء في هذا الميراث بين الذكور والإناث ، فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى ، فإذا توفيت من غير عقب كان للصغرى "**[2] .

([1]) العماد الاصفهاني ،الفتح القسي ،ص١٨٨ ، الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والأجتماعية (القاهرة : ١٩٩٩م) ص١١ .

([2]) ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت:٥٩٧ هـ) ،حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس المسمى بالفتح القسي في الفتح القدسي ، ط١، دار المنار (مصر : ٢٠٠٤م) ص٢٦٠ .

وعلى الرغم من ان المرأة الاوربية قد حلت محل زوجها في اعمال المنزل ومشاقة فأنها لم تسلم من تكليفها بمهام يمكن ان نسميها القيادية لأهميتها من امثال الدخول في ميدان الحرب والسياسية ، وعلى الرغم من عدم تعميم هذا الاطلاق على كل النساء الاوربيات الا ان التاريخ سجل لنا مشاركاتها الحربية والقتالية جنبا الى جنب مع الرجل ، واذا ما أُسر زوجها فلا تكن الا وفدته بمالها الخاص بان تبيع مجوهراتها وما تملك لتفديه بها [١] .

عملت المرأة الاوربية في عصر الحروب الصليبية او ما قبله كمزارعة تعين زوجها في الحقل ، وهذا الامر حقق لها العيش برغد لأنها تأكل من اتعابها ، ولكن الامر مختلف عما عليه في عملها تجاه اسيادها في القصور ، اذا عليها ان تصبغ الغزل – الصوف – لاسيادها وهذا الامر اتعبها كثيرا ، وربما اضطرت بعض الاحيان ان تدفع جزية من بقية صناعاتها كالنبيذ او بعض ما ربته من دواجن كي تسد به الضريبة المفروضة عليها تجاه اسيادها بالقصر [٢] .

ومن بين المهن التي عملت بها المرأة هي مهنة القابلة ولكنها غير مأذونه في كثير من اجزاء اوروبا في العصور الوسطى ،

([١]) عمران ، محمد سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية (مصر : ١٩٩٨ م) ص ٧٠-٧٥ .

١ Bornstein, Diane. The Lady in the Tower: Medieval coutesy Literature for Women. Hamden, Connecticut; Archon Books, ١٩٨٣ , p١٠٢

وربما يرجع امتهان المرأة لهذه المهنة هو لكثرة حالات الوفيات التي كانت من جراء تأخر الطب في العصور الوسطى في اوروبا الامر الذي دعا المرأة الى ان تدخل في هذا الميدان لعاملين الاول تحصل من جراءه على اموال ، والثاني تعمل فيه كعمل انساني يقي بقية النساء من خطر الموت [١] .

وفضلا عن مهنة القابلة فقد عملت المرأة الاوربية في مجال تربية الدواجن ، وقطعان الخنازير وجمع الحطب ، وكانت المرأة الاوربية ولاسيما الفلاحة لا يمكن ان تتزوج اذا رغبت بذلك الا بالعودة الى سيدها وطلبت منه ذلك ، فاذا اراد فلاحا ما الزواج من احدى الفلاحات عليه بدفع كمية من النحاس كمهر لها او تعويضا عنها بحيث تجلس على كوم النحاس بثبات دوم تمايل [٢].

وربما يمكن القول ان النساء الاوربيات من حيث المعيشة يقسمن الى ثلاث طبقات : البرجوازية ، والاقطاعية ، والفلاحية ، وقع كل الاذى على نساء الطبقة الاخيرة وبطبيعة الحال تنقسم الطبقة الاخيرة الى نساء عازبات ونساء متزوجات ، اما العازبات فنجدهن قد افدن من حصص اباؤهن بالوراثة للعمل فيها والعزوف عن الزواج ربما جاء لأبعاد الغريب عن وراثة الارض ، الامر

---

٢ Margaret Schaus, Women and Gender in Medieval Europe, p. ٥٦١
. راجع الموقع : https://www.routledge.com/ تاريخ الدخول : ١-٤-٢٠٢٢م .

[٢] - نيفين ظافر حسيب الكردي ، الاوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الاوربي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب جامعة غزة ، ٢٠١١م ، ص ٢١٤ .

الـــذي جعلهـــن يســـتمرن بحيـــاتهن فـــي العمـــل الحقلـــي ، وكـــذلك النســـاء المتزوجـــات مـــن الفلاحـــات فقـــط وقفـــن جنبـــا الـــى جنـــب مـــع ازواجهـــن لمقاومة ضنك العيش آنذاك [1] .

ومهمـــا يكـــن مـــن الامـــر فـــان ســـلطة المـــرأة تطـــورت بتطـــور نظـــرة الاوربيـــين لهـــا ولاســـيما ابـــان الحـــروب الصـــليبية ، اذ لعبـــت دورا مهمـــا فـــي التطلـــع الـــى الســـلطة والحكـــم ومشـــاركة الرجـــال فـــي اتخـــاذ القـــرار ، ناهيـــك عـــن اهميـــة وجودهـــا فـــي المحافـــل الاخـــرى الـــذي كـــان لهـــا نصـــيب منه كما سوف نرى ذلك في فصول الدراسة القادمة .

([1]) ج.كرامب و أ.جاكوب ، تراث العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الواحد حمدي ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة : ١٩٦٧ م) ج٢ ، ص ٥٦٥ .

الفصل الاول : الاثر السياسي للمرأة ابان الحروب الصليبية .

مما لا شك فيه كان للحروب الصليبة اثرا كبيرا في رسم معالم الحياة الاجتماعية والسياسية لبلاد الشام والمناطق المحيطة بها كمصر مثلا ، ولا سيما في المناطق الساحلية التي كانت سريعا ما تتأثر بانتقال العادات والتقاليد ؛ هذا الامر انعكس على طبيعة كتابات المؤرخين والكتاب ومادتهم العلمية التي تناولت بشكل مفصل وقائع واحداث الحروب الصليبية التي بدأت رحاها منذ اواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، واستمرت لاكثر من قرنين من الزمن ؛ دَوَنَ المؤرخون تلك الحروب وكان ميلهم في التدوين الى الاحداث العسكرية كونها المادة الاساس في الاحداث ، لذلك وعلى الرغم من تدوين دور المرأة الا ان ذلك جاء هامشيا بالنسبة لدور الرجل ، ورغم هذا فقد اعتمدنا على بعض النصوص التي تناولت أثر المرأة الافرنجية [1] ولاسيما في الجانب السياسي ، ومن المهم ان نقول هنا بحسب رأي بعض المؤرخين ان دور المرأة السياسي في الشرق لم يكن إلا إمتداد لدورها في الغرب الأوربي [2] .

---

[1] تم ذكرها في المصادر العربية باسم افرنجية وهو اشتقاق من فرنسية وهذا جاء في تعريف لابي الفدا :هم أمم كثيرة واصل قاعدهم بلادهم فرنجة ويقال فرنسة وهي مجاورة لجزيرة الاندلس من شماليها أبو الفدا المختصر في تاريخ البشر ، ج ١ ،ص١٣٧ .والتسمية تشمل جميع النساء الاوربيات اللواتي شاركن في الحروب الصليبية واطلقت تسمية الصليبية لوضع الصليب على صدورهن ،العماد الاصفهاني ،الفتح القسي ،ص ١٨٦ .

[2] الشارتاري ،الاستيطان في بيت المقدس ،ص١٢٧ ،برروار ، يوشع ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (مصر : ١٩٩٩م) ص ١٢٨ .

ان الامر الذي لحظناه من خلال قراءة معالم تاريخ الحروب الصليبية ان الصليبيين لم يجلبوا نساءهم معهم ابان الحرب الا ماندر وذلك خوفا من وقوعها في الاسر او القتل ، كما من غير الممكن للمقاتل الصليبي جلب عائلته معه ، إذ أن ذلك سيأثر على حركة الجيش ويشتت من تركيز المحارب الصليبي ، لذا شاهدنا الاحداث تقريبا خالية من ذكر المرأة.

باستثناء الحملات الشعبية التي ارسلت ما قبل الحملات العسكرية ونعني بالحملات الشعبية تلك الحملات التي مثلت نواة الحملات الصليبية على الشرق والتي كانت في بداياتها حملات حج ديني رافقت به المرأة الرهبان والقساوسة [١] .

ولكن في الحقيقة لم تقتصر الحملة الصليبية على الرجال فقط ، ولم تقبع كل النساء في بيوتهن بعد رحيل الرجال للشرق ، فضمت الحملة الصليبية الأولى أعداد كبيرة من النساء من مختلف مستويات المجتمع بصحبة الفرسان الصليبيين [٢]، فيذكر سميث أن النساء قدمن الأموال وساعدن في بيع ممتلكاتهن للأديرة من أجل الذهاب إلى بيت المقدس ليس فقط التكفير الذنوب بل من أجل المشاركة في القتال في الحرب المقدسة [٣]، فاختلف الباحثون الغربيون حول سبب خروجها والانضمام إلى الحملة الصليبية الأولى، فمنهم من أرجع ذلك إلى أسباب اجتماعية واقتصادية ودينية وعسكرية، بما أن فرنسا وهي الوطن الأم التي خرجت منها الحملة الصليبية الأولى ٤٩٠ هـ /١٠٩٦ م، كانت خارجة من أزمة الجفاف والقحط ، فأردن استبدال معيشتهن والحصول على حياة أفضل للعيش [٤]، فإن القانون الكنسي يؤيد حق المرأة المرأة في تولي نذر الحرب الصليبية ولكن اشترط أن يرافقها أحد أقربائها من

١-Wilkinson. Jerusalem Pilrims before the Crusade, London: ١٩٧٧ p.٥٥

(٢) الصوري، الأعمال المنجزة، ج١، ص ٤٦٢. وانظر أيضا: براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٤٣. James, Michael ,Women and War, P. ٧٢

(٣) سميث، الحملة الصليبية الأولى، ص ٩١.

(٤) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٤٣.

الذكور لحمايتهن [١]، والمعروف أن نساء أوربيات جاءن بصحبة أزواجهن من أجل تقديم الخدمات والرعاية الزوجية التي لا يمكن الاستغناء عنها[٢]، وكذلك ليساهمن في الحرب[٣]، ويشير المؤرخ الصليبي فوشيه دي شارتر Foucher de Carters إلى النساء الصليبيات اللائي كن بصحبة أزواجهن، في الحملة الصليبية الأولى، وحضرن حصار انطاكية [٤]. ويتحدث فوشيه أيضا عن زوجة الأمير ريموند الصنجيلي، والتي صحبت زوجها خلال الحملة الصليبية الأولى، واستمرت بجواره خلال أحداث تلك الحملة [٥]. كذلك كان بصحبة الأمير بلدوين البولوني زوجته، الإنجليزية غوتيرا Guteree أو جودهيلد Godhilde والتي توفيت قبل استيلاء الصليبيين على أنطاكية، وزوجة الأمير ريموند الصنجيلي، وزوجة الأمير بوهيموند الثاني النورماني الكونتيسة كونستاس بنت فيليب ملك فرنسا (ت ١١٠٨م) والتي أنجبت له ابنه بوهيموند الثاني الذي ورثه في حكم أنطاكية [٦]

---

(١) Albert of Aachen: Histor ia Hierosolymitana، ٢٨١,٢٨٨,٣١٧ سميث، الحملة الصليبية الأولي ، ص ٦٩. ديورانت، الحضارة، ج١٤، ص١٩. زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص ٥٤.

(٢) Michael, James: Women and War, p. ٧٢

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ١، ص ٣٩٢.

(٤) شارتر، تاريخ الحملة، ص ١ ١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١١.

(٦) ينظر : الصوري، الأعمال المنجزة، ج ١، ص ٢٥٣، ٢٧٥، ٤٧٧، ج٢، ص ٦٧.

ومن المفيد ان نذكر هنا رأي احد الباحثين لسبب اخفاء او تقليل دور المرأة في الحروب الصليبية الى ان " **المؤرخين الغربيين اعتادوا على عدم اعطاء نسائهم اللائي يسهمن في القتال وتحقيق الانجازات في التوسع والهيمنه ذلك الاهتمام الذي يليق بجهودهن ؛ اعتقادا منهم ان مشاركتهن هذه امرا محتوما مفرغ منه لا يخضع للجدال** " [1] .

المبحث الاول : اثر المصاهرات في دور المرأة السياسي .

من المهم هنا ان نتطرق الى دور المصاهرات في تكوين المعالم السياسية لمنطقة بلاد الشام والمناطق المجاوره لها سواء الاوربية منها ام التابعة لارض الجزيرة العربية ، وقد سعى الامراء الصليبيين – كجزء من دبلماسيتهم في الحكم والادارة – الى توثيق هذه الجزئية والتي طالما تكلم عنها المؤرخون بابحاث علمية سلطت الضوء على اثر المصاهرات والزيجات في رسم المعالم السياسية في المنطقة وسوف يقتصر ذكرنا هنا للدور السياسي فقط مرجئين الاثر العسكري للمرأة الى الفصل الثاني من هذه الدراسة ، واذا ورد شيء من الاثر العسكري فمعناه اننا لا نستطيع فصل ذلك وذلك لارتباطه الوثيق ولاكتمال الصورة التامة قدر المستطاع عن حركة المرأة الصليبية السياسية .

([1]) العماد الاصفهاني ،الفتح القسي ،ص ١٨٨ ،عاشور ،الحركة الصليبية ،ج١،ص٤٨١ ،جلال سلامه ، دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الاولى مجلة جامعة النجاح المجلد ٢٨ العدد ١٢ لعام ٢٠١٤ م ، ص ٢٧٣٧ وما بعدها .

١: زواج بلدوين الاول [١] من " اداليدا " .

لعل اولى تلك المصاهرات – بحسب اطلاعنا - كانت على يد بلدوين الاول الذي تقدم للزواج من " اداليدا" ارملة حاكم صقلية السابق " روجر وكانت اماً لولد يدعى " روجر " ايضا ، وكانت " اداليدا " فاحشة الثراء [٢]

ويبدو ان بلدوين الاول كان قد وعد "اداليدا" بطلاق زوجته الارمينة الاولى التي تزوجها هي الاخرى لضمان حكم "الرها" [٣] المدينة ذات الاغلبية الارمنية ، اذ ان هذا الزواج كان يحقق كثيرا من النفع لبلدوين ، وهو امير الرها ولكنه لم يلبث ان احس بعد ان اصبح ملكا على بيت المقدس ، انه ليس بحاجة الى الارمن لان اعدادهم قليلة في جنوب بلاد الشام ووسطها وبالتالي فانه لم يعد حريصا على تلك الزيجة السياسية وذلك لسببين الاول : ان اراد فقيره لم تستطع اشباع حاجة الملك من المال ، والسبب الثاني انه لم تلد له مولود يربطه بها ، فسعى لطلاقها بطلب المعونه من

---

[١]) بلدوين الاول : ثاني ملوك بيت المقدس بعد اخيه جودفري ، وقائد اول حملة صليبية للاراضي العربية ، اسس كونتية الرها . The Columbia Encyclopedia, Sixth Edition. ٢٠٠١-٠٥. *Baldwin I, Latin king of Jerusalem.*

[٢]) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية للكتاب (مصر : ١٩٩٢ م) ج٢ ، ص ٣٠٢ .

[٣]) كان بلدوين في أثنائها متزوجاً من أمرأة أرمنية تدعى أردا بنت تاثول ، الا انه خدع أدليدا بقوله أنه طلق زوجته الأرمنية ، والتي كان قد تزوجها بعد أستقلاله في حكم الرها ، وكان هدفه من الزواج بأدليدا الإستيلاء على أموالها . وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٢، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

الكنيسة التي حكمت له بما يريد [١] ، وذلك بحجة انه متزوج سابقا ولايجوز في قانون الكنسية الزواج الا من واحده لذا عادت الى صقلية في عام(٥١١ هـ / ١١١٧ م) ولا سيما بعد ان حكمت الكنيسة ببطلان الزواج [٢] .

وقد وعد بلدوين الاول " اداليدا " ارملة روجر ان يعطي ابنها "روجر الثاني " حكم بيت المقدس من بعده بشرط انه لم يرزق بولد يخلفه [٣] . ويبدو ان الاثنين (روجر وامه) قد درسا عرض الزواج الذي قدمه لهما بلدوين الاول ، وقد علما ما به من فائده سياسية توسعية .فمن جانبه – بحسب ما نقله احد المؤرخين – فأن روجر الثاني وجد زواج امه من بلدوين مكسبا في التوسع ولاسيما انه فكر في الصفقه التي اشترطها على نفسه بلدوين الاول وهو ان يرثه في حكمه بيت المقدس [٤] .

ومن جانب بلدوين فقد : " **استهدف بلدوين الاول من وراء تلك الزيجة تحقيق مكاسب عدة سياسية ومالية منها : ضمان صداقة النورمان في ايطاليا وصقلية ، ومنها : كسب الثروة الطائلة التي كانت تملكها تلك الاميرة والتي كانت كفيلة بانعاش خزائن مملكة بيت المقدس** " [٥] .

([١]) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو مصرية للطباعة والنشر (مصر : ٢٠١٠م) ، ج١، ص ٢٧١-٢٧٢ .

([٢]) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ١٣ -١٤ .

([٣]) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٣٠٣ .

([٤]) ماير ، هانز ابراهارد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم ، مطبعة طرابلس (ليبيا : ١٩٩١) ص ١١٩-١٢٠ .

([٥]) عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

كـان بلـدوين بعيـد النظـر لضـمان صـداقة النورمـان فـي صـقلية وذلـك لان هـذا الـزواج سـيقوي المملكـة الصـليبية عنـدما سيضـع الامكانيـات البحريـة لصقلية في ايدي الصليبيين ، فضلا عن الثروة الهائلة التي تمتلكها صقلية [١]

لـذا أُبلـغ بلـدوين الاول بوصـول الملكـة "ادليـدا " الـى مينـاء عكـا فـي سـنة ٥٠٧ هـ بعـد ان جلبـت معهـا مـا جلبـت مـن امـوال بعـد ان جهزهـا ابنهـا روجـر كمـا وصـف ذلـك روزمـان قـائلا : " **فاوسـعت السـفن بالحنطـة والنبيـذ والزيـت واللحـم القديـد ... وحملـت الاميـرة قـدرا كبيـرا مـن المـال واخـذت معهـا كـل متعلقاتهـا دون ان تتـرك ورائهـا شـي ...** " [٢]. وقـد شـدد بـدوره بلـدوين علـى رعيتيـه وقادتـه - بعـد ان اخـذ المواثيـق مـنهم - بـاحترام الاتفـاق الـذي عقـده مـع "اديليـدا" وذلـك بعـد مـا رأى الثـروة التـي جلبتهـا معهـا اديليـدا ولاسـيما انـه لـم يكـن يمتلـك مـا يـوفي رواتـب فرسـانه [٣]. وهنـا نجـد الاثـر الواضـح للمـرأة ولاسـيما فـي ارسـاء وتـدعيم العلاقـات الصـليبية بالامـارات والمماليـك المجـاورة ، وبحسـب اعتقادنـا ان خطـوة زواج بلـدوين الاول مـن " ادليـدا " كـان خطـوة خطـره علـى مسـتوى العلاقـات السياسـية والدينيـة فمـن الناحيـة السياسـية نجـد ان " ادليـدا " سـوف تهيـأ لـه – بحسـب مـا خطـط لـه طبعـا – ارثـا سياسـيا مهمـا علـى مسـتوى جبهـة البحـر المتوسـط ولاسـيما مـن جانـب النورمـان الـذين يشـكلون معـه قـوة بحريـة قـادرة علـى السـيطرة علـى البحـر المتوسـط ، وسـوف تهيـأ لـه حمايـة بحرية مهمة دون الحاجة الى اثر بقية المدن .

---

[١]) الزيدي ، مصعب حماد نجم ، صقلية ودورها في الحروب الصليبية ، مجلة التربية والعلم – جامعة الموصل (٢٠١٣ م) مجلد ٢٠ ، ص ٤٠-٤٢ .

[٢]) . A History of the Crusades,vol.٢,p:١٠٣

[٣]) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .

اما من الجانب الديني فتكمن الخطوره فيه على محاسبته المتوقعه من لدن الكنسية ورجالها الذين لا يسمحون لاي مسيحي بان يجمع زوجتين ولاسيما انه ظهرت بوادر كلام يقول بان بلدوين الاول قام بارضاء بعض رجال الدين لغرض التغاضي عن زواجه الثاني او بالاحرى الجمع بين زوجتين ، الامر الذي تم تحريكه من قبل البابا باسكال الثاني (٤٩٣-٥١٢) هـ ومندوبه وتم اثارته على ان طلاق بلدوين " ل(اراد) باطلا الامر الذي اجبر بلدوين على طلاق الاميرة " اداليدا " التي عادت الى ايطاليا خائبة [١] ، وارسل البابا باسكال الثاني مندوبه فعزل ارنولف من البطريكية [٢] .

ومن الغريب ان نجد سكوت غير مبرر من لدن المصادر التي تعرضت لحادثة مرض بلدوين قبيل طلاقه " اداليدا " اذ مرت تلك المصادر مرور الكرام على مرض بلدوين الاول اذ اصبح طريح الفراش في " عكا " وبررته عاشور بانه : " **مما جعله يخشى ان يموت مغضوبا عليه من الرب والكنيسة بسبب زواجة من امرأتين في وقت واحد** " [٣] . وهذا تبرير غير منطقي لان بلدوين الاول رجل حرب وكان له صوله في العمليات الحربية ولاسيما في الحملة الصليبية الاولى (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) ، فمن غير المنطقي ان يربط قضية زواجه بخوفه من الرب ، هذا من جانب ومن جانب اخر ان بلدوين اقبل على الزواج من اديليدا وهو مقتنع تمام القناعه انه زواجه غير شرعي كون الارمينة لازالت بذمته ، فكيف يقبل على هذا الفعل ؟ .

---

[١]) عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

[٢]) محمود ، هنادي السيد ، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الاول ، ط١، دار العالم العربي (القاهرة : ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م) ص ١٦٨ .

[٣]) عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٣ .

لـذا نـرى ان مـرض بلـدوين الاول هـو مفتعـل امـا مـن قبـل مدافعيـه مـن المـؤرخين ، واما منـه هـو كـي تسـقط حجـة الـزواج الثانيـة ويخـرج بأقـل الخسـائر لاسـيما انـه ارتبطـت بالموضـوع قضـية ثانيـة وهـي مسـألة ماقدمـه بلـدوين مـن تنـازلات واقتناعـات لرجـال الـدين فـي الكنيسـة والـذي اقلـق البابـا انـذاك مادعـاه الـى التحقـق مـن الامـر بنفسـه كمـا اسـلفنا . فضـلا عـن ان بلـدوين الاول قـد منـع رجـال الكنيسـة مـن اقامـة حكومـة ثيوقراطيـة [1] فـي بيـت المقـدس [2] ، الامـر الـذي جعـل مـن رجـال الـدين يتتبعـون هناتـه وهفواتـه . وينقـل لنـا فوشـيه ان بلـدوين الاول قـد تـزوج مـن امـرأة اخـرى اسـمها "آردا" تزوجهـا وهـي صـغيرة السـن وكـان لهـا دور كبيـر فـي الاحـداث السياسـية فـي المنطقـة انـذاك وكـان ذلـك فـي سـنة ٤٩٥هـ/١١٠١م اذ ارسـلت رسـالة اسـتنجاد لصـاحب انطاكيـة "تـانكرد " لمسـاعدة زوجهـا بلـدوين الاول حمـل هـذه الرسـالة بحـار كـان علـى وشـك الاقـلاع الـى تـانكرد ، وعلـى الـرغم مـن ان الرسـالة عنـد فوشـيه تحكـي عـن لسـان اهـل يافـا كلهـم ، الا ان فوشـيه قـد صـرح انهـا بـامر زوجـة بلـدوين "آرادا " وقـد نقـل لنـا فوشـيه نـص الرسـالة : " **تـانكرد ايهـا الرجـل اللامـع ! ، والجنـدي الباسـل ! ، اليـك هـذه الرسـالة المقتضـبة مـن سـكان يافـا ،اي المملكـة وبعـض مـواطني المدينـة يبعثونهـا اليـك علـى عجـل عـن طريقـي انـا كمنـدوبهم الرسـمي ، ارجو ان تطالعها بتمعن ... يا لفداحة**

---

[1]) تتكون كلمة ثيقراطية في اليونانية من كلمتين هما " ثيو " وتعني : الدين ، "وقراط" وتعني : الحكم ، وعرف عن الثيوقراطية انه نظام يستمد الحاكم سلطته مباشرة من الاله ، وبهذا فهو يسمح باقامة طبقة من الكهنة او رجال الدين ، ويسود فيها رأي الكهنوت الدين فقط . راجع ذلك مفصلا في : https://ar.wikipedia.org/wiki .

[2]) عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٤ .

المصاب ان ملك القدس الذي دخل في معركة ضد اهل مصر وعسقلان قد اصيب بهزيمة فادحة ولعله قتل في المعركة مع رجاله ، لذلك فانني ارسل مندوبا اليك وانت الرجل الحكيم طالبة المعونة ومتوسلة تطرح كل شي اخر جانبا وان تسارع بال تمهل لمد يد العون لشعب الله الخاشعين في محنتهم الكبرى ، وهم الان قد اوشكوا على نهاية حياتهم ... " [1].

وفور سماع تانكرد لهذه الرسالة تحمس لارسال ما يملك من جيش لتخليص بلدوين الاول ملك بيت المقدس من هذه الاخبار غير السارة ، ولكنه فوجيء برسالة ثانية عبر عنها فوشيه بانها رسالة الحظ السعيد " **فيما نقلت الرسالة الاولى تقارير عن المصيبه ، نقلت الثانية اخبار الحظ السعيد ونصت على ان الملك قد عاد سالما الى يافا وان الشرقيين اصيبوا بهزيمة مذهلة بلا جدال يا لرحمة الله الرائعه لم نهزم اعدائنا لكثرة عددنا ، بل لاننا وثقنا بالقدرة الالهية وهكذا عدنا الى القدس وقد سلمنا من اعدائنا ... "** [2]

ولعلنا يمكن ان نقول هنا ان سلوكيات النساء الاوربيات او اللواتي حملن في الحروب كان له تأثير واضح مما تقدم من روايات ، ومن تأثيراته هو سيطرتهن على عقول الملوك والقادة والامراء وتنفيذ ما يريدن ، والادهى من ذلك انه كما مر بنا كان تفكير البعض منهن السيطره على حكم بيت المقدس وهذا الدور يبدو واضحا من خلال الرسالتين اللتين بعثتهما "ارادا" واللتين كشفتا عن بعد نظر المرأة الصليبية وحسن تصرفها في الجانب السياسي ، هذا من جانب ومن جانب اخر كشفت الرساليتن عن دقة

([1]) الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس (١٠٩٥-١١٢٧) م ، ترجمه الى العربية : د.زياد جميل العسلي ، دار الشروق (عمان : بلا تاريخ) ص ١٢٠-١٢١ .

([2]) تاريخ الحملة الصليبية الى القدس ، ص ١٢١ .

البعد الاعلامي للمرأة الصليبية رغم بدائية وسائل التواصل والاتصال الا انها استطاعت ان توصل صوتها الى اصحاب القرار .

٢: **زواج بلدوين الثاني من " مورفيا "** .

بلدوين او بالدوين الثاني اصبح كونت الرها خلفا لابن عمه بلدوين الاول في عام (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) ، ومن بعدها اصبح ملك القدس ، تزوج الامير بلدوين الثاني من مورفيا ابنة امير الرها الارمني "ميليتن" ، وكان الاخير يمتلك ثروة كبيره اذا جلبت معها الاميرة مورفيا مبلغا من المال قدر ب (٥٠ الف بيزنطي) [١] عند قدومها الى بيت زوجها بلدوين بحدود عام (٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) ، ومما ساعد بلدوين انه كان اعزبا حين زواجه بمورفيا الامر الذي زاد من تشبث مورفيا به [٢] ، وكانت صورة الزواج تلك لها ابعادها السياسية في المنطقة سيما بلاد الشام فبعد ان كان الارمن ينظرون الى بلدوين انه محتل ورجل سلطة اصبح صهرا لهم .

لقد أفادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقة فاعلة ، ومن ناحية اخرى ، فأنه على الرغم من أنه كان بالنسبة لبلدوين الثاني زواج منفعة إلا أنه كان الزواج الوحيد الذي شارك في شعائره الأمراء الأقطاعيون وقوبل برضا كبير من جانبهم ، فضلاً عن أن بلدوين يعتبر مثالياً بين الأزواج [٣] ؛

---

(١) كانت العملة البيزنطية منذ ان سكت هي مرتكزة على مايسمى بـ " الصولدوس" وقد مثلت الصولدوس العملة الرسمية البيزنطية منذ عام ٣٠١ م : tps://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) الجنزوري ، علية عبد السميع ، إمارة الرها الصليبية ، مطبع الهيئة المصرية للكتب (مصر : ٢٠٠١ م) ص٩٤ .

٣) الجنزوري ، امارة الرها ، ص٩٤ .

لانها كانت هي أحدى الزيجات الافرنجية الأرمنية التي أكدت الروابط بين الطرفين ، وعن طريقها أستطاع بلدوين أن يثبت أولى دعائم حكمه في الرها ، أما عن مدى أنتفاع جبريل صاحب ملطية من تلك الزيجة فأن بلدوين أستطاع أن يحميه من العديد من هجمات بني دانشمند [١] ، اذا كانت الصراعات التركمانية البيزنطية على منطقة السواحل والمناطق المحيطة بها قائمة على قدم وساق وكان الارمن واراضيهم في خطر مستمر ، لذا استنجد جربيل ببلدوين في اكثر من مره ولاسيما في الهجمات المستمرة من بني دانشمند التي اختلف المؤرخون في سقوط مليطة بايدهم من عدمه فبعضهم زعم انها سقطت بايديهم وان الصليبيين بقيادة اميرهم بلدوين لم يستطيعوا من انقاذ صهرهم جبريل من سقوط ملطية سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م [٢] .

في حين ذكر وليم الصوري ان بلدوين الثاني لبى نداء صهره جبريل واستطاع ان يضم مليطة الى اراضيه وترك فيها ما يقارب من ٥٠٠ فارس كفظ للامن واشعار اعدائها بوجود حامية عسكرية وقوة لا يستهان بها [٣] .

وفي هذا الغضون وبعد ان اصبحت ملطية محمية من لدن بلدوين نرى اثر المصاهرة واضحا في تصرفات الاخير ، اذ اتجه بقوة عسكرية كبيرة استعرضت امام الناس ، ليرى عمه جبريل هذه القوة ، وكان يقصد اهانة عمه ، اذا وعد جنوده – الذين كانوا منذ وقت طويل لم يستلموا رواتبهم

---

[١]) الدانشمديون : تركمان حكموا المناطق الشمالية والشرقية من الاناظول في القرن الخامس والسادس الهجريين ، ووقعوا بنتافس كبير مع السلاجقة ، حتى سيطورا على جزء كبير من اراضيهم ، وكذلك الصليبيين فقد وقعوا معهم بصراع كبير انتهى بالسيطرة على جزء من ممتلكاتهم . للمزيد من التفاصيل راجع : https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) حسين ، مقالات وبحوث ، ص٩٥ .

(٣) الحروب الصليبية ، ج٢، ص ٢٧٨-٢٨٢ .

– ان يعطيهم رواتبهم وان لم يستطع ذلك فسوف يحلقون ذقنه وهذا بحد ذاته اهانة بحسب العادات الارمنية السائده انذاك ؛ كما تظاهر انه لم يستطع دفع الاجور امام عمه ، فما كان من عمه الا ان يدفع له متظاهرا بتصديقه دفعا لشره ، وقام بدفع أجورهم وهي ٣٠ ألف قطعة ذهبية ميخائيلية وهي عملة بيزنطية [١] . وبذلك استطاع بلدوين بعلمه هذا ان يحقق الاموال من طريق هذا الزواج السياسي واللوجستي ان صح التعبير .

ومن جانب اخر تعرضت بعض المصادر الى ان مروفيا - وكجزء من تسليط تلك المصادر الضوء على دورها السياسي – حاولت ان تفك اسر زوجها الذي وقع اسيرا بايدي نور الدين الارتقي بارسال قوة بحرية من الارمن سرية الحركة كما ذكر ذلك طقوش [٢] .

ولم نجد مايؤيد كلام طقوش عند المؤرخين المعاصرين للحدث ولاسيما المؤرخ متي الرهاوي [٣] الذي اكتفى بوصف مورفيا وزوجها بانهما متحابين مخلصين لبعضهما ولم يذكر شي من هذا القبيل .

([١]) وليم الصوري ، ج٢ ، ص٢٨٠- ٢٨٢ .

([٢]) محمد سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية ، دار النفائس (بيروت : ٢٠١١ م) ص ٢٦٠-٢٦١ .

([٣]) تاريخ متى الرهاوي ، الافرنج (الصليبيون) ،المسلمون ، الارمن ، ترجمة : محمود محمد الرويضي ، عبد الرحيم مصطفى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية (الاردن : ٢٠٠٩ م) ص ٨٣ .

٣: **زواج جوسلين بأخت ليون** . ولم يكن الزواج السياسي من النساء الأرمنيات مقتصراً على بلدوين الاول والثاني ، وأنما فعل الأمر نفسه خليفتهما في حكم الرها الأمير جوسلين سنة (٥١٢هـ / ١١١٨ م) [١] ، إذ ما أن تولى الحكم بعد بلدوين الثاني حتى دعم حكمه بزواجه من أميرة أرمنية هي أخت الأمير ليون الأرمني وهو رجل معروف بين قومه ، وأبن قنسطنطين وأخو ثوروس ، وهم جميعاً من أمراء أرمينيا الصغرى [٢] .ومن الملفت للنظر ان هدية الزواج كانت اهداء بعض المدن بين الزوجين ، فقد اهدت ابنة حاكم انطاكية [٣] روجر مدينة ((اعزاز)) [٤] الواقعة على الحدود بين الأمارتين ، الى زوجها "جوسيلن" الذي تزوجها بعد وفاة زوجته الارمينية ، وبهذا يكون الزواج الأول قد وطدت علاقاته بالأرمن ، اما الزواج الثاني ، الى جانب أنها وطدت العلاقة مع أنطاكية ،

---

[١]) جوسلين دي : ابن خالة بالدوين الثاني ، قدم إلى الشرق ، وحين وصوله منحه بالدوين الثاني اقطاعا ، في الجزيرة الفراتية في (تل باشر) وذلك في سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) وبقي حاكما عليها حتى سنة (٥١٢هـ) ؛وبعدها اصبح حاكماً على مدينة الرها (٥١٢- ٥٢٦هـ) بعد ان منحها اياه بلدوين الثاني نتجية لوقوفه الى جانبه ابان انتخابه ملكا على مملكة بيت المقدس . للتفاصيل ينظر :

lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view:p١.

[٢]) الجنزوري ، إمارة الرها ، ص١٢٤ .

[٣]) انطاكية : بالفتح ثم السكون ، سميت كذلك نسبة الى الملك (انطيخس) الملك الثالث بعد الاسكندر ، مدينة عامرة بينها وبين حلب يوم وليلة . انظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت : ١٩٧٩ م) ج١ ، ص ٢٦٦ .

[٤]) أعزاز: عزاز وربما قبلت بالألف في أولها ، والعزاز الأرض الصلبة وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ، ص١٨١ .

فأنها أضافت الى إمارة الرها أرضا جديدة [١] . وهذا ما عزز الموقف السياسي للامارة الصليبية والذي يعتمد بشكل مباشر على التحالفات والاتفاقات الساسية والتي لعب دورا مهما في حركة التاريخ ، فضلا عن تنمية الواقع الاقتصادي ، وهذا ناجم طبعا من المصاهرات ، وبذا يظهر لنا جليا الدور الذي لعبته النساء الصليبيات في تسيير حركة التاريخ .

٤ : **المصاهرة بين امير انطاكية وفيليب الاول** . عقد بوهيموند امير انطاكية تحالفا سياسيا مع ملك فرنسا فليب الاول دعماه بالتصاهر ، فقد اقبل بوهيموند على طلب يد "كونستانس" إبنة فيليب الاول ، كما زوج فيليب أبنته الثانية البالغة من العمر ٩ سنوات المدعوة سيسيليا "لتانكريد" ابن اخ بوهيموند وكان ذلك سنة ٤٩٤ هـ /١١٠٠ م [٢] . وبالتالي ظهر الى الساحة السياسية تحالف وزواج سياسي صار ملك فرنسا جزء منه ، وعلى إثر ذلك دخل بوهيموند في صراع عنيف ضد الإمبراطورية البيزنطية ، واستعد لذلك وجهز جيشة الذي بدأه ب ٣٠ الف مقاتل وكانت سرية استطلاعية وكان انطلاقه من "بويا" في جنوب ايطاليا ورافقته في هذه الحملة زوجته بنت الملك فيليب الاول كما ورد ذلك مفصلا في كتب الملاحم الايسلندية [٣] . وبصرف النظر عن اثر المرأة في الحراك السياسي والعسكري ، فنجد ان تشجيع كونستانس لزوجها كان يمثل دافعا مهما من دوافع الغزو والتوسع العدواني ، فضلا عن ان هذه الظاهرة " ظاهرة حمل النساء اثناء

---

[١]) الجنزوري ، إمارة الرها ، ص١٢٤ .

[٢]) هوليستر ، سي وارن ، هنري الاول ، مطبعة جامعة ييل (لندن : ٢٠٠٣ م) ، ص٢٠٦ .

[٣]) Joseph Anderson ,the story of the Earldom of orkney,p ٧٧.

الحرب " تمثل هي الاخرى ظاهرة مهمه في التاريخ الاوربي عامة والتاريخ الصليبي بصفة خاصة ، كما سوف نرى في اثر المرأة العسكري من هذه الدراسة .

المبحث الثاني : النظام الاقطاعي وعلاقتة بدور المرأة السياسي .

من المهم القول هنا ان اثر المرأة الفرنجية يكاد يساهم بشكل فاعل في كل مناحي الحياة سواء الاجتماعية منها ام الاقتصادية ام السياسية ، وهنا علينا القول ان هذا الدور ولاسيما السياسي منه لا يمكن ان نفهمه الا ان نفهم طبيعة المرأة وعلاقتها بالنظاميين الاقطاعي [1] والوراثي ، فقد تشابك النظام السياسي جنبا الى جنب مع هذين الجانبين اللذين لم يبرحا ان يفترقا ولاسيما في تاريخ الحروب الصليبية ، وكان للمرأة في هذين النظامين دور واضح وفعال كما سنرى .في البدء علينا ان نفهم القانون الذي اقر داخل الامارات والمستعمرات الصليبية بل وحتى في الاراضي الاوربية وهو مايسمى بقانون " بيت المقدس " عام (٤٩٥ هـ/ ١٠٩٩ م) وان كان هذا القانون متأخرا شي ما بالنسبة لتأسيس الامارات الصليبية ، الا انه اقر اول الامر على يد " جودفري البولوني" أول حكام مدينة المقدس ، اراد جودفري من خلال هذا القانون ترتيب وتطبيع الامور الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهو ليس قانون مستقل بحد ذاته بل كان سلسلة من القوانين كان هدفها

([1]) كان نشوء النظام الإقطاعي بعد معركة " أدريا " التي وقعت بين الجرمان والإمبراطورية الرومانية ، اذ قتل فيها الإمبراطور الروماني " فالنز" انتصر فيها الجرمان وسيطروا على اثرها على مقاليد الغرب الأوربي ، واحتل الوندال أفريقيا وجنوب إسبانيا ، والفرنجة غالة ، والسكسون بريطانيا ، والقوط الشرقيين في إيطاليا ، والقوط الغربيين في إسبانيا والأندلس . راجع الموقع : https areq.net/m ://: .

الاساس هو ارساء البناء الاداري ، ومن المهم هنا ان نذكر ان هذا القانون ففي الأيام الأولى لأرسائه قواعد مملكة بيت المقدس ، قام بعقد أجتماعات لجميع المشرعين القانونيين الذي جاؤا معه من الغرب الأوربي على أختلاف قومياتهم وأقاليمهم ، وطلب منهم كتابة تشريعات قانونية للملكة الجديدة ، وكانت النتيجة مجموعة من القوانين الأساسية ، جرى تغييرها حسب مقتضيات الضرورة لتواكب الأمور التي تستجد على الساحة الصليبية لاسيما في مملكة بيت المقدس [1] .

ولعل احدهم يسأل ماهو اثر هذا النظام على الوضع السياسي على حركة التاريخ سيما السياسي منه ؟ فيكون الجواب ان ايجاد النظام الاقطاعي يعني الاستقرار الادراي والاقتصادي بل حتى العسكري لما فيه من ضمانات اقتصادية متعددة الاتجاهات .

وبالتالي كان النظام الأقطاعي في تلك الإمارات الصليبية هو الأساس الذي يبنى عليه النظام السياسي الذي طبق في المدن التي تم احتلالها من قبل الفرنج ، إضافة الى ذلك أن قانون الوراثة هو الاخر كان له نقاط منها انه سمح للمرأة أن تولي المناصب ، وهذا بدوره انعكس ايجابا على الدور الذي نحن بصدده الان الا وهو دور المرأة السياسي والذي يعطي لنا مسرى واضح اذا ما تتبعناه في الانظمة المعمول بها في الامارات الصليبية او في المدن التي خضعت لتسلط الصليبيين

([1]) الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن ، الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والأجتماعية (القاهرة : ١٩٩٩م) ، ص١١ .

وهذا الدور او المكانة لدى المرأة ليس فيه مائزا بين ان تكون بنتا او زوجة او اما ولكن بشرط بلوغها السن القانونية (بالنسبة للبنات) وذلك لتتمكن من حكم الامارة او المملكة بقوة وحسن تدبير بحسب رأيهم [١] .

وهنا نرى نموذجا لتغاضي حقوق المرأة الامر الذي انسحب ايجابا على العملية السياسية وعلى فائدة الصليبيين ، وهو ما فعله بلدوين الثاني حينما حرم ابنتي حاكم طبرية هيو وهما : (هلفيس و اشفيا) من الحقوق الاقطاعية معتذرا بصغر السن ذلك بعد مقتل ابيهما [٢] ، وقام بتحويل الاقطاعية الى إبن أخته "جرفاس" وكان الاخير من المقدمين بالشدة والبأس وقوة الرأي ، حتى ان بعض المصادر الاسلامية عدة بصف الملك بلدوين الثاني من حيث القوة وحسن التصرف والشجاعة ([٣]) .

وعلى الرغم مما اعطتنا اياه الرواية اعلاه من معرفة لابأس بها في فهم حركة التاريخ الصليبي ولاسيما السياسي منه الا انها بذات الوقت اعطتنا اطارا مهما من اطر ترسيخ الحكم لدى الامراء الصلبيين عن طريق استغلال قانون الاقطاع الذي طبق من لدن الامراء والملوك الصلبيين في تلك المدن.

وهنا نرى ان المرأة - وفق قانون الاقطاع طبعا – لايحق لها ان تتصرف بأي شيء يعود اليها ملكه ، بل كل شي يرجع الى الامير او الملك الحاكم [٤] ، هذا دفع المرأة الصليبية ان تتماشى مع المتفق عليه انذاك وتقدم

([١]) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص١٣٧.

([٢]) حسين مقالات وبحوث ، ص ١٥٥.

([٣]) ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت : ١٩٠٨ م) ص١٦١ .

([٤]) حسين ، مقالات وبحوث ، ص ١٥٩-١٦٠ .

الهبات والقروض للامير وقت حاجته الى ذلك [١] وفضلا عن ذلك فانها يُفرض عليها حتما ان توكل أحد الفرسان الصليبيين لادراة اقطاعياتها [٢] .

وعلينا ان نعلم ان الحاكم الصليبي كان يحكم بقوة بحيث يجبر النساء الصليبيات على اداء الضرائب المترتبة عليهن ، وربما نجد ان سبب هذه القوة يعود لقوة معاونيه من ورزاء وامراء بل حتى من الكهان الذين يمثلون رأس الهرم بعد الحاكم اذ ترتبط بايديهم القضايا الروحية والدينية ، لذا نُعت الحاكم بأنه الاله نفسه : **" وكان الحاكم هو رأس السلطة ويمثل الاله على الارض بل هو الاله نفسه "** (٣) .

وقد وصل احتكار حقوق المرأة الصليبية الى ابعد درجاته ابان الحروب الصليبية ولاسيما الاقطاعية منهن ؛ اذ نص قانون الاقطاع على ان تجبر المرأة على الزواج والاقتران بشخص يسميه الامير او كما تشاء لادراة ملكياتها من الاقطاعيات [٤] . ان النظام الاقطاعي السائد انذاك فرض على المرأة فروض قانونية واخلاقية واجتماعية اجبرها على التنازل من عن حقوقها بل الالتزام بما يقول به الحاكم ، لان سلطة الحاكم كما قلنا قبل قليل هي سلطة الاله ، لذا نجد ان الامير جاك ابلن رفض اتملاك النساء اي اقطاع سيما اذا كانت صغيرة السن حتى وان كان ذلك الاقطاع من اموالها الخاصة او انها ورثته من اهلها [٥] .

---

(١) حسين مقالات وبحوث ، ص ١٥٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٠.

(٣) السيد ، الحروب الصليبية ، ص٢١٨ . ٠

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢١٩ .

(٥) حسين ، مقالات وبحوث ، ص١٥٩ .

هـذا التشـدد يعطينـا صـورة واضـحة لمحاولـة الالتفـاف علـى حقـوق المـرأة ، لكـن يـأتي هنـا التسـاؤل : لمـاذا محـاولات الاقصـاء هـذه ، هـل لاجـل تمحـور السـلطة بيـد الحـاكم او السـلطان ، ام ان هـذا التشـدد بابعـاد المـرأة نـابع من ممتلكات تلك النساء والذي يشكل بحد ذاته موردا جيدا للامير ؟

ام ان هـذا الامـر مبـالغ بـه مـن لـدن المصـادر والحوليـات التـي كتبـت عـن اثـر المـرأة فـي الجانـب السياسـي ولا سـيما المصـادر التـي تناولـت ارتبـاط المـرأة الصـليبية بنظـام الاقطـاع ، نعنـي بـذلك انهـا قولبـت هـذه الفكـره واحتكرتهـا كـي يُقـال ان المـرأة كانـت قـد ظُلمـت ، وبالتـالي يعطينـا فكـره مهمـه عـن انهـا حينمـا اعطيـت الحكـم امـا وصـيته او حاكمـه هـذا جـاء لتبيـدل السياسـية الشـرعية للامراء الفرنج ؟

ربمـا يمكـن القـول بحـدود الانصـاف ان دسـتورية النظـام الاقطـاعي الـذي تكلمنـا عنـه قبـل قليـل ربمـا لـم يكـن يقصـد الحـط مـن حـق المـرأة الصـليبية ، ولا سـيما ان النظـام الاقطـاعي الـذي طبـق علـى الاراضـي غيـر الاوربيـة - الشـامية واراضـي الجزيـرة الفراتيـة – كـان نسـخة مـن النظـام الاقطـاعي الكبيـر المطبق في اوربا [1] .

وعلـى اي حـال فقـد وجـدنا مـا يؤيـد ان امـر حرمـان المـرأة مـن الاقطاعيـات ، وهـو مـا لحظنـاه فـي اعطاءهـا الاثـر المهـم فـي حكـم الـدويلات والمـدن ذات الحكـم الصـليبي المتنـاثره ، ولاسـيما نسـاء الامـراء واصـهارهم ، فضـلا عـن ان النسـاء الصـليبيات او المتزوجـات بـامراء صـليبيين كـانوا قـد وصـلوا الـى تـولي عـرش المملكـة نفسـها ، الامـر الـذي تحلـم فيـه امـرأة اوربيـة

([1]) بروار ، عالم الصليبيين ، ص١٢٨ .

اخرى من باقي مناطق اوربا كفرنسا مثلا ، [1] الامر الذي يوضح لنا مدى حب واهتمام هؤلاء الامراء الذين طبقوا نظاما لم يكن سائدا عنهم انذاك في اوربا ؛ وهذا بحد ذاته يعطينا مؤشرا ايجابيا يوضح دور المرأة الصليبية في صنع اثر مهم في نفوس الفرنج .

المبحث الثالث : الاثر السياسي للمرأة الصليبية في مملكة بيت المقدس :

مر بنا ان النظام الاقطاعي الذي فرضه الامراء والحكام الصليبيين كان له اثرا واضحا على تقييد حركة المرأة السياسية ، وقد علمنا ان ما جادت به المصادر من طمس دور المرأة واقتصاره كان امر مبالغ به ، وعند تتبع حكم المرأة في بيت المقدس وجدنا ان الامر كان فيه تساهلا كبيرا ، بُرر مرة بحب الامراء والحكام لزوجاتهم وشغفهم بها [2] ، ومرة اخرى للطمع باموالهن [3] ، الا ان هذا التبرير ربما يختلف زمانا ومكانا ، فقد اوضح ذلك الدكتور عبد الحفيظ [4] قائلا : " ان الملكية في البداية كانت انتخابية ، ومن ثم تحولت الى وراثية ، وان قاعدة الوراثة تقدمت وثبتت وانتصرت على مبدأ الانتخاب بصفة نهائية بحلول القرن الثالث لدرجة ان

١-Jean d, lbelin: op, cit, t. ٢, p.٢٢٩ : dodu , (g) : histoire des institutions monarchiques dans le rayoume latin de jerusalem , paris ١٨٩٤ , pp .١٠٦-١٠٧

(٢) الصوري ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٢٠١

(٣) Runciman, A History of the Crusades,vol.٢,p:١٠٣ .

(٤) محمد علي ، مشكلات الوراثة في بيت المقدس ، ط١، دار النهضة العربية (مصر : ١٤٠٥ هـ /١٩٨٤ م) ص١٣ وما بعدها .

البارونات عند اختيارهم ملكا يختارون زوجا للملكة ولم يبق للنبلاء عند تعيين رئيسهم الا العبارة المستعملة في الاحتفال بالتتويج "

ويعني عبد الحفيظ ان العبارة هي اجابة البطريق بكلمة نعم فقط ، اي ان النبلاء وجميع الطبقات بما فيها الدينية تتبع الحاكم في ذلك . ويضيف عبد الحفيظ قائلا [1] : " ان حق السيدات في الوراثة والحقوق المعطاة لهن في الوصاية على اطفالهن الصغار كانت مصانة محفوظة ، وان قوانين بيت المقدس لم تحرم النساء من عرش المملكة ، ... وفي مملكة بيت المقدس فأن التاج يعتبر كانه اقطاع وان النساء ورثن اقطاعيات قد استطعن على ادارتها بنفس الصورة " .

وقرن عبد الحفيظ اثر المرأة وقوتها بشرط زواجها قائلا [2] : " ولكن حقوق المرأة في بيت المقدس لم تكن لها قيمة حقيقية الا في حالة ما تزوجت ... " .ومهما يكن من امر فقد اقترن الاثر السياسي تأريخيا للمرأة الصليبية ولاسيما في حكم المملكة (بيت المقدس) بأسم زوجة بلدوين الثاني " مورفيا " وبناته الثلاث ((ميليسندا "ميليزاد" ، هوديرنا ، أليس)) فقد كان لهن دور كبير ، ارتبط بعض هذا الدور بالاثر العسكري والحربي لهن ، كما ارتبط بالاثر السياسي وطبيعة الوصول الى الحكم من جهة اخرى ولاسيما الوصول الى حكم مملكة بيت المقدس . ولتسهيل فهم دور المرأة الصليبية في هذا الغضون فقد ارتأينا ان يكون الكلام بحسب الاطار الموضوعي الذي يحكمه التسلسل الزمني طبعا ، لذا فسوف نتكلم على اساس دور بنات مورفيا الثلاث في السيطرة على مقاليد السياسة .

([1]) مشكلات الوراثة في بيت المقدس ، ص١٣ – ١٤ .

([2]) المصدر نفسه .

١: دور الاميرة ميليسندا السياسي .

"ميليسندا" او "ميليزاند" [١] هي الابنة البكر لبدوين الثاني ملك بيت المقدس ، وان بلدوين الثاني وكجزء من ستراتجيةٍ سياسيةٍ تزوج من مورفيا ابنة امير ملطية جبريل الذي احتمى به لاكثر من مره لصد الهجمات التي كانت تشن بين الحين والاخر من القوى العسكرية المحيطة به ، ولاسيما البيزنطية منها كما مر بنا ؛ وانجبت مورفيا من بلدوين الثاني ثلاث بنات كانت اكبرهن " ميليسندا " التي لعبت دورا كبيرا في حكم بيت المقدس .

تزوجت ميليسندا من الفرنسي فولك الخامس [٢] ، وهذا الزواج كان بموافقة بلدوين الثاني ومباركته وكان هدفه منه واضحا وهو لاتخاذ "فولك" وريثا للعرش بعد وفاة بلدوين ، ولاسيما ان بلدوين ليس لديه اولاد سوى بناته [٣] . كانت اولى التوجهات السياسية لميليسندا في حياة ابيها بلدوين الثاني ، فقد نقلت بعض المصادر انها كانت تتولى دور ابيها في المملكة فقد وردانها كانت توقع بعض الوثائق السياسية بمعية ابيها كما نصت على ذلك الحوليات

---

(١)ميسلندا وريثة عرش بلدوين الثاني تزوجت من فولك عام ٥٢٢هه/١١٢٨م تولت الحكم بعد وفاة زوجها وقد دخلت في صراع على العرش مع ابنها الملك بلدوين الثالث حينما حاولت الاستئثار بالسلطة ولكنه اضطرت في النهاية الى التنازل عن العرش والإقامة في مدينة نابلس .الصوري ،تاريخ ،ص ٦٣٦-٦٣٧ ،الشارتاري ،الاستيطان في بيت المقدس ،ص١٢٧ ،بروار ، يوشع ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (مصر : ١٩٩٩م) ص ١٢٩-١٣١ .

٢ (Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusades,p٩٠ .

٣ (Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusades,p١٠٣

الفرنسية : " والاكثر من ذلك انها كانت توقع مع ابيها الوثائق الرسمية بما في ذلك صرف الاموال واعطاء الاقطاعيات وغيرها من اشكال الرعاية ، وفي المرسلات الدبلوماسية ... " [١] وهذا يعطينا صورة مهمه عن بداية توجهات الاميرة للسلطة ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار انها مؤيدة من لدن ابيها بلدوين الثاني .

توج بلدوين الثاني ابنته وزوجها ، وابنها "بلدوين الثالث " العرش قبل وفاته سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١ م [٢] ، وقد دافع وليم الصوري عن هذا التتويج من جانبين الاول : قوة شخصية فولك الحربية اذ كان مقاتلا مبارزا ، مقداما ، فضلا عن كونه مهذب الطبع ولين الجانب " مع زوجته طبعا " [٣] ، هذا من جانب ، ومن جانب اخر برر وليم الصوري هذا التتويج بانه يمثل صمام امان يصون قيادة المملكة التي سوف تأتي بعد وفاته [٤] . ان اثر تقريب بلدوين الثاني لابنته الاميرة " ميليسندا " جاءت ثمارة بعد وفاته ، ولاسيما بعد ان اصبحت تشارك زوجها "فولك[٥] بالحكم ، ولا ننسى ان وصف فولك "باللين" كان مقصودا فهو يبرر لنا نوايا المؤرخين التي ترى ان الاميرة كانت لها سيطرة على مقاليد الحكم والادارة في القصر الملكي ، ولكن مما يخالف هذا القول هو اختفاء اسم الاميرة "ميليسندا" من

---

[١]) https://context.reverso.net/

[٢]) روزمان ، الحروب الصليبية ، ص ،١٧٥ .

[٣]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٧ وما بعدها،هانس ،تاريخ الحروب الصليبية ،ص١٦٠ .

[٤]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٩٩ .

(٥) فولك الانجوي :هوفولك الخامس كونت انجو وكان ارملا زار الأراضي المقدسة وكان على علاقة طيبة مع بلدوين الثاني وتزوج من ابنته ميسلندا عام ١١٢٩م وكان قبل تتويجه حاكما لعكا وصور ،رنسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢،ص٢٨٤ .

الوثائق الرسمية بعد التتويج مباشرة ، وبقي الامر منحصر باسم الاميرفولك فقد استأثر الاخير بمقاليد الحكم وبدء تدريجيا بابعاد الاميرة "ميليسندا" [1].ومن المهم ان نقول هنا ان اختفاء اسم الاميرة لا يعني انها ليس لها دور في الحكم بل ربما لان كفاءة "فولك" الادراية وحنكته غطت على اسم الاميرة ، فضلا عن ان الاميرة كانت محبة للملك حبا شديدا حتى ان وليم الصوري نقل لنا صورة الحب هذه ، عندما كانا سوية في رحلة استمتاع في ميناء عكا ، حتى طارد اللمك ارنبا كانت تركض خلفه الجموع للامساك به فكان الملك من المطاردين للارنب ومن سوء حظة وقت من جواده فأُغشي عليه حتى خرج الدم من رأسه وحينما وصل الخبر لزوجته الاميرة " فلما اخبروا الملكة عن مصرع زوجها الذي لم يكن متوقعا احست كان طعنة نجلاء اخترقت قلبها من جراء هذا الخطب ... فراحت تمزق ثيابها وتجذب شعرها " [2] ، وهذا يدل على عمق حبها لزوجها وشغفها له .وبعد وفاة "فولك" في عام ٥٣٥ هـ/ ١١٤١ م ، توج من بعده ابنه بلدوين الثالث [3] الذي سمي بهذا الاسم نسبة الى اسم جده لامه بلدوين الثاني ، الامر الذي جعل من امه الاميرة " ميليسندا "، ان تتحرك بقوة لتثبت حسن ادارتها للمملكة ، وكان لرجاحة عقلها وخبرتها بمختلف الامور الدنيوية والتي ورثتها من ابوها وعائلتها دورا كبيرا في نجاح ادارتها ، فقد استقلت بمقاليد الحكم هي وحدها ، وسيرت شؤون الدولة بمهارة بلغت من الدقة غايتها ، وربما ساعدها في ذلك ايضا رضا ولدها اللمك بتصرفاتها وادارتها كما قال وليم الصوري : " انها كانت مكافئة لاسلافها في هذا المجال ، وكان الشعب ينعم بما يرغب به من الطمأنية كما كانت امور المملكة تدبر بنجاح طالما كان ابنها راضيا ان يسير وفق مشورتها " [4].وهنا يمكن القول ان احداث تاريخية مهمه ذكرها المؤرخ وليم الصوري ، لايمكن ان نتجاوزها وذلك لاهميتها

---

(1) ص ٢٦٤ ، The Crusades، Oldenbourg طبع عام ١٩٦٦ .

(2) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢١٥ .

(3) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٣٣ .

(4) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٣٤ .

التاريخية كون وليم الصوري رواها عن رواة عاصروا الحدث وكان يعي اهميتها وقد قدم لها ولاهيمتها وليم الصوري قائلا : " وقد عرفت هذه التفاصيل من شيوخ معينين اكدوا تأكيدا باتا انهم كانوا شهود عيان لكل هذه الاحداث التي ذكرناها " [1].واعرب وليم الصوري في موضع اخر خاص بنقل الاحداث الخاصة بالملكة "ميليسندا" عن منهجه ايضا بقوله : " لقد تسنى لنا ان نجمع الاخبار التي نسوقها في الكتاب الحالي [2] ، حتى وقتنا هذا مما رواه الاخرون الذين ما زالت ذاكرتهم تعي اخبار الازمنة السالفة وعيا صادقا ، ولقد كابدنا اكبر المشقة في الحصول على الاخبار الموثوق بصحتها،ثم اوردنا ما وسعنا الجهد النبأ المحق عن هذه الاحداث ، الى جانب ما رأيناه بعيني رأسنا وشاهدناه بانفسنا وعلمنا ببعضه الاخر عن طريق العلاقة الوثيقة باناس كانوا شهود عيان لها حين وقوعها .، فاننا سوف ندرج بيسر وامانة بمشيئة الرب من اجل خير الاجيال التالية بقية هذا التاريخ ... " [3] .

([1]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٧٧ .

([2]) ويقصد به الكتاب السادس عشر في الترتيب المنهجي الذي سار عليه وهو جزء من الجزء الثالث في ترتيب هذه الطبعة من هذا الكتاب والذي خصصه بالملكة " ميليسندا" وابنها الوريث بلدوين الثالث .

([3]) ج٣ ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

اذن هذا المنهج الذي سارعليه وليم الصوري في ايراد الاحداث والذي كان عيال عليه كل من جاء ممن بعده من المؤرخين ولاسيما من غير العرب ، فقد وجدنا احداث مهمه تخص الملكة "ميليسندا" وكيفية ادراتها للمملكة التي توجت هي وابنها لادراتها ، ففضلا عما ذكرنا سابقا من حسن الادارة نورد هنا اهم الاحداث التي اشار اليها وليم الصوري وقد تغافل عنها من كتب قبله ، اما من جاء من بعده فكان عيالا عليه وسوف نسلسها بحسب اهميتها :

- ان النجاح الذي حققته الملكة "ميليسندا" اغاض اعدائها وبالتالي فقد تحرك عناصر وصفهم وليم بالطائشين ، كان هدفهم الاول والاخير ان ينتزعون الابن من وصية امه الملكة عسى ان ينفرد بالحكم ليحكم مملكه آباءه ، قائلين له : " انه ليس من اللائق ان يظل اللمك متعلقا بذيل مثله في هذا مثل اي شخص عادي ، في الوقت الذي ينبغي فيه ان يستقل بالحكم ولا يشاركه فيه احد [1] . وهنا تظهر رغبات اصحاب السوء الذين اردوا ان يجرون الملك الصغير الى مصاف الرذيله ويوقعون به .
- لقد تأثر الملك بكلام الحاشية وقرر ان ينصب نفسه ملكا على بيت المقدس دون امه منفردا ، وهذا الامر اغاض حكماء المملكة وتوسلوا اليه ان يعدل عنه فوافقهم الامر اول مرة ، الا انه اصر ان ينصب نفسه ملكا ، فخرج عليهم في يوم العيد وهو متوج بتاج الملك بعد ان اجل موعد الاحتفال الى يوم اخر حتى لا يتوج معه احدا [2] .

([1]) ج٣ ، ص ٢٣٤ .

([2]) ج٣ ، ص ٣٣٣ .

- من الاحداث المهمة التي ذكرها وليم الصوري هو موقف ابنها "عموري " الذي لم تطرق اليه المصادر بشكل مفصل ، بل انها همشت دوره الذي كان قد دافع عن امه حينما بدء اخيه بلدوين الثالث بالتحشيد على املاك امه وبدء بالتفكير بالتوسع على حسابها بمساعدة اصحابه الذين كان لهم دور في ابعاده عن امه ، ولكن " عموري" بمعية بعض النبلاء المخلصين للملكة حاول الدفاع عن امه الملكة ولكن دون جدوى فقد امطر بلدوين الثالث العلقة التي تحصنت فيها امه بوافر من الحجار والسهام .

مما تقدم يتضح لنا اهمية المرأة الصليبية في الواقع السياسي السائد انذاك اذ كانت محور التقلبات السياسية ، وفضلا عن ذلك كله فقد رأينا الاحداث المسكوت عنها والخاصة بدفاع الملكة " ميليسندا" عن مملكة زوجها الغائب "فولك" الذي كانت تحسب له كل الاقطاعيات حسابا لقوته وحسن تدبيره العسكري .

٢: دور الاميرة أليس في الحراك السياسي .

الاميرة أليس امها "مورفيا" [١] وابوها "بلدوين الثاني" حاكم بيت المقدس ، تزوجت أليس من الامير بوهيموند الاول حاكم انطاكية [٢] ، وكان بلدوين الثاني عندما زوج ابنته "اليس" من بوهيموند الاول ربما كان زوجا سياسيا [٣] وهو كجزء من المصاهرات السياسية التي تكلمنا عنها في المبحث الاول من هذا الفصل ، وقد ارجأنا الكلام عن زواج " أليس " من " بوهيموند " الى هذا المبحث بغية اعطاء صوره مهمه متكاملة – قد المستطاع طبعا – عن الاثر السياسي للمرأة الافرنجية . لذلك وقبل الدخول بدور " أليس " السياسي لابد لنا اول الامر ان نفهم اهم الاحداث التي ارتبطت بدورها السياسي في المنطقة والذي يأتي في مقدمته الخسارة الفادحة التي تلقاها الصيلبيون على يد المسلمين في معركة سميت بمعركة " ساحة الدم [٤] " لما لها من ارتباط مهم في سير الاحداث ، وفضلا معركة ساحة الدم فعلينا ان نفهم اولا احداث انطاكية نفسها .

كما يبدو واضحا من الاحداث التأريخية فأن الصليبين في حملتهم الاولى ارسوا دعائم حكمهم في المناطق المحيطة ببلاد الشام والمناطق المحيطة بها وما يهمنا من الامر في هذا المبحث هو محورية الاحداث

---

(١) عاشور ، الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٠ .

(٤) سميت كذلك لكثرة ما اهريق من الدماء فيها ، وقعت سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م كان فيها هزيمة الصليبيين في انطاكية على يد السلاجقة المسلمين بقيادة ايلغازي . ابن العديم ، كمال الدين ابي القاسم محمد بن عمر (ت:٦٦٠ هـ) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م) ص ٢٧٠- ٢٧٢ .

المحيطة بانطاكية نفسها ، اذ كما هو معروف ان انطاكية [١] اصبحت امارة صليبية منذ الحملة الصليبية الاولى (٤٩١ هـ) ، بعد حصار كثيف استمر اكثر من ٩ اشهر [٢] ، وبهذا اصبحت انطاكية من مدينة اسلامية الى مدينة صليبية ، ونظرا لجهود بوهيموند الاول العسكرية في الحملة الصليبية الاولى ، فقد اصبح اميرا على انطاكية ، وبوهيموند هذا هو شقيق روجر الاول ملك ايطاليا الذي سبق ان تكلمنا عن ارملته وطبيعة علاقتها ببلدوين الثاني . وبعد هذه الهزيمة اصبح بوهيموند الثاني اميرا على انطاكية ، وبما انه قد تزوج من "أليس" بنت بلدوين الثاني لذلك تدخل بلدوين الثاني تدخل مباشرة في حكم انطاكية وبقيت تحت وصايته [٣] .وبعد مقتل "بوهيموند الثاني " زوج أليس سنة ٥٢٤ هـ ، اثر صراعه في معركة مع الامير التركماني "الدانشمند " ، استغلت الفرصة الاميرة "أليس " وبعثت برسالة الى عماد الدين زنكي تطلب منه ان يحكم اقطاعيتها " انطاكية " وقد نقل لنا وليم الصوري الكيفية التي ارسلت بها "أليس" احد خدامها الخصوصيين بقوله ارسلت : " بهدية على هيأة جواد كالثلج في بياضه وكان مموها بالفضة التي صنع منها ايضا اللجام وما على السرج الذي كان قماشه الحريري الابيض ... " [٤] .

---

(١) راجع حول اقدم وثيقة باللغة الفرنسية تكشف عن حصار انطاكية وهي جزء من الحوليات الفرنسية الخاصه بالحروب الصليبية محفوظه في هذا الارشيف :

https://web.archive.org/web/

(٢) Runciman,A history of Crusads,vol.٣,p:٢٥٠

(٣) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٣-٧٥ .

(٤) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٤ .

ومن الغريب ان نجد ان أحد المؤرخين [1] الذي تعرض لتدوين "تطلعات المرأة الصليبية للسلطة " ببحث موسع اعزى حركة "اليس" وعصيانها لوقوف اهل انطاكية معها معتمدا في ذلك القول على المؤرخ وليم الصوري ، وحينما رجعنا الى مورد الخبر فلم نجد ذلك صحيحا ، اذا وجدنا ان اهل انطاكية قد نصحوا الاميرة " أليس " على ترك الاقدام على هذه الخطوة الا انها رفضت واستبدت برأيها ، وهذا نص ما قاله الصوري : " فقررت انفاذ الرسل الى زعيم تركي شديد البطش تخيرته من بين الجمع اسمه عماد الدين زنكي راجية ان يعينها فتستبقي انطاكية خالصه لها وحدها على الدوام ، لقد فعلت ذلك على الرغم من معارضة كبار رجالها ومعارضة الشعب كله لها في هذه الخطة " [2] .

الا ان هذا الرسول قد كشف من لدن رجال الملك بلدوين الثاني وبطش به وقتله ، وسامح ابنته بعد ان طلبت منه العفو ، فعفى عنها وابعدها الى اللاذقية وجبلة المدينتين اللتين اوصى بهما زوجها "بوهيموند" كصداق لها قبل الزواج [3] .

وهنا نرى ان هذه الخطوة التي خطتها أليس كانت سابقة خطيرة من امرأة صليبية والدها ملك بيت المقدس ، كشفت لنا السلوكيات التي اتبعتها المرأة الصليبية والتي اثرت بشكل مباشر في حركة التاريخ الصليبي ، فهذا التاريخ

([1]) الزنكي ، جمال الدين ، تطلع المرأة الصليبية للسلطة وصراع القوى في المرحلة المبكرة ٥٢٤-٥٥٦ ، مجلة حوليات الاداب والعلوم (الكويت :١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) الحولية ٢٩ ، ص ٤٠ .

([2]) سميث ،تريخ اوكسفورد للحروب الصليبية ،ص١٨١ ،الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٤ .

([3]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٥ .

قد دون تلك السلوكيات ، وان العقوبة التي مني بها ابناء انطاكية بعد ان دخلها بلدوين بقوة حربية كبيرة كانت عقوبة الاسراف بقتل الرسول فضلا عن معاقبة ابناء المدينة ابناء المدينة نتيجة وقوفهم مع ابنته "اليس" [1] .

وبعد سيطرة بلدوين الثاني على انطاكية عاد مسرعا الى بيت المقدس ومرض وتوفي بعد عامين فقط من عودته من انطاكية سنة ١١٣١م [2] .

الامر الذي دعا اليس الى التفكير مرة ثانية بالخروج من وصاية الملك وان تعقد اتفاق مصاهرة مع بيزنطة هذه المرة اذ ارادت تزويج بنتها "كونستانس" ، فضلا عن هدفها الاسمى وهو الانفراد بالسلطة ، والاستقلال بها ، الا ان النبلاء من ابناء الامارات الصليبية منعوا هذا الاتفاق وخيبوا أمل " أليس" وبقيت بعيدة عن السياسية وتركت انطاكية وتوفيت بعيدة عنها في اللاذقية [3] .

المبحث الرابع : اثر المرأة المسلمة في الصراع الافرنجي الاسلامي .

من المهم هنا ان نقف عند الاثر الذي لعبته المرأة المسلمة في زمن الصراع الافرنجي الاسلامي ، وقد ركزت المصادر التاريخية على اثر المرأة السلجوقية في تلك المرحلة وربما يعود ذلك الى عدة اسباب ، الاول : ان الحراك السياسي كان انذاك موجه بيد الصليبيين كقوى عظمى يقابلهم الاتراك الذين مما لاشك فيه لعبوا دورا سياسيا وعسكريا مائزا في الاحداث انذاك ، هذا من جانب ومن جانب اخر هو مزامنة حكم الاتراك مع الزحف الصليبي ولاسيما على بلاد الشام ، وقد اضاف احد الباحثين سببا ثالثا مهما

---

(١) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٥ .

(٢) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٧ .

(٣) روزمان ، الحروب الصليبية ، ص ٢١٠ وما بعدها .

يعطي لنا صورة واضحة عن سبب تركيز المصادر على دور المرأة السلجوقية في الصراع وهو : ان دور المرأة السلجوقية لم تسبق اليه المرأة في العصور الاسلامية التي سبقت عصر الاتراك السلاجقة ، لذلك كان لابد ان يكون للتراث القبلي لقبائل الغز التركية التي ينحدر منها السلاجقة التاثير الاكبر في هذا الدور [١] .

ومن ناحية اخرى فان النساء السلجوقيات قد لعبن دورا مهما قبل اسلامهن في ادارة سلطة القبيلة كانت المرأة في تحت ظل القبيلة فقد شاركة الرجل في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و العسكرية الحربية ، فامتهنت حرفة الرعي ، وشاركت الرجال في الحروب ، فقد وصفت النساء السلجوقيات بأنهن مصارعات صلبات ، يسابقن الخيول ، فقد كن النساء الغزيات يمارسن قبل قيام الدولة السلجوقية مهام عسكرية و سياسية في القبيلة، و هو الأمر الذي انعكس على دورهن المميز بعد قيام الدولة السلجوقية [٢] ؛ وهذا يعطينا فكرة مهمه عن العمل الذي ستظهر به المرأة السلجوقية ابان الحروب الصليبية فسوف نشهد اثرا يضاهي اثر المرأة الصليبية بل يفوقه في بعض الحالات ولاسيما اثرها في الاغتيالات ، لذلك ركزت المصادر الاسلامية على دور المرأة المسلمة في السعاية للوصول الى السلطة حتى وان كلف ذلك الوصول اغتيال اقرب الناس اليها وهذا ما سنراه في هذا المبحث .

---

(١) عقلة ، المرأة والسلطة ، ص ٢ .

(٢) السعيد ، غنيمة عبد الكريم ، الدور السياسي لنساء البلاط السلجوقي "مقال منشور في الموقع " https://drfaisalalwazzanblog.wordpress.com/ " تاريخ النشر : ٢٦/٠٧/٢٠١٦ ، تاريخ الدخول للموقع : ١٠-٤-٢٠٢٢ م .

١: دور الخـــاتون ترنجـــان : وهـــي زوجـــة الســـلطان طغرلبـــك ، وقـــد نقـــل الراوندي اهمية ثرواتها التي منحت من لدن السلطان طغرلبك [١].

ويمكـن تحديـد دورهـا فـي الـدفاع عـن زوجهـا عنـد صـراعه مـع البساسـيري بمـا نقلـه لنـا الخطيـب البغـدادي قـائلا : " **فعزمـت خـاتون وابنهـا انوشـروان والكنـدرى علـى المسـير إلـى همـذان لانجـاد طغرلبـك واضـطرب أمـر بغـداد اضـطرابا شـديدا وارجـف المرجفـون بـاقتراب البساسـيري فبطـل عـزم الكنـدرى علـى المسـير فهمـت خـاتون بـالقبض عليـه وعلـى ابنهـا لتركهمـا مسـاعدتها على انجاد زوجها ففرا إلى الجانب الغربي من بغداد** " [٢] .

ويـذكر الاصـفهاني كيفيـة دفـاع الخـاتون ترنجـان عـن زوجهـا طغرلبـك قـائلا : " **فـي سـنة ٤٥٠ هـ انـتقض علـى طغرلبـك أمـر الموصـل فقـد كـان اسـتخلف بهـا الأميـرين أردم و بـاتكين فتصـدهما البساسـيري و قـريش بـن بـدران و حاصـرهما أربعـة أشـهر و أخرجهمـا بأمـان فعـاود طغرلبـك الخـروج إلـى الموصـل لطلـب الـداء المعضـل و نصـب بنصـيبين مضـاربة فخالفـه ابـراهيم ينـال خالعـاً للطاعـة و مضـى إلـى همـذان ناويـا للمنـاورة فسـار السـلطان و راءه مـن نصـيبين إلـى همـذان فـي سـبعة أيـام و نفـذَّ وزيـرة عميـد الملـك و زوجتـه خـاتون إلـى مدينـة السـلام، ثـم كتـب إلهمـا يسـتدعيهما فتمسـك بهمـا الخليفـة، ... ، وسـارت خـاتون تطلـب السـلطان، و لحـق بهـا ولـدها أنوشـروان و ذلـك**

([١]) الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان ، راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة : ٢٠٠٥ م) ص ١٥٧-١٥٨ .

([٢]) الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت : ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م) ج٩ ، ص ٤٠٨ .

في سنة ٤٥١هـ " [١] . وهذا يدل على قوة الخاتون وتمكنها العسكري في قيادة الجيوش .

٢ : صفوة الملك زوجة السلطان تاج الدولة تتش :

عملت صفوة الملك على سم ولدها دقاق ابو نصر شمس الملوك بن السلطان تاج الدولة تتش بن السلطان الب ارسلان السلجوقي [٢] ، وقد اكد سمه من قبل والدته الذهبي بقوله : " **أمه سمته ، رتبت له جارية سمته في عنقود عنب نخسته بإبرة مسمومة ، ثم ندمت أمه ، وتهرى جوفه ، ودفن بخانقاه الطواويس** " [٣] .

ولم يقف لمن ذكر هذه الحادثه على سبب اقدام صفوة الملك على هذا العمل وهو قتل اقرب انسان اليها ابنها ، ولم نجد تعليلا لفعلتها هذه الا عند ابن عساكر الذي نقل لنا الحادثه وارجع في ثانايا حديثه السبب ان دسيسه قام بها زوج امه " طغتكين " فنجح في النيل منه بقوله : " **ابو نصر المعروف بالملك شمس الملوك ولي إمرة دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة في سنة سبع وثمانين وأربع مائة ، وكان بحلب فراسله خادم لأبيه اسمه ساوتكين كان نائبا لأبيه في قلعة دمشق سرا من أخيه رضوان بن تتش صاحب حلب**

---

(١) عماد الدين الاصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (ت : ٥٩٧ هـ) تاريخ دولة ال سلجوق مطبعة العربية مطبعة الموسوعات (مصر :١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) ، ص ١٥ .

(٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ) سير اعلام النبلاء ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ج١٩، ص ٢١١ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٢١١ .

فخرج دقاق إلى دمشق وحصل بها وأجلسه ساوتكين في منصب أبيه ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأبي بكر زوج أم الملك دقاق " [1] .

٣ : زمرد بنت جاولي :

زمرد خاتون هي زوجة الملك تاج الملوك بوري ابن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق ، اقدمت على قتل ولدها شمس الملوك اسماعيل ، وبحسب المصادر فقد كان سبب قتلها لولدها هو تماديه في الحكم وظلم الناس ، فاقدمت على قتله في عام ٥٢٩ هـ ونقل لنا ذلك الذهبي بقوله : **" فكاتب الاتابك زنكي ليسلم إليه دمشق ، فخافته أمه زمرد والامراء ، فهيأت أمه من قتله ، لانه تهددها لما نصحته بالقتل ، وكانت الفرنج تخافه لما هزمهم ، وبيتهم ، وشن الغارة على بلادهم ، وعثرهم ،... بالغ في الظلم ، وصادر وعذب ، ولما علم بأن زنكي على قصد دمشق ، بعث يستحثه ليعطيه إياها لهذيان تخيله ، ويقول : إن لم تجئ ، سلمتها إلى الفرنج ، كتب هذا بيده ، فأشفق الناس ...قتل في ربيع الاول سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، وله ثلاث وعشرون سنة ... "** [2] .

([1]) ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت: ٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ج١٧، ص ٣٠٤ .

([2]) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩، ص ٥٧٦ .

وقد تضاربت الاراء في اقدام زمرد خاتون على قتل ابنها فذهبت بعض الاراء ان سبب هذا الاقدام ان ابنها كشف عن علاقتها غير الشرعية مع احد القادة فعزم على قتلها ، فقتلته قبل ان ينفذ ما يريد [١] ، وعزى الذهبي ذلك الى تماديه بالظلم في الحكم [٢] . ربما نجد في رأي ابن الاثير اقرب الى الصحة ، فليس من الممكن ان تقتل امرأة ولدها لتماديه في الحكم ولاسيما اذا لحظنا درجة القرب بينها وبينه .

ويضيف لنا ابن القلانسي رأي اخر مبهم في حسم الخاتون المسألة بقوله : **" تأملت في الامر تأمل الحازم الاريب والمرتأي المصيب ، ولم تجد لدائه دواء ، ولا لنفسه شفاء ، الا بالراحة منه فصرفت الهمة الى مناجزته وارتقبت الفرصه في خلوته ... "** [٣] .

٤ : ضيفة خاتون بنت الملك العادل الايوبي .

كانت ضيفه خاتون جليلة القدر طويلة الباع في السلطة فقد تولت امر السلطة لاول مره عند وفاة زوجها وتولي ابنها الملك العزيز الذي كان عمره انذاك ٤ سنوات [٤] ، **"وكانت ملكة جليلة عاقله ، تصرفت تصرف السلاطين ونهضت بالملك اتم نهوض "** [٥] ، وبعدها تولت ضيفه خاتون الحكم جنبا الى جنب مع حفيدها الناصر يوسف عند وفاة والده ، حتى ابن

---

(١) ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)ج١١ ، ص ٧-٩ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩، ص ٥٧٥- ٥٧٦ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٥.

(٤) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ) تاريخ الاسلام ، ط٢ ، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م) ج٤٦ ، ص ٢١١ .

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٦ ، ص ٤٣٧ .

ابـن العـديم يقـول فـي قـوة حكمهـا : " **فكـانوا لا يبرمـون امـرا الا بعـد الرجـوع اليها ...** " [1] .

وصــفها الصــفدي بقولــه : " **كانــت عادلــة فــي الرعيــة كثيــرة الاحســان والتحـنن الـيهم والشـفقة بهـم ازالـت المظـالم والمكـوس عـن جميـع الـبلاد ، ومـا قصدها احد الا ورجع مجبورا** " [2] .

([1]) زبدة الحلب ، ج١ ، ص ٤٩٥ .

([2]) صلاح الدين ابو الصفاء خليل بن ايبك (ت : ٧٦٤ هـ) الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الارنأووط ، دار احياء التراث (بيروت : ٢٠٠٠ م) ج٥ ، ص ٢٥٠-٢٥٢ .

المبحث الاول : تقييم المصادر الاجنبية والعربية لتواجد المرأة الصليبية العسكري .

ان المطلع على احداث التاريخ العسكري ومجريات الحروب يجد ان القادة او الساسة كانوا يتخذون على مر الازمان شعارا تنطوي تحته الحروب سواء كان شعارا دينيا ام وطنيا لاستثارت عواطف الشعوب وضمان تأييدهم ومشاركتهم في نزاعات كانت حقيقتها خدمة مصالح الحكام فحسب.

وهكذا كانت انطلاقة الحروب الصليبية ، فقبل البدء بالحديث عن اثر المرأة العسكري في الحروب الصليبية لابد من التعريج على بداية الحرب الصليبية ومعرفة الاساس التي قامت عليه الحرب ليتسنى لنا تبيان اسباب مشاركة المرأة و اثر مشاركتها في تلك الحملات التي اخذت الطابع الديني . فكانت الحملة الصليبية بين عامي (٤٨٨هـ /٤٩٥هـ ١٠٩٥م/١١٠٢م) هي أولى الحملات العسكرية التي شنت من قبل الجيوش الاوربية لاستعادة الديار المقدسة (مدينة القدس) من ايدي المسلمين اشعل شراراتها البابا أوربان الثاني ([1]) الفرنسي الاصل ([2]) ، بعد طلب من الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس الأول (١٠٨١-١١١٨) م ؛ وقد شارك فيها فئات متنوعة من الاوربيين ، ففضلا عن

([1])البابا اوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩) م انتخب لمنصب البابوية في روما عام ١٠٨٨م كان أوربان إصلاحيًا متشددًا مثل من سبقوه من البابوات، حيث عقد سلسلة من المجالس لحفز الإصلاح الأخلاقي والتنظيمي للكنيسة ، عقد أوربان عام١٠٩٥م ، مجلسا حافلاً في مدينة كليرمونت بفرنسا ، وبالرغم مما أصدره هذا المجلس من قرارات إصلاحية مهمة ، فإن أكثر مايشتهر به هذا المجلس هو إطلاق الدعوة لما أصبح يُعرف بعد ذلك بالحملة الصليبية الأولى . ينظر : https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول للموقع : ١١-٤-٢٠٢٢ م .

([2]) حسن حبشي ، الحملة الصليبية الاولى ، مطبعة الاعتماد (مصر : بدون تاريخ) ص١٧ .

الجنود العسكريين ، فقد شارك فيها عامة الناس من رجال دين وتجار وغيرهم اطلق عليها الحملة العامة ([1]).

كان السبب المباشر للحملة ، هو استعادت الديار المقدسة من المسلمين ، وكان للخطبة التي القاها البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت في فرنسا سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) تأثيرا عميقا على نفوس السامعين، حيث اعلن البابا انه سيغفر ذنوب كل مشارك فيها ([2]) .

ومما ورد في خطبته انه قال : " **يا شعب الفرنجة ، يا شعب الله المحبوب المختار ، لقد جاءت من تخوم فلسطين ، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد ، بلاد المسيحيين في الشرق ؛ قلب موائد القرابين المقدسة ، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها ، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم ، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب ، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم ، وقطعوا أوصال الإمبراطورية البيزنطية ، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين** "([3]) .

([1]) ابو خليل ، شوقي ، الحروب الصليبية اسبابها . احداثها . نتائجها ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠٩ م) ص٢٢ .

([2]) غروسيه ، رنيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الاسلامي وشرقي حوض البحر المتوسط ، ترجمة د.احمد ايبش ، ط١ ، مطبعة ابو ظبي (الامارات : ٢٠١٤ م) ص ٣٠-٣٣ .

([3]) https://arabi.com/story/ تاريخ الدخول للموقع : ١٢-٤-٢٠٢٢م

وقال ايضا : " **أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال ، وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم ؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم - أمجاد شارلمان وعظمته ، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم ، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا - الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة** " ([1]) .

اخذت الحملة مظهر النضال المقدس ، فقد قاد الحملة بطرس الناسك ، وعلى الرغم من الشعارات التي رفعتها الكنيسة ، الا ان الافعال التي قام بها افراد الحملة بينت الدوافع الحقيقة للحملة، حيث كانت دوافع سياسية محضة حيث التكتل المسيحي الغربي ضد الاسلام في الشرق ([2]) .

ومن الجدير بالذكر ان البابا اوربان الثاني بتصريحاته قد اعلن الحرب الدينية بين المسلمين والصليبيين ، فلا ينفك يستعمل الالفاظ ويأتي بالصور التي تجسد كفر المسلمين ووثنيتهم ، وهمجيتهم واتباعهم للشياطين ، تلك الصور والالفاظ التي ترسم صورة ايمانية للمسيحيين فهم امناء الله وجيش المسيح المغفورة ذنوبهم المعتدى عليهم ، وبذلك فقد حقق اوربان الثاني التوليف المثمر بين الحج التكفيري والحرب العادلة ضد الوثنين ([3]) .

([1]) https://arabi.com/story/ **تاريخ الدخول للموقع : ١٢-٤-٢٠٢٢م**

([2])**حبشي ،الحملة الصليبية الاولى ،ص ٢٩ .**

([3]) **عبد الرحيم ، رائد مصطفى ، وسائل الدعاية الصليبية (صور المسلمين في ادب الرحلات الاوربية والروسية الى الاماكن المقدسة في العصور الوسطى انموذجا) مجلة جامعة الازهر بغزة ، مجلد ١٣ ، العدد ١ ، ٢٠١١ م ، ص ١٦٩ .**

وقد تعددت صور الدعاية وصور التحشيد للحرب عند الصليبيين فمنها ما استغلت الادباء والشعراء كي يتغنون بقصائدهم واشعارهم والتي تنوعت مادتها العلمية التي تصف الارض المقدسة بأوصاف تدل في ظاهرها على الركون الى الدين والتدين ولكن في باطنها تدل على تهييج الشارع الاوربي نساء ورجال للولوج بالحرب ، ومنها ما كان يصف المسلمين بالكفر والوحشية ، من امثلة ذلك ان الشعراء الذين كانوا من المشاركين بالحملات الصليبية تغنوا بلغة شعرية تتكلم عن تمجيد افعال الصليبيين وتحريضهم الى الحج في الاماكن المقدسة ، ومنها ما كان يدل على الوعد بالغفران وارجاع هذه الحروب الى ارادة الرب المسيح .... ؛ ومن هذه القصائد الحماسية قصيدة الشاعر الفرنسي (روتيبيف) التي صور فيها حملة لويس التاسع والنهاية المأساوية له اذ قضى غرقا : **" ان الموت قد سبب لي خسارة كبيرة وانت ايضا ايها الملك الطيب في رحلتين ، فقد انتزع اناس صالحين مني كما فعل الحج الى تونس البعيدة ، وهو مكان همجي ، وكذلك فعل الاشرار الذين لأرب لهم ..."** ([1]) .

لاحظ كيف يصف المسلمين انهم لأرب لهم وانهم همج وهذا جزء مهم مقصود من لدن الدعاة الصليبيين الذين كانت خطواتهم يبدو انها مدروسة والا كيف حشدوا هذه الالف من المشاركين ولا سيما انهم ليس من الاناس العادين بل سوف يمر بنا في المبحث العسكري للنساء انه هناك ملكات اوربيات من بين المشاركات وهذا يعني ان الدعاية اخذت تأثيرا واضحا على عقول الناس .

([1]) عبد الرحيم ، وسائل الدعاية الصليبية ، ص ١٧٣-١٧٤ .

كما ورد عن لسان شاعر فرنسي مجهول سنة ١١٤٦ كلمات حماسية ربطت عمل الفرسان الصليبيون برضا الرب ودعوته المقدسة : **" أيها الفارس إنّك حقّاً محظوظ لأن الرب دعاك إلى مساعدته ضد الأتراك المسلمين الذين ارتكبوا مثل هذه الأمور الفظيعة ضده فقد استولوا على ضيعته دون وجه حقّ ويجب حقاً أن نأسى لهذا لأنّه حدث هناك لأول مرة أن عبد الرب وتم الاعتراف به رباً "** (١) .

ولعله من المهم بعد هذه التقدمة ان نأخذ نماذج من اراء المصادر العربية والاجنبية التي استعرضت تحرك المرأة العسكري وقد ارتأينا ان نستعرض ما قالته المصادر بهيكلية عامة عن هذا الدور والشكوك التي راودت المؤرخين حول تواجد المرأة العسكري ، والتي عكست لنا الاثر الذي خلفته المصادر الغربية عن التواجد الصليبي في المنطقة العربية بصفه عامة ، وعن المرأة بصفة خاصة ؛ فمما لا شك فيه ان المرأة الافرنجية كان لها دور مهم وبارز في الحروب الصليبية ، فأضافه الى دورها السياسي الذي مربنا في الفصل الاول ، نجد ان لها دورا في الاحداث العسكرية ؛ وعلى الرغم من اننا لم نجد في المصادر التي رجعنا اليها الا شذرات عن دورها العسكري ولكنها كانت مهمه في فهم الاحداث السياسية والحراك التاريخي وفي سلوكيات المرأة الافرنجية ابان الحروب الصليبية .

---

(١) ميخائيل روتليدج ، الاغاني نقلا عن : عبد الرحيم ، وسائل الدعاية الصليبية ، ص ١٧٣-١٧٤ .

وربما لم نكن خاطئين في القول ان أول اشارة لوجود النساء في ميدان القتال انها كانت في الحملة الصليبية الاولى التي امر بها البابا اوربان الثاني ، التي انخرطت بها اعداد كبيرة من النساء كما اشار الى ذلك الدكتور سلامة ([1]) بقوله : " **وجدت اعداد لا يستهان بها من نساء الغرب الاوربي فرصتها للانخراط في صفوف المقاتلين الصليبيين لاستكمال مشروع تحرير قبر السيد المسيح وانهاء الوجود الاسلامي في الارض المقدسة ، وقد عدت النساء في هذه الحملة العسكرية بالألاف دون تحديد** " .

ومن المهم ان نذكر هنا ان الدكتور سلامه في نقل معلومة مشاركة النساء اعتمد بها على وليم الصوري تتعلق بلقاء الطرفين (السلجوقي والصليبي) في ميدان المعركة ، وقد سميت تلك المعركة باسم المدينة التي اقتحمها الصليبيون وهي مدينة نيقيه (تركيا الحالية) " ([2]) ؛ واضاف الى ما ورد بقوله : " ومما يؤكد بلاء النساء في هذا القتال الذي استمر قرابة خمسة اسابيع ما ورد على لسان وليم الصوري " ([3]) .

([1]) سلامة ، جلال ، دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الاولى على الارض المقدسة ، ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، مجلة جامعة النجاح للابحاث الانسانية ، فلسطين ، المجلد ٢٨ ، العدد ١٢ ، ٢٠١٤ م ، ص ٢٧٤٠ .

([2]) سلامة ، دور النساء ، ص ٢٧٤٠ .

([3]) المصدر نفسه .

وحين الرجوع الى كتاب وليم الصوري لم نجد ان المعركة استمرت خمسة اسابيع ، بل ان كل ما ذكره وليم النص الاتي : " **ويقال ان العدو [ويقصد به السلاجقة] ما يقرب من ثلاثة الآف رجل من رجاله الاقوياء البارزين من اصحاب المكانة الرفعية في قومهم ، كما سقط في تلك المعركة أربعة الآف من عامتنا ، ومن الطبقات الدنيا من الرجال والنساء على السواء** " (١) ، ولا نعلم على اي اساس اعتمد الدكتور سلامة في ذكر العدد اعلاه ، فهذا كل ما ورد عن وليم الصوري في مشاركة النساء .

وعلى الرغم من ان وليم الصوري قد فصل في ذكر المعركة واللقاء والاسلاب التي حصل عليها الصليبيين من الاتراك السلاجقة ، الا انه في ذات الوقت اشار الى ان هناك قتلى من النساء الصليبيات المشاركات بالحملة ، ويأتي التساؤل هنا : هل القتل الذي شمل النساء في هذه المعركة حدث بالاشتباك العسكري ام ماذا ؟ واذا كان النصر حليف الصليبيين فلماذا هذه الاعداد في القتلى ؟ كما قال وليم الصوري : " **كما سقط في تلك المعركة أربعة الآف من عامتنا** " (٢) ، كما هو واضح كان يقصد من كلمة (عامتنا) اي الصليبيين لأنه مؤرخ صليبي ، وكان مائلا في كتاباته للصليبيين بقوله : " **واخذت صفوف الترك برمي نفسها على قواتنا [اي على الصليبيين] ممطرة اياها بوابل هان من السهام كأنها المطر الدفاق ، فسدت الافق ، حتى انه ما من احد من المقاتلين الصليبيين الا**

---

(١) **الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٧ .**

(٢) **المصدر نفسه .**

وقد اصابه جرح لتوالي السهام ، ... ومع ذلك فقد استمروا يقاتلون خصومهم بالسيوف والحراب ... " [١] .

ولم نعلم من الصوري هل ان مشاركة النساء قتاليا ام مشاركة صحبة في الجيش ؟ .

فأنه من المعلوم بطبيعة الحال ان الجيوش الاوربية كانوا يحملون نسائهم معهم لسد حاجاتهم من تحضير الاكل وما شابه ذلك ، ولاسيما في هذه الحملة ، فمرة بدافع عقائدي (تحرير قبر المسيح كما اشرنا) ومرة اخرى بدافع الصحبة لأزواجهم في الحرب وذلك لطول مدة المكوث [٢] .

ولعلنا اذا ما رجعنا الى خطبة البابا اريان الثاني فنجد في ثناياها ما يؤيد مشاركة المرأة الافرنجية بدافعية ، اذا ان الخطبة تضمنت وقفات عقائدية كانت تدفع المشاركين الى التوجه منها مثلا : " **ان البابا اشار الى منح غفران جزئي لكل من سيشارك في هذه الحملة سواء مات في الطريق الى الارض المقدسة ، او قتل في الحرب ضد المسلمين** " [٣] ؛ هذا الامر اعطى طاقة دافعية للمشاركات من النساء في الحملة .

---

(١) الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢١٩ .

(٢) فوشيه ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٤٦ .

(٣) قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ١٠٦ .

وعلى الرغم من ان البابا قد منع مشاركة النساء في الحملة – على رأي البعض من المؤرخين (١) – الا ان المشاركة جاءت بقوة من قبل النساء .

ومن المهم هنا ان نقف قليلا عند المقال الذي نشره الدكتور ديفد (David) والذي جاء تحت عنوان : did woman fight in thecrusades" وبالعربية :

((**هل قاتلت النساء في الحروب الصليبية**)) ؟ ، استعرض فيها المبالغة التي ذكرتها المصادر الاجنبية في كيفية مشاركة المرأة الصليبية في الحروب الصليبية بقوله : " **ان مشاركة النساء الصليبيات في الحروب الصليبية ولاسيما الاولى امر مبالغ فيه ، وان هذا الامر مشكوك فيه بعض الشيء** " (٢)ويضيف بقوله : " **ان اكثر من تسعين شخص حملوا الصليب للخروج الى الحرب** " (٣) ، دلالة على فتوة البابا بالذهاب للقتال المقدس .

وقد قسم " ديفد " مشاركة النساء على عدة انواع ، فمنهن النساء اللواتي تزوجن بالرجال ابان الحملة ، والاخريات اللواتي اصلا متزوجات ورافقن ازواجهن في الحملة ، وربما – والقول لديفيد – ان سبب خروجهن اضافة الى السبب العقائدي ، انهن اغرتهن الاموال ما دعا الى مشاركتهن في الحروب الصليبية (٤) .

---

(١) **ينظر : Runciman ,the history of ... p;١٠٠-١٠٤ .**

(٢) **David, did woman fight in the crusades,p١ . ينظر المقال في الموقع : https://www.historyextra.com/period/medieval تاريخ الدخول للموقع ٧-٣-٢٠٢٢ م .**

(٣) **David, did woman fight in the crusades,p١ .**

(٤) **David, did woman fight in the crusades,p٢ .**

ويعطينا " ديفيد " سببا مهما لقلة المادة التي تعرضت لدور المرأة في الحروب الصليبية ولا سيما العسكري منه بقوله : " كان لمؤلفي روايات الحروب الصليبية سببان رئيسيان لتجنب موضوع النساء ، اولا : كان الحملة بطبيعتها مهمة عسكرية وقد طغت على النساء الاعمال القتالية للرجال لذلك تم تهميشهن ؛ والثاني : ربما كان لخطاب البابا – بحسب رأي ديفيد - اثرا مهما في كون وجدود المرأة يمثل عائقا للرجال ابان الحملة الصليبية " [1] .

وربما نجد ان كلام **ديفيد** فيه نسبة من الصحة في هذا الباب ولكن ما هو قوله في الاعداد المشاركة في الحملة من النساء ؟ .

ربما تكشف لنا الصفحات القادمة عن وجود النساء الواضح في الحملات الصليبية كلها والتي شكلت عنصر فساد وغضب الى الحد الذي قرر فيه اعدام مرتكب الفساد مع العاهرات من النساء على حد قول وليم الصوري : " **صمموا [الصليبيين] على تطهير المعسكر من كل عاهر وامرأة كريهة السمعة ، وجعلوا الاعدام عقوبة للفحشاء والفجور بشتى انواعه ...** " [2] .

---

(1) David, did woman fight in the crusades,p2 .

(2) تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص ٣٠٠ .

ومن جانب اخر يذكر ما كان للمرأة من دور كبير قامت به المرأة الافرنجية منذ الخطوات الأولى للحركة الفرنجية الصليبية في بلاد الشام؛ خروجهن لإسعاف الغرباء، وإسعاد الجنود الصليبين والترفيه عنهم بتسبيل أنفسهن لهم للاستمتاع بهن حتى لا يتسرب الملل إلى نفوس المحاربين في الغربة، وقد أشارت المصادر العربية والغربية المعاصرة إلى قيام المرأة الإفرنجية (الصليبية) بإمتاع الجنود الصليبين، لاعتقادهن أن بعملهن ذلك عبادة، إذ أن الجيش الصليبي الذي حاصر أنطاكية؛ كان يحتوي على عدد من العاهرات [١]، فذكر العماد الأصفهاني أنه في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م عن استقدام النساء من الغرب من أجل ترفيه الجنود الصليبيون بقوله: " وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، وقد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء (...) فوصلن وقد سبلن أنفسهن، وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن وذكرن أنهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن، وأنهن لا يمتنعن من العزبان، وأنهن لا يتقربن بأفضل من هذا قربان" [٢].

---

(١) Baldric of Dol: Historia Jerosolim,p.٣٤
Michael: Women and War, p.٧٣. وانظر أيضا. أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ج٣١، ص ٣١. معلوف، الحروب الصليبية، ص ٢٥. برندويج، جيمس، الدعارة، ص ١٧٣

(٢)العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ١٨٦، ١٨٧. ، أبوشامة، الروضتين، ج٤، ص ١٠٥

وكما ذكر ابن كثير : " فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطرب"[١] ؛ ليثبتوا على الحرب و الغربة [٢].

أما ول ديوار انت فيقول :" لقد قدمت العاهرات للغزاة متعة أشد خطرا من السكر" ([٣]). ولقد وصف أحد الإفرنج عادة النساء فقال : رحن يجرن أذيال الفجور؛ إذ كن يفدن بالمراكب والزوارق، وهنا يتألم ويقول : رحماك اللهم ! أبمثل هذا السلاح يسترد ميراث الرب [٤]

ويوضح جوانفيل الوضع عشية استيلاء الفرنجة على دمياط عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٨م بأن البارونات قاموا بإعداد الاحتفالات و الولائم العظيمة بينما معظم الجيش فقد انصرفوا لمعاشرة الساقطات [٥].

فكان لهن تأثير سيء على كلا الطرفين، أما على الجانب الافرنجي (الصليبي)، نجد أن الدعارة انتشرت في صفوف الجيوش الافرنجية الصليبية [٦]، فقد لوثن الجيش برذائلهن، وأدي إلى انتشار العديد من الأمراض بين الجنود[٧]، فقد أثر ذلك تأثيرا سلبياً على قواتهم العسكرية، وخاصة في زمن الحروب، حيث أرجعوا أن سبب إخفاق الجيش ونكساته في بعض المواقع كان عائدة إلى النساء، و ذلك منذ الخطوات الأولي للحركة الافرنجية الصليبية في بلاد الشام؛ إذ أن الجيش الذي حاصر أنطاكية؛ كان يحتوي على عدد من العاهرات، وعندما حلت الكوارث بهم

---

(١)ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٣٤.
(٢)ابن كثير، المصدر نفسه، ج١٣، ص ٣٣٤.
(٣)ديورانت، قصة الحضارة، مج ٤، ج١٥، ص ٢٣.
(٤)مجهول، الحرب الصليبية، ج٢، ص٢١٥. السامرائي، التقاليد والعادات، ص ٢٣١. النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ص ١٥٢.
(٥)جوانفيل، مذكراته، ص ١٠٨.
(٦)عن ذلك الجانب بالتفصيل انظر :
Jcques de Vitry: A History of Jerusalem ,p.٦٤
(٧)حسين، مقالات وبحوث، ص ١٧٣.

أرادوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطايا والتوبة إلى الله، فبادروا إلى الصوم لثلاثة أيام، وعملوا على طردهن من صفوفهم ، وإغلاق الحانات [١]،

كما قاموا بفرض عقوبات قاسية على جريمة الزنا [٢] حيث لم يسمح للنساء الصليبيات في أثناء حصارهم لإحدى المدن بالركوب حتى لا يربكن تحركات الجيش ويشكلن عبأ عليه [٣]، ومن ذلك أيضا ما قام به ريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م، حين غادر عكا متوجها نحو عسقلان، لقتال المسلمين، فقد منع النساء من مرافقة الجيش، واستثني من ذلك الغسالات، مما أسخط الجنود الذين حرموا الراحة والنعيم ومعاشرة النساء الساقطات [٤].

---

[١] **١-William of Tyre: AHistory of the deeds done beyond the sea, Vol.١,P. ٢٢٠**

-كما وصف رايموند داجيل الصليبين في ظروف حصار أنطاكية على أنهم زناة، داجيل، رايموند، تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس، ص ٨٩. سميث، الحرب الصليبية الأولي، ص ١٣٥. معلوف، أمين الحروب الصليبية، ص ٤٥- ٤٦.

(٢)يتم تجريد الزاني والزانية من ملابسهما، ويجبرا على المشي حول الجيش وأيديهما مكبلة خلف ظهريهما، والجلادون يضربونهما بشدة بالعصي حتي يخاف الآخرون من رؤيتهم لتلك المعاملة القاسية ، فلا يقعوا في نفس الجريمة

Albert of Aacchen: Historia Hierosolymitana, p. ٣٧٩

(٣)زكار، الموسوعة الشامية، ج٦، ص ٤٣٣.

(٤)أمبرويز، الحملة الصليبية الثالثة، ص ٣٥٥. مونروند، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٠٦.ديورانت، قصة الحضارة، مج٤، ج١٥، ص . الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، إقطاعية طبرية، ص ٣٠٩. النعيرات، إقطاعية بيسان، ص ٢١٢.

ومهما يكن من امر فأننا بعد استعراضنا لما جاءت به المصادر اصبح من الواضح جدا مشاركة المرأة في الحملات الصليبية وفي الجوانب العسكرية منها الا ان هذه المشاركة تحتاج الى قراءة متمعنه من لدن الباحثين في هذا الميدان .

المبحث الثاني : الملكة ميسيلندا وحراكها العسكري .

الملكة ميليسندا بنت بلدوين الثاني (٤٩٨هـ ٥٥٦ هـ /١١٠٥ - ١١٦١)م والتي كانت ملكة مملكة بيت المقدس بين عامي(١١٣١_ - ١١٥٣م) ووصية على عرش ابنها بين ١١٥٣م -١١٦١ م فأنها قد نشأت في كونتية الرها حتى سن الثالثة عشر، عندما أُنتخب والدها كملك لبيت المقدس خليفة لابن عمه بلدوين الأول (١) .

وفي وقت اختيار بلدوين الثاني لمملكة بيت المقدس كان بالفعل لديه ثلاث فتيات من زوجته (مورفيا) ، وكان لميسليندا ثلاث اخوات يصغرنها وهن : اليس اميرة انطاكية ، و"هوردينا" اميرة طرابلس ، ولوفيتا [٢] .

نشأت ميليسندا كابنة كبرى وكوريث مفترض ، وبما أن متوسط العمر المتوقع للمرأة الافرنجية أعلى من الرجال بسبب حالة الحرب المستمرة في المنطقة ، وكنتيجة لذلك أثرت المرأة الافرنجية بشكل كبير وأمدت الرجال بشعور كبير بالرغبة في الأستمرار في مجتمع الفرنجة الشرقية ، كانت النساء هن الاتي في الأغلب يرثن المقاطعات بسبب أن الحرب والعنف يسبب الموت المحقق للرجال. اما النساء اللاتي كان يتم تعينهن كملكات كانوا نادرًا ما يستخدمن سلطتهن بشكل مباشر. حيث كان يقوم أزواجهن بممارسة السلطة من خلال سلطتهن ، الا ان ميلسندا خرجت من هذه القاعدة ، إذ كانت وفي وقت حكم أباها كانت معروفة كابنة الملك ووريثة العرش

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٣٠ .

(٢) الجنزوري ، عليه عبد السميع ، إمارة الرها الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر ، ٢٠٠١م) ص٦٧ .

وحصلت على أسبقية فوق رجال الدين النبلاء والمسيحيين الآخرين في المناسبات الاحتفالية (١) .

أخذ بلدوين يدبر لزواج ابنته الكبرى والتي أصبحت وريثة العرش ، وحتى يكون مطمئناً لمسيرة المملكة بعد وفاته ، ناقش الأمر مع باروناته ورجال الدين في المملكة ، ثم أخذ بنصيحة باروناته ورضى رجال الدين في المملكة (٢) على أختيار أير تورين ومين وأنجو ليكون زوجاً لميلسند (٣) .

الملكة ميليسندا هي بنت الملك بلدوين الثاني الكبيرة ، تزوجت من الملك فولك الأنجوي سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، وبعد وفاة زوجها ، تولت حكم مملكة بيت المقدس الصليبية وصية على ابنها بلدوين الثالث ، وعندما بلغ سن الرشد ، دخل في نزاع مع والدته حول العرش ، وفي نهاية الأمر أضطرت الى التنازل عن الحكم والإحتفاظ بمدينة نابلس كأقطاعية خاصة بها مدى الحياة (٤) .

---

(١) عبد الحفيظ ، محمد علي ، مشكلات الوراثة في بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٧ .

(٢) وليم الصوري ، تاريخ الحروب ، ج٣ ، ص٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٦٦ .

(٤) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٢، ص ٧٢٣-٧٣٠ .

اولا : الملكة ميليسندا وعلاقتها بـ (هيو) .

وربما يمكن القول قبل الولوج بعلاقة الاميرة ميليسندا بـ "هيو" ان الاميرة حصلت على ما لاتحصله اي امرأة سواء صليبية ام مسلمة في المنطقة انذاك ، اذ انه بطبيعة الحال ان اي امرأة صليبة انذاك يقوم باعمال الحكم او ادارة اعمالها زوجها وفي جميع الجوانب سواء السياسية منها ام الاجتماعية ، وهذا يعطينا تساؤلات متعدده لما قامت به الاميرة " ميليسلندا " من التدخل الواضح بالسلطة وادارتها المباشرة للحكم ، وربما يأتي هذا من الاسباب الاتية :

١: ان ميليسلندا هي بنت الملك الراحل بلدوين الثاني ، وهذا اعطاها سطوه سياسية لا نه الوريثة اولا ناهيك عن كونها قد حصلت على التأييد التام غير المسبوق من قبل من لدن رجال الدين الذين تذبذبت آراؤهم في كيفية التعامل مع المرأة الا انها توحد في التعامل مع ميسلندا ([1]) .

٢: ان ميليسلندا حضيت بتأيد تام من لدن سلطة القضاء انذاك ([2]) وهي غاية في الاهمية ، اذ ان من يحصل على هذا التأييد يستطيع الامضاء والتصرف بالحكم كيفيما شاء ، وهذا يعطينا نظرة فاحصة وان كانت سريعة لعدم استقلالية القضاء انذاك .

ربما يجد القارئ بالنقطتين السابقتين سطوة الاميرة ميليسندا بوضوح ، الامر الذي دفعها الى التوجه نحو محاولة اغتيال شريك حياتها الملك فولك كما سنرى .

([1]) عبد الحفيظ ، مشكلات الوراثة في بيت المقدس ، ص ١٧ .

([2]) المرجع نفسه .

سيتضح لنا سلوكيات المرأة الصلبيبة في التأمر على الحكام من خلال استعمال عمال ومؤجرين ينفذون ما تريد للوصول الى السلطة ، فقد تطرقت المصادر لتآمر الاميرة ميليسندا على زوجها الملك فولك الخامس ملك بيت المقدس من خلال علاقتها بأبن خالها (هيو) ، وقد استعرضت المصادر بشكل مفصل تلك العلاقة وخلاصتها ان ميليسندا قد اتفقت مع "هيو" اميير يافا بمساعدة (رمان دي بواي) "Roman de puy " الذي كان يحكم بلاد الاردن وما وراءها ، وقد تعاقدا على الايقاع بالملك والاطاحة به ، وربما نجد السبب في اصرار الملك فولك ان "هيو" قام بذلك وتأكيد العلاقة ، ان "ولتر " ابن زوجة "هيو" كان سببا في تأكيد تلك العلاقة بين الاثنين متهما عمه بذلك (١) .

وقد اوضح عاشور ان سبب كره ميسيلندا لزوجها فولك هو انه كان يكبرها بسنين كثيره ، وان " هيو " من جانبه ايضا ان زوجته تكبره بسنين كبيره ايضا (٢) .

انكر "هيو" اول الامر تلك العلاقة ولكنه رضي بما املي عليه من حكم يحكم به الملك ارضاء له ، فُحِكم عليه بان يحضر للمبارزة مع "ولتر" الا ان "هيو" تخلف عن الحضور ، الامر الذي اكد خيانته فهرب محتميا بالفاطميين (٣) .

---

(١) الزنكي ، تطلع المرأة الصليبية للسلطة ، ص ٤٥ .

(٢) الحروب الصليبية ، ج١، ص ٥٤١ .

(٣) الزنكي ، تطلع المرأة الصليبية للسلطة ، ص ٤٥ .

وقد نقل جانب من هذا الخلاف ابن القلانسي في تاريخ دمشق بقوله : " **وردت الأخبار من ناحية الافرنج بوقوع الخلاف ، بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ونشبت المحاربة بينهم وقتل منهم جماعة** " [1] .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان الخلاف الذي وقع في البيت الصليبي لم يكن الفاطميون من استغلوه فحسب بل ذكر ابن القلانسي ان امير حلب سيف الدين سوار ، استغل انشغال الصراع بين الصليبيين وهاجم الافرنج " **وقتل منهم قرابة الف فارس وراجل وحمل رؤوسهم الى حلب** " [2].

وفي احداث سنة ٥٢٨ هـ يذكر ابن الاثير ان الدانشمند [3] صاحب ملطية قد اوقع بالافرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم [4] . وهذا الضعف الداخلي عند الصليبيين شجع الامارات المحيطة بهم على الهجوم واستغلال الموقف .

---

[1] ص ٣٧٤ .

[2] ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٧٤ .

[3] الدانشمنديون: هم سلالة تركية حكموا تركيا (اسيا الصغرى) للمدة بين عامي ٤٧٨ هـ - ٥٦٩ هـ ويعد شمس الدين احمد هو المؤسس الحقيقي لهذه الاسرة ، وقد اسس اولى اماراته في الديار السلجوقيه استمر الدانشمنديون في سطوتهم حتى عام ١١٧٣ م . ينظر : المحيميد، علي بن صالح ، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الاناضول ، مطبعة الاسكندرية (مصر : ١٩٩٤م) .

[4] الكامل في التاريخ ، ج١١، ص ١٧ .

وعلى اثر هذا نرى ان الخارطة السياسية ولاسيما العسكرية منها قد تغيرت بسبب المرأة الصليبية وتآمرها على الحكم ، وهذا ما بدا واضحا من خلال انها خلقت ازمة كبيرة حركت من خلالها الاميرة ميليسندا العجلة العسكرية ، اذ فكر الفاطميون بالهجوم على الاراضي الصليبية اذ اغاروا على اقليم يافا حتى وصلوا الى مشارف (أرسوف) ، ومن جانب اخر شجع تحرك الفاطميين هذا اتابك دمشق من جانبه الى التحرك واحتلال بانياس وهي تحت الحكم الصليبي ([1]) .

ولعلنا نجد ضالتنا بوضوح في تفصيل العلاقة بين هيو وميسيلندا فيما ذكره وليم الصوري الذي كان معاصرا للحدث ، فقد وجدنا ادق التفاصيل ينقلها لنا عن محاولة الملك فولك ([2]) اغتيال "هيو" بقوله : " كان كونت يافا [هيو] مقيما في بيت المقدس في انتظار الاذن له بالسفر وحدث في احد الايام انه كان جالسا يلعب النرد على مائده امام حانوت تاجر من التجار اسمه الفانوس في الشارع المسمى الغرائين واستغرقه اللعب استغراقا خلا معه بالله من توقع اي خطر يلقاه حينما برز له فجأ وامام جميع الناس فارس من بريتاني واستل سيفه وهاجمه وضربه به عدة ضربات

([1]) عاشور ، الحروب الصليبية ، ج١، ص ٤٣٢ .

([2]) فولك الخامس ملك بيت المقدس (١١٣١-١١٤٥) م واسمه يعني حارس الشعب ملك بيت المقدس بعد بلدوين الثاني الذي كان قد امر بتتويجه ملكا بعده ، وبينما كان فولك يطارد فريسة ، كبا به الحصان ووقع السرج على رأسه فتوفي في حينها وذلك في عام ١١٤٥ م . https://ar.wikipedia.org/wiki .

فاضطربت المدينة من ادناها الى اقصاها حينما سمعت خبر هذه الجريمة " ([1]) .

هنا نلاحظ بوضوح محاولة الاغتيال التي دبرها الملك فولك لاجل التخلص من "هيو" الذي كان لفعلته التي فعلها وخيانته مع ميسيلندا اثرا كبيرا على ارباك المنطقة باسرها (بلاد الشام والمقدس) والذي سببه مما لاشك فيه ميسيلندا .

ثم يعود وليم الصوري ليعزز قوله بعرفة الملك (فولك) الحتمية لهذه الجريمة بقوله : **" وانه ما كان للمجرم ان يجرؤ على مثل هذه المحاولة لو لم يكن واثقا من مساندة الملك فولك له "** ([2])

ومن الجدير بالذكر ان نقول هنا انه ربما يتبين لنا من خلال عملية الاغتيال هذه ، انها ربما تكون مفبركة اذ انه بطبيعة الحال اذا ما اراد "فولك" ان يغتال "هيو " لقتله ولاسيما ان الفارس جاء له غيله وغدر بحب ما ذكر وليم الصور وكانت ضرباته مميته فكيف لم يقتله ، اذن يأتي الى الذهن هنا ان هذه الحادثة كان الهدف منها اشغال الرأي العام المجتمعي انذاك من ان تُبرأ ساحة "هيو" من فضيحته الأخيرة مع الاميرة ميسيلندا .

([1]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٢ .

([2]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٣ .

ربما نجد ما يدل على ذلك من كلام وليم الصوري في كلامه عن تألب الرأي العام ضد الملك فولك بما نصه : " وقالت الجموع المحتشدة ان الكونت [هيو] قد رمي بفرية كاذبه هو منها بريء ، وان الملك قد قم الدليل الصريح الصريح على ما يضمره للكونت من كراهية التي لا مبرر لها وهي كراهية جاوزت كل الحدود مع الكونت ... " (١) .

واضاف وليم الصوري ان هذا الحادث " قد اكسبه عطفا شعبيا كبيرا ومحبة طاغية واحس الجميع ان التهم التي رمي بها ايا كان طبيعتها ان هي الا افتراءات املتها الكراهية " (٢) .

ونرى ان المؤرخ وليم الصوري هو الوحيد – بحسب اطلاعنا – قد نقل لنا مصير الفارس الذي حاول اغتال "هيو" بان الملك فولك وخصوصا بعد ان شاهد ردت فعل الرأي العام بصف "هيو" اصر على محاكمة الفارس امام الملأ وفي وضح النهار وخصوصا ان فولك قال ان الجريمة لم تكن تحتاج الى متهم وشهود ولا حاجة للإجراءات القانونية المعتاد عليها ، اذ امر الملك بوجوب الحكم على المغتال حكما يتلائم مع شناعة جرمه ، وصدر الحكم عليه بتقطيع اطرافه فلما رفع الحكم للملك امر بتنفيذ ذلك فورا ، وقد استثنى قطع لسانه حتى لا يقال ان الملك قطع لسانه بغية منعه من الكلام وبالتالي يتهم الملك باغتيال "هيو " (٣) .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٣ .

(٣) راجع ذلك مفصلا في : وليم الصوري ،الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٣ .

وقد ضمن فولك بهذا العمل ان يُسكت الرأي العام اولا ، ويبرأ ساحته ثانيا ، وبالفعل فقد صرح الفارس الذي حاول اغتيال " هيو" بانه فعل ذلك من تلقاء نفسه املا منه في كسب ود الحاكم (١)

ونجد هنا اختلاف مابين الرواية الاسلامية لمصير "هيو " بعد هذه الاحداث ، فقد نقل لنا عاشور ان "هيو " هرب من الحكم الغيابي عليه الذي صدر من الملك فولك والتحق بالفاطميين ومن بعدهم التحق بالملك روجر الثاني ملك صقلية الذي اقطعه امارة " جارجانو" وتوفي فيها (٢) .

اما الرواية غير الاسلامية والتي يمثلها وليم الصوري المعاصر للأحداث فأنها كما مر بنا قبل قليل قد ايدت انه اكرم غاية الاكرام ، ونحن نميل الى رواية وليم الصوري للأسباب الاتية :

١: لو كانت الرواية الاسلامية التي تقضي بان "هيو" حكم عليه غيابا وان دُعي الى المبارزة ولم يحضر مما ثبت الامر عليه ، فمن غير الممكن ان يفلت "هيو" من قبضة الملك ولاسيما ان انه متهم بالتآمر على شخص الملك من جهة ، وانه أُتهم بعلاقة غير أخلاقية مع زوجة الملك ميسيلندا .

٢: ان نهاية ميسيلندا قد اتفقت عليها المصادر الاسلامية وغير الاسلامية بان " فولك " عمل بكل الطرق لارضائها .

٣: نرى بوضوح ان "هيو" ذهب معززا مكرما الى روجر الثاني وبقي هناك الى ان مات في اقطاعيته التي اقطعها اليه روجر ، وهذا يدل على انه لم يكن هارب من سلطة الملك فولك !!! .

---

(١) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٤ .

(٢) الحروب الصليبية ، ج١، ص ٥٤١ .

٤: على الرغم من ميل وليم الصوري الواضح الى "هيو" فانه يعطينا من خلال روايته دقه متناهية التفاصيل تدعونا الى التصديق بروايته التي ذكر بها اسم اللعبة التي كان يلعبها واسم الفارس الذي اغتاله ، فضلا عن اسم الشارع الذي أُغتيل به وهذا الاركان مهمه جدا في فهم او تثبيت اي رواية ، اذ انه بطبيعة الحال تعد ركنا مهما من اركان الرواية التأريخية .

٥ : ان وليم الصوري جاء بمعلومات مهمه لم يأتي بها اي مؤرخ قبله تتكلم عن تفاصيل عمل الحاكم فولك بمحاكمة الجاني ، محاولة منه لارضاء العامة اذ اشرف بنفسه على تنفيذ الحكم ولاسيما عدم قطع لسان الجاني الذي يمثل لبنه اساسية في تصديقنا لروايته .

وعوده على ذي بدء فان فولك سعى بكل جهده لارضاء الاميرة ميسيليندا ، فقد تخطى الامر ارضائها وجعلها تتولى شؤون الحكم وتشارك بالقرار بل تعدى ذلك الى تأميرها على انطاكية (١) .

وقد حكت لنا صفحات موسوعة الحروب الصليبية (wikiarav.com/wikiMelisende_afJerusalem) وتحديدا عند مادة "الملكة ميسيلندا " ان الملك فولك كان يعلم تماما بثقافة وشغف الملكة بحبها بالقراءة الدينية والكتب لذلك وكجزء من محاولة ارضائها اهدى لها كتاب اسماه " MelisendePsalter " (٢) وهو عبارة عن كتاب تم تزيين الكتاب ببراعة تامه وتم طلاء الغلاف بالذهب ورصعه بالياقوت والفيروز والزمرد ، وكانت في

---

(١) عاشور ، الحروب الصليبية ، ج١، ص ٥٤٢ .

(٢) الكتاب لا زال محفوظ في المتحف البريطاني : راجع الملحق رقم (١) من الرسالة ففيه نماذج من صور صفحات الكتاب .

صفحات مظاهر الاعياد الدينية والعبادة ؛ كتب الكتاب باللغة اللاتينية ورغم هذا فأن الملكة كانت على دراية باللغة اللاتينية ([1]) .

وتضيف الموسوعة انه لا توجد اشارات تؤكد قبول الملكة ميسيلندا لهدية فولك الا انه بعد وقت قليل من تاريخ هذه الهدية – والكلام للموسوعة – رجعت العلاقة بين الملك والملكة الى امورها الطبيعة ([2]) .

ويعطينا مرة اخرى وليم الصوري تفاصيل مهمه عن اكتشاف ميسيلندا الواشي او لذي يثير الغيره في نفس الملك فولك وتحريضه على عشيقها "هيو" بقوله : " وراحت تصب شواظ اضطهادها على روهاد الكبير الذي عُرف فيما بعد بصاحب نابلس ، فهو الذي كان يسعى في غير كلل الى اثارة الغيره في نفس الملك من هيو " ([3]) .

ووصل الامر الى ان الملك نفسه لم يكن يأمن من جانب ميسيلندا ، بحكم وجود الوشاة الذين سخرتهم الاميرة وان الملك : " لم يكن يحس السلامة التامه ان كان وسط اقارب الملكة وانصارها " ([4]) .

ومن الجدير بالذكر ان الاميرة ميسيلندا كان نفوذها يغمر كل فئات المجتمع وطبقاته حتى ان رجال الدين كانوا ينظرون لها انها المرأة المُخلّصة لقضاياهم وشؤونهم الداخلية والدينية من ذلك مثلا انه عندما اقتربت الحملة الصليبية الاولى من بيت المقدس هرب رجال الدين اليعاقبة الى القاهرة خوفا من بطش الصليبين لهم وظلوا

([1]) https://wikiarav.com/wiki/Melisende_af_Jerusalem#cite

([2]) https://wikiarav.com/wiki/Melisende_af_Jerusalem#cite

([3]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٤-١٢٥ .

([4]) الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٢٥ .

هنـــاك حتـــى اســـتقرت الامـــور وســـيطر الصـــليبيون علـــى بيـــت المقـــدس وبـــدأ حكـــم الملـــوك مـــن عهـــد بلـــدوين الاول وحتـــى اخـــر ملـــك لهـــم ؛ وعنـــدما عـــاد اليعاقبـــة (١) وجـــدوا ان املاكهـــم قـــد ســـيطورا عليهـــا ولـــم يســـتطيعوا ارجاعهـــا ، فطلبـــوا مـــن الملكـــة ميســـيلندا ارجاعهـــا لهـــم ، وبالفعـــل أُرجعـــت الـــيهم بحكـــم قـــوة الملكـــة ونفوذهـــا جميـــع املاكهـــم وذلـــك فـــي ســـنة ٥٣٢ هـــ/ ١١٣٧م ، وهـــذا لـــيس بغريـــب علـــى الملكـــة لان امهـــا كانت من اليعاقبة (٢) .

ووصـــل الامـــر بـــالمؤرخ برنـــارد هـــاملتون بوصـــف قـــوة الملكـــة ميســـيلندا بـــالقول : " **بانـــه لـــم تصـــل اي امـــرأ لقـــوة الملكـــة ميســـيلندا فـــي تلك المدة** (١) . ويقصد ابان حكمها وابنها .

---

(١) ظهرت لفظة اليعقوبية أو اليعاقبة في الخامس الميلادي نسبة الى الأسقف يعقوب البرادعي أحد الاسقفين الذين أرسلتهما الامبراطورة تيودورا زوجة الامبراطور جستنيان* إلى الملك الغساني الحارث بن جبلة لتعليم قومه وتنصيره. وأما الأسقف الثاني فهو تيودورس أسقف العرب الذي عين للجزيرة العربية وفلسطين والكنيسة اليعقوبية، أو الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، كنيسة مونوفيزية تعتقد برأي الراهب أوطيخا القائل ان في المسيح شخصية واحدة وطبيعة واحدة فقط هي الالهية . وقد تكونت هذه الكنيسة بعد تجمع خلقيدونيا الذي عقد عام ٤٥١م لحسم الخلاف حول ألوهية المسيح وناسوتيته وانتهى إلى تحريم تعاليم أوطيخا ، وأدى إلى نشأة الكنيسة اليعقوبي المؤمنة بالطبيعة الواحدة انتشر أتباع الكنيسة اليعقوبية في سورية والعراق وفلسطين، ونشط يعقوب البرادعي في تنظيمها وتعليم معتقدها، وأسس المراكز الأسقفية المتعددة . ينظر : https://www.palestinapedia.net/ تاريخ الزيارة للموقع : ١١-٤-٢٠٢٢م .

(٢) مشكلات الوراثة ، ص ٣١ .

(١) . Queens of jerussalem,p ١٥١ .

ثانيا : اثر ميسيلندا القيادي والعسكري .

بعد وفاة الملك " فولك " سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٢م ، وكما هو متوقع فأن قيادة مملكة بيت المقدس اصبحت بيد الملكة ميسيلندا التي لوحظ على سلطتها القوة وسرعة اتخاذ القرارات سواء الادارية منها ام العسكرية ، وعلى الرغم من العثرات التي مرت بمسيرتها القيادية والتي جاء في مقدمتها مشاطرتها ابنها بلدوين الثالث الوريث الشرعي للمملكة ، ومنها ايضا المشاكل التي اوقعتها في طريقها اختها الاميرة "أليس" التي كانت كثيرة التطلع للحكم كما سيأتي في محله ؛ كل هذه العثرات ان صح التعبير اثرت بصورة واضحة على القيادة العسكرية او السياسية للملكة .

وقد تطرق ابن القلانسي لوفاة الملك بقوله : **" ورد من ناحية الإفرنج بهلاك ملكهم الكند إيجور ملك بيت المقدس بعلة عرضت له كان فيها إتلاف نفسه ، وأقيم ولده الصغير وأمه مقامه في الملك ورضي الأفرنج بذلك واستقامت الحال عليه "** (١) .

ويمكن ان نقسم العثرات او الصعوبات التي واجهة الملكة في حكمها على قسمين : القسم الاول هو ما يمكن ان نسيمة سياسيتها الخارجية في حدود المملكة من جبهة الشام التي شهدت مسرحا واضحا للمحاولات من لدن القادة المسلمين للسيطرة واقتطاع الاجزاء الشامية من تحت سيطرت الملكة ميسيلندا ، اما القسم الثاني فهو في حفاظها على امن بيت المقدس والوقوف ضد التوسع والاطماع المحيطة به .

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج١ ، ص١٦٩ .

فأما الجبهة الخارجية المتمثلة ببلاد الشام فقد شهدت هذه الجبهة - ولاسيما مدينة الرها - محاولات متعدده لاستعادتها من ايادي الصليبين الذي احتلوها في سنة ٤٩٢ هـ ابان الحملة الصليبية الاولى وظل حكامها منذ ان كانت تحت الحكم الروماني الاول بزعامة "ثوروس " الى ان سيطر عليها الصليبين وامرائهم عليها يمدون الاعناق الى السلطة المركزية في كافة مراحلها سواء قبل السيطره على بيت المقدس ام بعد السيطرة عليه ، وخير دليل على ذلك ان " ثوروس " طلب المعونة من بلدوين الاول عندما كان مسيطرا اول الامر على تل باشر " راجيا الكونت الافرنجي نجدته وتقديم المساعده له ضد اعداءه من الامراء المجاورين له الذين كانوا يقلقونه كثيرا " كما ذكر ذلك مفصلا متي الرهاوي (١) ، وبالفعل فقد استجاب بلدوين لطلب ثوروس وجاء برفقة " ستون فارسا ، فخرج سكان المدينة [من الارمن] مهرولين لاستقباله بتشوق مرحبين بقدومه ... " (٢) .

---

(١) تاريخ متى الرهاوي ، ص ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

وهذا النص التاريخي يدلنا على ان الهجمات الاسلامية التي تلقاها سكان مدن الشام التي كانت ترزح تحت الحكم الروماني ومن ثم الصليبي ولاسيما مدينة الرها وقادتها قد جعلتهم تزداد مخاوفهم من السيطرة الاسلامية الامر الذي جعلهم منذ اوائل الحملات الصليبية يحتموا بالصليبيين فيفضلون الحكم الصليبي على الحكم الاسلامي .ومنذ ذلك الحين وامراء السواحل والمدن الشامية يسعون بكل جهدهم للوقوف بوجه المحاولات الاسلامية للعودة المدن الشامية ، الا ان محاولات القادة المسلمين ومنهم عماد الدين زنكي قد كللت النجاح رغم التمركز الصليبي في الرها والمدن الشامية ، وقد استغل عماد الدين زنكي ([1]) ضعف الامراء الصليبيين على امارة الرها ومنهم اميرها جوسلين الثاني الذي " اتصف بضعف الشخصية وانسياقه وراء العواطف والاهواء ، واستغل هذا الضعف من لدن عماد الدين فنشر عيونه منتظرا ساعة الاقتراب من المدينةوالفعل فأن عيون عماد الدين وجواسيسه اخبره بان الوقت ملائم للهجوم على الرها ، بعد ان تركها اميرها غير آبه لخطورة الموقف ، فاحكم الحصار عليها وبعد ٢٨ يوما دخلها عماد الدين زنكي في سنة ٥٣٩ هـ ([1]).

([1]) عماد الدين بن اق سنقر بن عبد الله بن ال ترغان (اسرة تركمانية) ولد عماد الدين سنة ٤٧٧ هـ ، وكان ابوه واليا على حلب سنة ٤٧٩ هـ . الصلابي ، علي محمد علي ، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره ، ط١، طبع مؤسسة اقرا (القاهرة : ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م) ص ١٩-٢٢ .

([1]) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

ان امر ضياع جزء من الاراضي الشامية ولاسيما امارة الرها بيد المسلمين اقلق الملكة واعطاها دافعا للسيطرة على الامور الداخلية اولا ومن ثم الخارجية ؛ اذ كان لولدها بلدوين الثالث – شريكها بالحكم – ابعد الاثر في ذلك ، لانه كما هو معلوم ان السلطة في قيادة الحروب لم يكن للمرأة الصليبية نصيب منها ، بل للقادة من الرجال ولاسيما الملك مهما كان عمره ، وكان بلدوين الثالث انذاك في السنة ١٣ من عمره عند تسلم المملكة مع امه ([1]) .

الامر الذي دعا ميسيلندا الى الاتفاق مع ابنها على درء الخطر الاسلامي الذي انتهى كما مر بنا على بسط السيطرة على الرها من لدن نور الدين زنكي ، فخططت الملكة على مفاتحة البابا لأرسال حملة صليبية ثانية الى الديار لتعزز بقايا الجيش الصليبي وكانت تنوي من خلالها الاحتلال الكامل لدمشق ، وبالفعل قاد الحملة لويس السابع ملك فرنسا ومعه ملك الرومان كونراد الثالث بنفسيهما ([2]) ، وصل المجتمعون سريعا الى عكا وقيل الى طرابلس بحسب رواية هاملتون في سنة ١١٥٢ م ([3]) التي كانت تحت الاحتلال الصليبي ، وقعت المشوره من لدن المجتمعون على تقسيم العمل العسكري بين الملكة ميسيلندا وابنها بلدوين الثالث ، حيث قرروا ان تتولى الملكة امر حلب فيما يتولى ابنها بلدوين الثالث امر الهجوم على مقر الدولة الاسلامية في دمشق ([1]) .

([1]) Queens of jerussalem,p ١٥ ٢ .

([2]) wikiarav.com

([3]) Hamilton ,Queens of jerussalem,p ١٥٤ .

([1]) wikiarav.com

ولكن سرعان ما نشب خلاف بين الملكة وابنها واصبحت جغرافية حكمها على المناطق الداخلية من حكمها (١) رأينا هنا من الضروري ان نقف قيلا على مظان الخلاف بين الملكة ميسيلندا وابنها بلدوين واثر ذلك على التحركات العسكرية في المنطقة ، اذ كما اسلفنا قبل قليل ان الملكة قد ضاع منها بعض المدن الشامية ومنها الرها التي وقعت تحت حكم الامير عماد الدين زنكي ، فانشغلت بترصين وحماية مملكتها والمناطق المحيطة بها عسكريا وامنيا .

واول عمل قامت به الملكة والذي يضمن حريتها – بحسب علمها طبعا – في التصرف هو انشائها حزبا لحمايتها وعينت على رأس هذا الحزب Manasses ، وصفه هاملتون بانه ابن عمها وقال عنه انه اتى مؤخرا من الغرب (٢) ، اي لم يكن موجودا في المملكة ، ولم تعطينا المصادر سواء الاجنبية – بحدود اطلاعنا – اي تفاصيل عن تواجد مانسيس هذا ، بل اكتفت انه عين على رأس الحزب الذي اسسته الملكة .

---

(١) Hamilton ,Queens of jerussalem,p ١٥١ .

(٢) Hamilton ,Queens of jerussalem,p ١٥١ .

في هذه الاثناء طلب بلدوين من المحكمة العليا انذاك بان يقسم حكم المملكة بينه وبين والده ، محاولة منه للاستقلال عن والده ، ويذكر المؤرخ هاملتون ان الملكة وافقت على هذا الرأي وينقل وجهة نظرها انها وافقت لعدم رغبتها بالدخول بحرب مع ابنها ، ناهيك عن عدم رغبتها بالدخول بحرب اهلية داخلية ([1]) .

المبحث الثالث : دور الاميرة أليس في الحراك العسكري .

يعطينا وليم الصوري صوره واضحة عن الاثر التحشيدي الذي كان قد سببته "اليس" للمملكة وللملك وللمنطقة الشامية ان صح التعبير برمتها ، وهي صورة مهمه يجب ان يقف عندها من يكتب في تاريخ الحروب الصليبية العسكري والاجتماعي منه ، وعلى الرغم من اننا لم نجد - بحدود اطلاعنا طبعا – شرحا مفصلا مثل الذي قدمه وليم الصوري ، لذا سوف سنتعرض ما قدمه وليم بهذا الخصوص من شروحات مهمه .

يصف المؤرخ وليم الصوري " اليس " وهي كما تقدم شقيقة الملكة "ميليسندا" ابنة بلدوين بأنها : " امرأة خسيسة وضيعة النفس ، موغلة في الشر ، لا تكل عن تدبير المكائد ضد الامارة مستعينة في ذلك بشركاء لها في مشاريعها الرامية الى حرمان ابنتها وابنة بوهيموند الثاني من ان ترث اباها " ([2]) ، ويعلل ذلك قائلا : " سعيا منها لان تصفو الامارة لها هي وحدها فتتزوج من جديد بمن يرتضيه هواها " ([1]) .

([1]) Hamilton ,Queens of jerussalem,p ١٥٣ .

([2]) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٦ .

([1]) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٦ .

هذه صوره واضحة اعطاها لنا الصوري عن طبيعة المرأة الصليبية ولاسيما ممن كان لها سطوة في الاوساط السياسية او الرئاسية ، وربما يحق لنا القول ان الذي اطلعنا عليه من سلوكيات المرأة الصليبية وما سوف نطلع عليه لم يأتي عن فراغ بل انه ربما نجد من وراء النصوص التي بين ايدينا ولاسيما نصوص الصوري ان هناك فسحة كبيرة للمرأة لحراكها السياسي ام العسكري منحها اياها طبيعة النظام الملكي القائم آنذاك والذي استقرأنها من خلال النصوص ان للمرأة الصليبية شأن مهم وهذا ليس بغريب عن العرف الملكي انذاك كيف لا وان ابوها ملك بيت المقدس .

ورغم ذلك فان بلدوين الثاني كان قد عرف نوايا " اليس " مسبقا فحرمها مما خططت له ، ووجهها ان يقتصر عملها وحراكها في مدينتين اثنين فقط الا وهما : جبلة (١) واللاذقية (٢) اللتان وهبهما لها زوجها كمهر لها قبل الاقتران (٣) .

---

(١) جبلة قلعة مشهوره بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد في اعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ست فراسخ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٥ .

(٣) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٦ .

ـ تحرك " اليس " بعد وفاة ابيها :

لم يقتصر عمل " اليس " على المدينتين اللتين امرها ابوها الملك بالبقاء بهما ، بل انها سعت الى السيطرة المطلقة على انطاكية وذلك عن طريق اعتمادها على مجموعة من كونتات المنطقة وهم : " وليم " و "بونس " كونت طرابلس ، و " جوسلين " كونت الرها (١) .

لم نجد تفصيل مهم عند وليم لأثر الاثنين الاوائل من الكونتات بالمقارنة مع اثر "بونس " كونت طرابلس ولا نعلم هل ان تعمد وليم الصوري عن ترك دوريهما ام ان الاحداث تركزت على دور " بونس " اكثر مما ركزت على باقي المساعدين للاميرة " اليس "

على كل حال فأنه بسبب سلوكيات الاميرة " اليس " شهدت المنطقة تحركا عسكريا ، اذ ان الملك " فولك " الذي جاء بعد بلدوين للحكم لم يكن رحيما بهذه التحركات التي ابدها " اليس " ، وفضلا عن ذلك فأنه جاءته معلومات أمنية مهمه مفصلة عما يدور ، وذلك عبر اهالي انطاكية الذين كانوا يدعونه باستمرار الى عدم تركهم لمرامي " اليس " ونواياها ، وفضلا عن ذلك فأنه " اصغى بقلق بالغ الى التقرير الذي جاءته به السفارة من انطاكية بشأن ما يقع فيها من اضطراب ، وتجلت له خطورة الموقف البالغة ، فاستجاب في الحال الى الدعوة الموجهة اليه ومضا في زحفه قما حتى بلغ بيروت ... " (١) .

---

(١) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٦-٩٧ .

(١) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٧ .

وهنا يجب ان نتوقف قليلا عند التدبير العسكري الذي كانت عليه القوات العسكرية الصليبية ، فمنذ ذلك الوقت المبكر ونرى ان هناك قوة امنية تتابع مجريات الاحداث ، ولاسيما ان نصا قد ذكره المؤرخ وليم الصوري ووصفه " بالتقرير " اذن هناك جهد عسكري امني عال المستوى عند الصليبين انذاك .

تطورت الاحداث العسكرية وجاء هنا دور " الكونت بونس " الذي نقل لنا وليم الصوري انه تلقى رشوة من الاميرة " اليس " حتى يوأمها بما تريد للانقلاب على الملك ، فيصف وليم الصوري كيفية التحضيرات العسكرية التي هيأتها " اليس " فيقول : " كان بونس يسطر في هذه الناحية على حصنين هما : أرسكاثوم(١) والروج(٢) ، ... وقد زود هذين الحصنين بالسلاح وجهزه بالعسكر ، واتخذهما قاعدة لمضايقة الملك ورجاله ، مما اثار الحنق الشديد في نفوس اهالي انطاكية ، فاخذوا يحثون " فولك " على الزحف ضد الكونت لشجب عداوته الوقحة ... " (٣) .

---

(١) لم اعثر على ذكر له بحدود اطلاعي الا عند وليم الصوري ، وربما ورد في اسم اخر في المعاجم اللغوية .

(٢) الروج : كوره من كور حلب في غربها . ياقوت الحموي ، المعجم ، ج٣ ، ص ٧٦ .

(٣) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٨ .

وكانت بداية الصراع ان " بونس " رَفَضَ ان تمر قوات الملك من طرابلس عبر مدينة " الروج" فاستعد الملك لتجهيز جيش كبير ، وزحف على الكونت ودارت معركة في سنة ١١٣١ م وصفها لنا وليم الصوري بقوله : " التقت القوتان قرب " الروج " واصطف الجانبان للصدام ، ونشبت معركة ضارية ظلت خاتمتها غير معروفة ... ثم رجحت كفة الملك اخيرا فانتصر ، فلم يجد الكونت ورجاله ازاء هذا الوضع بدا من الهروب ... " (١) .

ويصف وليم الصوري رجال الكونت " بونس " قائلا : " وكان الجانب الاعظم من رجال الكونت ممن ارهقهم القتال قد اسروا وجيء بهم الى انطاكية مكبلين بالأغلال ... " (٢) .

- **احداث ما بعد المعركة :**

بعد ان هرب الكونت " بونس " من قبضة الملك " فولك " هدأت الاحداث السياسية والعسكرية ، وتدخل كما وصفهم وليم الصوري " العقلاء " بالتوسط عند الملك لارجاع الامور الى مسارها الطبيعي بين "بونس " والملك ، وهذا ما حدث فعلا ، وعاد على اثرها الاسرى ولاسيما من الفرسان الى طرابلس وعادت الامور على ما كانت تحت سيطرت الملك ، الا ان اهل انطاكية لم يكونوا مرتاحين للوضع ولا سيما تحركات " اليس " فتوسلوا بالملك ان يبقى بين ظهرانيهم ليضمنوا ما يريدون فاستجاب لهم (١) .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(١) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٨ .

ولكن يبدو ان اهل انطاكية لم يكونوا خائفين من تدخل " اليس " فحسب بل كانوا خائفين من استغلال المسلمين لتدهور الاوضاع والهجوم على انطاكية ، اذا كانوا خائفين " ان رجع الملك الى دياره تضطرب امور الاماري من جديد وتشتعل بنار الفتنه الداخلية التي تتيح للاعداء الكفار [ويقصد هنا المسلمين طبعا] احسن الفرص لمهاجمتها " ([1]) .

- **هجوم الاتراك على انطاكية :**

بقي الملك فولك في انطاكيا مدة من الزمن لم تصرح المصادر التي اطلعنا عليها بقدرها ، تلبية لرغبات اهلها من النبلاء وخوفا عليها من الهجمات العسكرية ، بعدها عين عليها الكونت " رينييه " الذي عرف بين اوساط اهلها بكياسته وشرفه ، ليعود الى المملكة ([2]) .

ويبدو ان المسلمين من الاتراك قد سمعوا بالخلافات الداخلية التي مرت بنا قبل قليل والتي كان ل"اليس " دورا كبيرا في نشوبها ، فاستغلوا ذلك الوضع وجهزوا جيشا كبيرا وبدأوا بإجتياح اطراف انطاكية متوغلين في التقدم اليها ، كما نقل لنا ذلك ابن الاثير قائلا : **" في المحرم منها (٥٢٧هـ) وردت الأخبار من ناحية الإفرنج بوقوع الخلف بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ونشبت المحاربة بينهم وقتل منهم جماعة "** ([1]) .

([1]) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٨ .

([2]) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٨ .

([1]) ابن الأثير ، الكامل ج١١ ، ص٨ ، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٣٦ .

وصل الى اسماع الملك اخبار هذا الجيش وكان قد هيء كل صنوف الجيش من مشاة وفرسان ورجاله للتوجه اليهم ، وكان قد تعرض وليم الصوري الى امر هام دفع الملك الى التوجه وتحشيد هذا الجيش ، والذي وضعه وليم الصوري تحت جانبين الاول : انه من واجبه المقدس ان يحمي ابناء مذهبه ولاسيما ان رعايا الملك في انطاكية ، والثاني ان الملك كان يؤمن بالمثل القائل : " **ان شبت النار في دار جارك ، فبيتك هو الاخر في خطر** " (١) .

وربما نستطيع ان نضيف سببا اخرا تطرق له وليم الصوري بشكل هامشي الا انه كان السبب الرئيس لتوجه الملك " فولك " الى المسلمين الا وهو تدخل المرأة الصليبية مرة اخرى في الاحداث العسكرية ، وهذه المرة حَرَكتْ الصراع العسكري اخته " سيسيليا " زوجة " بونس " فقد اعلمته ان الامير زنكي الوالي التركي على حلب قد شدد الحصار على زوجها في قلعة " مونتفراد " فاخذت تتوسل به لتخليص زوجها من هذا الحصار ، فتحركت حمية الملك " فولك " فأجل بشكل مؤقت خروجه الى انطاكية وتحرك بمعية رجاله من الفرسان ، فما ان سمع به الامير عماد الدين زنكي بان الملك في طريقه لانقاذ " بونس " حتى شاور جماعته ورفع الحصار عن "بونس " (٢) .

ولم تهدأ سريرة الاميرة اليس وتوجهت للسيطرة على انطاكية مرة اخرى ففي عام حوالي٥٣٠هـ / ١١٣٥ فتحت اليس التفاوض مع الامبراطورية البيزنطية لتزويج ابنتها من الإمبراطور (مانويل كومنينوس) الامر الذي ادى الا ان نبلاء انطاكية استدعوا

---

(١) **الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٩ .**

(٢) **الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٩٩-١٠٠ .**

(ريموند دي بواتييه) للزواج من كونستانس ، فدفعوا بطريك أنطاكية لاقناع أليس بالزواج من ريموند بدلا من أبنتها ذي التسعة أعوام ، ومع ذلك خلال الزفاف خطف البطريرك الأميرة كونستانس للزوج الشاب وعقد قرانهما في الكاتدرائية .

وقد التفت الملك فولك الى خطورة هذه الاحداث حتى وجد حلا لها بان استطاع في عام ٥٣١هـ / ١١٣٦م ، ان يأتي بـ (ريموند بواتيه) ويجعله زوجا للاميرة كونستانس وريثة الإمارة ، وبذلك أنتهت وصاية الملك على أنطاكية ([1]) .

المبحث الرابع : دور الاميرة كونستانس في الاحداث العسكرية .

كونستانس هذه بنت الاميرة اليس تزوجت من ريموند دي بواتيه حاكم انطاكيا وانجت له عدة اولاد (اربعة اولاد) وبعد مقتل زوجها ([2]) ، حاول بلدوين الثالث ابن ميسيلندا اقناعها بان تتزوج ممن يرى فيهم انهم الاقرب اليه ، وكان يقصد من وراء ذلك تزويجها بشخص يراضاه هو كي يأمن سطوته وتمرده ، ولا سيما انه كان على اطلاع باعمال وسلوكيات النساء الصليبيات ، وكان ضمن اهم مرشحيه احد الاباطرة البيزنطيين وهو الامبراطور مانويل الاول ((١١٤٣-١١٨٠)) م الا ان كونستانس رفضت ذلك

([1]) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٥٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج١١، ٤٠ .

([2])britannica.com/biography/Raymond على الموقع : https://www.britannica.com/biography/Raymond تاريخ الدخول للموقع : ٦-٢-٢٠٢٢ م .

الـزواج ([1]) الـذي عـده الاخيـر زواجـا سياسـيا يـأمن مـن خلالـه ترصـيد قوته من جهة القوات الاسلامية المحيطة به ([2]) .

ومـن هنـا بـدأ الاثـر الحقيقـي لكونسـتانس فـي الاحـدث السياسـية ، فقـد كانـت رافضـة لكـل مـن رشـحه بلـدوين لغـرض الـزواج منهـا الا شـخص وهـو مـن احـد الفرسـان الفرنسـيين (دي شـاتيلون) الـذي كـان يعمـل فـي صـفوف قـادة القـوات الصـليبية واتفقـت علـى الـزواج منـه دون علـم بلـدوين الثالـث الـذي يعـد الوصـي عليهـا علـى امـارة انطاكيـة بعد وفاة زوجها ريموند ([3]) .

الا ان شـاتيلون كـان حـذرا لـئلا يُكتشـف قصـد الـزواج مـن لـدن بلـدوين الثالـث وتكـون المعارضـه علـى الـزواج محتملـه ، الا ان بلـدوين وافـق علـى الـزواج ، ويعلـل احـد البـاحثين موافقـة بلـدوين هـذه بقولـه : " ويبـدو ان بلـدوين اضـطر علـى ان يوافـق مـن هـذا الـزواج بسـبب انشـغاله فـي حصـار مدينـة عسـقلان ..." ([4]) ، ويضـيف قـائلا : " وقـد ترتبـت علـى وصـول [شـاتيلون] الـى حكـم مدينـة انطاكيـة نتـائج بالغـة الخطـورة بالنسـبة للصـليبيين فـي بـلاد الشـام ، وارتكـب بلـدوين الثالث اكبر خطأ عندما سمح باتمام ذلك الزواج " ([1]) .

([1]) Runciman p.٣٥٥-٣٦٥

([2]) Hamilton ,Queens of jerussalem,p١٥٥

([3]) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٥ .

([4]) علي ، مشكلات الوراثه في بيت المقدس ، ص ٦٥ .

([1]) علي ، مشكلات الوراثه في بيت المقدس ، ص ٦٥ .

وعودة على عدم موافقة كونستانس على خطيبها البيزنطي مانويل ، فقد سبب ذلك الرفض ان يغير الامبراطور البيزنطي المذكور على المدن الشامية ويتمكن من الوقوف بوجه حاكمها (شاتيلون) زوج كونستانس الذي هرب من المدن الشامية بفور سماعه باقتراب الامبراطور البيزنطي اليها ، وعندما سمع من حاشيته بان الامبراطور وصل الى المصيصة ذهب اليه ورمى نفسه تحت قدمي الامبراطور وهو حافي القدمين واضعا حبلا في رقبته مجردا من سيفه ، الامر الذي عده احد الباحثين بأنه هذا ان فعلت شاتيلون هذا كانت عار في تاريخ الصليبين (١) .

اذن لاحظ ان سلوكيات المرأة الصليبية كيف اثرت في غزو المدن واستباحتها عسكريا ، وكيف شكل وجود النساء على ثرا واضحا في تغيير الخارطة والحدود البيزنطية الصليبية .

المبحث الخامس : مشاركة عامة النساء الصليبيات في الاحداث العسكرية

من المهم ان نذكر هنا ان المصادر الاوربية والاسلامية انتهجت منهجين في ذكر دور المرأة بصوره عامه ؛ المنهج الاول ذكرها لشخصية معينة واثرها في الاحداث كما مر بنا في الاميرات والملكات ، اما المنهج الثاني فهو ذكر دورها بصورة مطلقة دون تحديد اسم معين او شخصية معينة .

وبما اننا قد استعرضنا في هذا الفصل المنهج الاول الذي اتبعته المصادر فأننا في هذا المبحث سنركز على المنهج الثاني الذي اتبعته المصادر سواء الاوربية ام الاسلامية .

---

(١) علي ، مشكلات الوراثه في بيت المقدس ، ص ٦٩ .

فقد ورد عن المؤرخ البرت ان آلاف النساء قد شاركن في حصار انطاكية الاول في الحملة الصليبية الاولى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م ، وقد بالغ البرت في ذكر الخطط التكتيكية التي سلكتها تلك النساء واصرارهن على مواصلة الحرب ، فقد كان من ضمن الخطط التي اتبعنها هو اللجوء الى الحاميات القريبة من انطاكية والتي كانت تحت الحماية الصليبية في ايامها الاولى وهذا – بحسب رأي البرت – دليل على عزم تلك النساء لمواصلة القتال لا الاستسلام ([1]) .

ولكن لم يعطينا ألبرت (Albert) صورة واضحة لكيفية المشاركة ، هل هي القتال ، المواجهة ، الدعم ، ولكن مهما كانت المشاركة في حصار انطاكية على رواية البرت ، فان العدد كان كبيرا يعطي صوره مهمه عن تواجد النساء الذي شكك به البعض كما مر بنا في المبحث الاول من هذا الفصل .

من جهة ثانية نرى ان احد الباحثين في بحث له بعنوان " دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الاولى " قد علل الانتهاكات التي اقرفها الصليبيون حين حصارهم بيت المقدس في سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م وقتلهم لنسائها واطفالها وشيوخها ، تعليلا غير موفقا الى حد كبير يظهر منه بصوره واضحة شرعنة الافعال الصليبية في الارض المقدسة ، فقد علل هذه المجازر بقوله : " ولعل تطهير الصليبيين للمدينة من سكانها الاصليين بهذه الصوره كان يهدف الى ايواء النساء والاطفال [اي من الصليبيين] في بيوت امنه بعد سنوات ثلاث من التعب والشقاء في فصلي الشتاء والصيف حيث

([1]) Historia Hierosolymitana p.٣٦٣-٣٦٧

البروده القاسية وارتفاع دراجات الحرارة ... " [1] ، ويذكر تعليلا اخرا لمجازر الصليبين تلك بقوله : " كانوا يرمون في هذه المجازر الى نشر الخوف والرعب بين سكان البلاد الاصليين " [2] ، وقد اعتمد سلامة على المؤلف الصليبي "فوشيه " الذي كان حاقدا في مؤلفاته على الاسلام ، فبدل ان يكون الباحث ناقدا امام هذه الآراء والاعمال الوحشية ، يذهب ليصف دخول الصليبيين بكلمة "تطهير " فكأنما سكانها من المسلمين غير مطهرين او غير مسلمين .

ومن المؤكد ان الحملة الوحشية الصليبية قد شملت المسلمين واليهود والمسيح على حد سواء ، فقد وصف معيوف هذه الوحشية بقوله : " وأوقعوا باهلها المسلمين واليهود والأرثوذكس مذبحة هائلة دامت يومين ، حتى أفنوهم عن بكرة أبيهم ، وكان مصير القلة التي نجت ان بيعوا في أسواق النخاسة " [3] .

وعند الرجوع الى وليم الصوري نجده يصف خوف المقاتلين الصليبين جميعهم من خطط المسلمين المرسومة على الارض والتي كانت تستهدف الجيش الصليبي بقوله : " ان المدن التي كنا قد استولينا عليها كانت قليليه العدد هذا الى جانب وجودها في وسط محيط بالعدو بصورة لم يكن الصليبيون بقادرين معها على

([1]) سلامه ، دور النساء ، ص ١١ .

([2]) سلامه ، ص ٢٧٤٣-٢٧٤٤ .

([3]) معلوف ، أمين ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ط١، مطبعة دار الفارابي (بيروت : ١٩٩٨ م) ص١٣ .

الذهاب من احدى هذه المدن الى الاخرى اذا اقتضت الضرورة الى ذلك والا كانوا عرضة لخطر جسيم " ([1]) .

ومن جهة ثانية كان الصليبيون حذرين جدا من المسلمين الى درجة " انه لم يكن الخطر قاصرا على الطرق العامة فحسب بل كان رابضا ايضا داخل اسوار المدينة وفي البيوت ذاتها ، ... فكان اللصوص يشنون هجمات غلسه تحت جنح الظلام ... " ([2]) .

اذن نجد ان الرأي الذي جاء به سلامة غير صحيح في شرعنة المجازر الصليبية ، بل ان الواقع كانت مجازر مبرره من قبل الصليبين الذين ارهقهم الخطط العسكرية التي اتبعها القادة المسلمون للقضاء على المحتل بكل الطرق ، الامر الذي اغاضهم كثيرا فعملوا ما عملوا من مجازر شاركت بها النساء . ناهيك عن ان سلامة لم يورد ما يطابق العنوان الذي وضعه لنفسه كفريضة بحث وهو " دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الاولى " اذ لم نجد اي دور يذكر في هذا البحث سوى موضعين الاول في حصار انطاكية الاول ٤٩٠ هـ ، والموضع الثاني في حصار مدينة القدس سنة ٤٩٢ هـ والذي لم يكن فيه دقيقا في القراءة .

وما يهمنا هنا هو مشاركة النساء الصليبيات ودورهن في المجازر التي اوقعها الصليبيون بالمسلمين والتي استعبرها " سلامة " واعتمد في كلامه على مؤرخي السلطة او المذهب ان صح التعبير الذي تربطهم رابطة الدين والعرق مع الغزاة الصليبيين .

([1]) الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ١٨٠ .

([2]) الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ١٨١ .

ويعطينا مؤرخ مجهول كيفية حماس المرأة الصليبية ابان حصار القدس ، وذلك بمشاركة الرجال بنصب الابراج (١) .

ويمكننا القول ان تبرير بعض الباحثين المحدثين لأعمال الفرنج انما جاء نتيجة البطش الذي قامت به جيوش المسلمين تجاه الفرنج والذي تناولته المصادر الاسلامية نفسها ، فعند تقليب كتاب الروضتين لابي شامة تجد نصوص كثيرة تحكي ما فعله السلاطين المسلمين بالصليبيين في المعارك والاغارة على الصليبيين في اكثر من موضع وتكاد لا يخلوا لقاء حربي من غنائم واسرى .

ومن الامثلة على ذلك ما نصه : " **وصل الخبر الى السلطان [صلاح الدين] ان الافرنج قد اجتمعوا في صفورية ورحلوا الى الفولة وهي قرية معروفة ، وكان غرضه المصاف فلما سمع بذلك تعبىء للقتال وسار للقاء العدو فالتقوا وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة وجرح جماعة وهم ينضم بعضهم الى بعض ... ، والقتل والجرح يعمل فيهم وهم لا يخرجون لخوفهم من المسلمين ...** " (٢) . وهذا يدل ان المسلمين اوقعوا في الصليبيين وقعة كبيره وحاصروهم حصار بحيث لا يستطيعون الافلات منه .

---

(١) اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة : حسن حبشي (بدون تاريخ) ص ١٧-١٨ .

(٢) ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي (ت: ٦٦٥ هـ) ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت :١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م) ج٣ ، ص ١٨٥ .

وفي نص اخر لابي شامه ([1]) يقول فيه : " **وصادف مقدمة العساكر خيلا ورجالا للفرنج عابرين من نابلس ... ، فقتل منهم واسر وتوقل [اي صعد] الباقون في الجبال ، ووصل الخبر ان الفرنج قد اقبلوا في الف وخمسمئة رحم تركبلي ، وخمسة عشر الف راجل فاتاهم المسلمون ...** " .

وهناك نصوص كثيرة من نفس الكتاب تعكس البطش السلامي في ظاهرها الا ان المدقق لهذه النصوص يجد جليا انها وقعت في البر الشامي وهذا يعني انه من باب دفاع المسلمين عن انفسهم وليس الهجوم ، لان الغازي الاول هم الصليبيون وليس المسلمون ، هذامن جهة ومن جهة ثانية نرى ان هناك نصوص وردت عن بعض المؤرخين المسلمين تكشف عن ان من وقع بالأسر ليس الرجال فحسب بل حتى النساء ، وقد تظهر النصوص مع الاسف حقد السلاطين على الاسرى ، فهذا نص تاريخي من كتاب ابي شامة يقول فيه : " **من شاهد القتلى قال ما هناك من هناك اسير ، ومن عاين الاسرى قال ماهناك قتيل ، وبلغ من كثرة الاسرى ان بيع الاسير في اسواق دمشق بثلاثة دنانير ، وكان يباع الرجل وزوجته واولاده في المناداة بيعة واحدة ...** " [2] .

([1]) ابو شامة ، الروضتين ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

([2]) ابو شامة ، الروضتين ، ج٣ ، ص ١٩٩ .

نلاحظ هنا بوضوح وجود النساء الاوربيات وكيفية التعامل معهن من قبل المسلمين ، ولكن يجب ان نلتفت الى ان هذه الافعال التي حلّت بالصليبيين نتيجة افعال عند دخولهم في اراضي المسلمين وكيفية تعاملهم مع عامة الناس ابان حكمهم ، ولا سيما ان نصوص ابو شامه سابقة الذكر كلها تتكلم عن وقائع انتصارات السلطان صلاح الدين الايوبي ، اي في بداية انتهاء الحكم الصليبي للأرضي الاسلامية ، لذا فان من يدافع عن الصليبيين ويأتي بشواهد تأريخيه تتكلم عن البطش الاسلامي ان صح التعبير بالجيش الصليبي فهو نسى ان هذا البطش ان وجد يتكلم عن الجيش لا عن عامة الناس ، واذا وردت نصوص فيها سبي نساء فهن نساء رافقن ازواجهن في ابان تواجدهم في دار الحرب لغرض تقديم المساعدات لا زواجهن من طهي الطعام وخياط الملابس وغير ذلك [1] ، وهذا عُرف كان سائدا في اوروبا سواء كان ابان حملات الحج للديار المقدسة (القدس) ام ابان الحروب ، لذلك على المعترض على افعال المسلمين ان يلتفت ان نقطة مهمه وهي ان احداث الاسر والبطش حصلت في ارضي المسلمين وليس في اوروبا .

([1]) حسن حبشي ، الحملة الصليبية الاولى ، ص ٢٥ وما بعدها .

وهذا يعطينا تصور واضح عن ما كان يجري انذاك في الديار الاوربية من اهتمام الطبقة الحاكمة نفسها بهذه الحروب وعن اهمية التبعية الدينية السائدة انذاك ، ناهيك عن بعض الاخبار التي وردت عن لسان الحجاج الذين كانوا يرتادون بيت المقدس بقولهم عن طبيعة الارض وجمالها ، وما اشيع عن بعض الفرايا من معتقدات جعلت حتى العقول الحاكمة تهفوا شوقا للرحيل الى تلك البلاد ، فمثلا نجد ان الملك ريتشارد يأمر النساء والرجال على حد سواء بالرحيل لتلك الاراضي وانتزاعها من هؤلاء الكفار الوثنيين [1] ، وهو اول خطاب – بحسب اطلاعنا - كان قد غادر الاتجاه الاول للحملة بانها نحو الارض التي ولد فيها المسيح عليه السلام ، وان خروج الجموع كان يقصد التوجه الديني لا التوجه الطائفي ، في حين نجد هذا التوجه واضحا بانه توجها طائفيا ، وخصوصا المتابع خطابات الملك ريتشارد الذي كان يركز على حث النساء الاوربيات ولاسيما في الدور الحربي والعسكري لهن ويدمج ذلك الدور بعيسى ابن مريم عليه السلام .

([1]) مؤلف مجهول ، الحملة الصليبية الثالثة ، ج١ ، ص ١٨٢ .

من ذلك انهم ربطوا الحروب الصليبية بالتوبة والحج الى الاماكن المقدسة " **وان يد الرب كانت تتدخل لمساعدتهم ماديا ، وان الرب كان يوافق بالفعل على ربط الحرب المقدسة بالتوبة والحج ، فهذا احد رجال الدين المشاركين في احتلال القدس يقول : " سقطت بيت المقدس ...، بمساعدة سيدنا يسوع الذي له المجد والشرف ابد الابدين** " [1] .

ومن الخطابات التي استغلها الصليبيون في حملتهم والتي كان لوصف المرأة الاوربية ومعاناتها عند وقوعها بالأسر ما ورد عن احد الشعراء الذي لم يرد اسمه قوله : " ثم جاءت الحسناوات الرقيقات مكبلات بالأغلال يثقلهن العذاب وهن يبكين بحرقة على اساهن وبلواهن ... " [2] .

وفضلا عما تقدم فانه قد ظهر جليا مصطلح " **شهداء الايمان** " كجزء من الدعاية الاعلامية التي عمل عليها الملوك ورجال الدين على حد سواء ، اذا اظهرت الدعاية الاعلامية المقاتلة الصليبين الذين ماتوا على شكل صور ورسومات على شكل ملائكة صاعدة ارواحهم الى السماء [3] .

---

[1] عبد الرحيم ، وسائل الدعاية الصليبية ، ص ١٧١ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

[3] عبد الرحيم ، وسائل الدعاية الصليبية ، ص ١٧١ .

وفضلا عن ريتشارد نجد الملك الالماني فردريك يهز اسماع النساء اللواتي حشدهن بشعارات تدل في غالبيتها على التعصب الديني ، اذ جمع الجموع من النساء وجعلهن يرددن شعار " الهلاك للعدو " ويقصد فيه المسلمين ، و" المجد لنا " : ويعني به الاوربيين ([1]) .

ومن الصور الاخرى للمشاركة الفاعلة والحماسية العسكرية للمرأة الصليبية نجدها في حصار عكا سنة ٥٨٦ه /١١٨٩م[٢]، اذ وصف احد الباحثين كيف كان للمرأة الصليبية اثرا كبيرا ووضحا في مشاركة المقاتلين الصليبيين ضد المسلمين وقد كان دورهن في القتال المباشر ومواجهة المقاتلين المسلمين ، اذا انه كما معلوم ان المسلمين وكجزء من خططهم بالمعركة كانوا قد حفروا الخنادق ولاسيما بالمناطق المحيطة بعكا ، وذلك لمنع الجيوش من التقدم فضلا عن انها تكون بمثابة مواضع قتاليه لهم في حال التقدم المفاجئ من قبل العدو ، وابان الحصار نجد ان المرأة الصليبية تقوم بطمر الخنادق واهاله التراب [٣]عليها وردمها حتى لا يفاد منها من قبل المقاتلين المسلمين الذين امطروا النساء اللواتي حاولن فعل ذلك بوابل من الحجارة او ربما بأسلحة اخرى لم يصرح عنها الباحث ، ما ادى الى اصابة النساء الاوربيات بإصابات كبيرة ادت الى وفاتهن ،

([1]) مؤرخ مجهول ، الحرب الصليبية الثالثة ، ج١ ، ص ٧٠ .

[٢] للمزيد ينظر nicholson,helen:women on third crusadr,p٣٣٥-٣٤٤.

[٣] الشارتاري ،الاستيطان في بيت المقدس ،ص١٢٧ ،برواز ، يوشع ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (مصر : ١٩٩٩م) ص ١٢٩-١٣١ .

وممـــا ذكـــره الباحـــث ايضـــا ان بعـــض النســـاء واثنـــاء محاولتهـــا طمـــر الخنـــادق توفيـــت مـــن جـــراء ســـهم مـــن جـــيش المســـلمين ارداهـــا قتيلـــة ، وانهـــا قبـــل ان تمـــوت اوصـــت زوجهـــا اذا مـــا ماتـــت ان تـــدفن داخـــل الخندق الذي حفر والذي لم تستطع اكمال مهمتها في ردمه ([1]) .

واضـــاف ســـلامة معلقـــا علـــى دور هـــذه المـــراة التـــي لـــم يُـــذكر اســـمها بـــالقول : " ولعـــل فـــي وصـــيتها هـــذه رســـالة لكـــل النســـاء اللاتـــي اجـــتمعن مـــن مختلـــف البلـــدان الاوربيـــة بوجـــوب الصـــمود والثبـــات والرضـــا بـــالموت علـــى الاستســـلام للهزيمـــة او الخضـــوع لكـــل اغـــراءات الجانب الاسلامي المادية بأشكالها وانواعها كافة " ([2]) .

ومـــن الصـــور الاخـــرى لمشـــاركة المـــرأة الصـــليبية فـــي الحـــرب ، مـــا نقلـــه لنـــا المـــؤرخ ابـــن شـــداد فـــي نـــوادره عـــن حصـــار عكـــا بقولـــه ان الافـــرنج : **" صـــوروا صـــورة المســـيح وصـــورة عربـــي يضـــرب المســـيح وقـــد ادمـــاه ، وقـــالوا هـــذا نبـــي العـــرب يضـــرب المســـيح ، فخرجـــت النســـاء مـــن بيـــوتهن ووصـــل مـــن الافـــرنج فـــي البحـــر عـــالم لا يحصـــون وساروا الى عكا ..."** [3] .

([1]) ســـلامة ، دور النســـاء الاوربيـــات فـــي الحملـــة الصـــليبية الثالثـــة ، ص ٤٨،الحـــويري الأوضاع الحضارية ،ص١٦٥ .

([2]) سلامة ، دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الثالثة ، ص ٤٨-٤٩ .

([3]) النوادر السلطانية ، ص ١٨٥ .

وقد أثرتنا المصادر العربية كثيرة في ذلك المجال، حيث سلطت الكتابات الإسلامية الأضواء، على الأدوار العسكرية التي أدتها المرأة الإفرنجية من خلال مشاركتها في القتال إلى جانب الرجال، وفي هذا السياق يذكر ابن الأثير في سياق الأحداث التي أعقبت سقوط القدس بيد المسلمين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وتحركهم لمحاصرة عكا أن الفرنج عظم عليهم ذلك الأمر، فأخذوا يحشدون الحشود ويجدون أنفسهم، " فحشروا وحشدوا حتى النساء [١] وعند سيرهم لمحاصرة عكا كان من ضمنهم النساء الصليبيات اللواتي يبارزن الأقران "[٢]، ويذكر ابن واصل شيئا عن ذلك حيث يشير إلى مشاركة النساء الصليبيات في وقعة عكا العظمي في القتال : " خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسيرن إلى الشام متجهزات " [٣].

ويوضح ابن كثير في ذلك الصدد " أن الافرنج خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات"[٤].

وقد لفتت مشاركة المرأة الإفرنجية في الحروب انتباه المؤرخ الأصفهاني، فخصص لها حيزا هاما مشيرة إلى أن النساء الإفرنجيات كن يقتدين بالفرسان

(١)ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٩ . ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٨٩. وقد ذكر ابن خلدون عن خروج النساء للقتال في أثناء الحملة الصليبية الثالثة: "فحتي النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب ' وهذه الرواية تؤكد خروج النساء اللواتي تمرسن على القتال . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص ٣١٨.
(٢)ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٧٠. ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٨٩.
(٣)ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص ٦١٢ العمري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٧٩.
(٤)ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٣٥.

ويقاتلن، فلا يرتدين إلا السوابغ في أثناء الحروب([1])، وهو ما عبر عنه الأصفهاني بقوله : " وفي الفرنج نساء فوارس، لهن دروع وقوانس ([2])، وكن في زي الرجال، ويبرزن في حومة القتال، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال، وكل هذا يعتقدنه عبادة " ([3]) . ويتفق ذلك القول مع ما ذكره المؤرخ الصليبي المجهول صاحب كتاب " صلاح الدين وسقوط بيت المقدس" :" حتى النساء حاربت كالرجال بجانب إخوتهن في السلاح ، ولم يتوقفن إلا بعد أسرهن، كان يوم الأبطال والنساء الجبارات "Amazons" ([4])

اليوم وغدا إلى جانب الجنود وهذا يدل على أن الحروب الصليبية كانت حرب جماعية شاملة اشترك فيها كل الطبقات من أوروبا الملوك والأمراء والنبلاء

---

(١)الأصفهاني، الفتح القسي، ص ١٨٨. Brahim El Kadiri Boutchich: The Image of the Crusade Woman through Islamic P.٥-٩

(٢)القونس : البيضة و جمعها قوانس وهي تقع في مقدم الرأس وأعلى بيضة الحديد وعظم ناتئ بين أذني الفرس وجادة الطريق. مصطفي، إبراهيم و آخرون، المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧٦٢ .

(٣)العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ١٨٨.

(٤)مجهول، صلاح الدين وسقوط بيت المقدس، ص ٢١٧.

حتى النساء شاركن فيها على اختلاف طبقاتهن، و خروجهن بنية القتال ضد المسلمين ([1]) .

هنا نلاحظ كيف كان للدعاية الاعلامية التي يبدو من خلال هذا النص والنصوص السباقة كانت قد حبكت ودُرست بطريقة قد ناغمت كل العقول ، وجعلت من النساء الاوربيات يظهرن في القتال العسكري بكل صنوفه حتى كان لهن الاستعداد للتضحية بالنفس .

وفي موضع اخر يخبرنا ابن شداد ان السلطان صلاح الدين حين حصاره لعسقلان فرض احكامه عليها بشده ، وامتنع عن الصلح مع الافرنج حتى انه قال : " لا اخذها الا بالسيف " وبعد هذا انتهى الحصار على فداء النساء اللواتي في الاسر عن كل واحدة خمسة دنانير ([2]) .

ولم نجد في رواية ابن شداد هذه ما يدعم حماس صلاح الدين بعدم تراجعه تجاه المحاصرين بعسقلان ، كما اننا لم نجد مصير الرجال والاطفال ، والذي عادة ما نجده هو الاسر ، فاذا كان الفداء فاين ذهب هؤلاء ؟ وكيف تم التعامل معهم ؟ ، هل انتهى بدفعهم الاموال ؟ وهل ان دفع الاموال خلصهم من الاسر ام ماذا ؟ .

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٣٤.
([2]) النوادر السلطانية ، ص ١٨٢ .

يبدو ان ابن شداد كان يقصد من وراء الفداء هو شمول كل اهالي عسقلان وليس فقط الافرنج لانها كانت واقعة تحت الحكم الصليبي بعد ضياعها من المسلمين في الحملات الصليبية السابقة ، فقد ارتأى صلاح الدين ان لا يصنع مذبحه او كارثه انسانية لأهل عسقلان وقد اكتفى بخلاص رقابهم بدفع الفداء .

ويصور لنا ابن شداد صوره اخرى من صور الاثر العسكري للمرأة الصليبية نقلا عمن حاصر الحدث بقوله : " وقد نقل لي شيخ عاقل جندي انه كان من جملة من دخل قال : وكان داخل سورهم امرأة عظيمة ، فما زالت ترمينا بقوسٍ من خشب خرجت [اليها] منا جماعة ، وتكاثرنا عليها وقتلناها واخذنا قوسها ... " (١) .

وقد عزى احد الباحثين ان للمهارات التي تمتعت بها النساء الاوربيات دورا مهما في الحرب اذ ان – بحسب رأيه طبعا - مثل هذه الحروب تحتاج الى نوع من المهارة والجرأة وخفة الحركة ، ذلك ما تميزت به بعض النساء الاوربيات اللاتي استطعن مع غيرهن من المقاتلين من الترصد لاحد القوارب الاسلامية الذي كان يقوم بمهمه استطلاعية على ما يبدو ، الامر الذي ادى الى مداهمة القارب والقبض على افراد القارب جميعا (٢) .

---

(١) النوادر السلطانية ، ص ٩٨ .

(٢) سلامة ، دور النساء الاوربيات ، ص ٤٩ .

ويحكي لنا الباحث ايضا من خلال قراءته للمؤلفات المعاصرة للحدث وحشية تلك النساء وكيفية تعاملهن مع افراد القارب بقوله : " وبلغت شدة انتقام النساء الاوربيات اللاتي شاركن في هذه العملية التي اعدت بالنوعية ، ان سارعن الى القبض عليهم من نواصيهم ثم اقدامهن وبمعاملة لا تعرف الرحمة بالإمعان في تعذيب كل واحد من الاسرى قبل الموت باستخدام المدى والسكاكين بدلا من السيوف في قطع رؤوسهم وجز اعناقهم عن اجسامهم " ([1]) .

وتوصل الباحث الى الرأي ان هذا الاسلوب التعذيبي الذي مارسته النساء المقاتلات بحق الاسرى المسلمين جاء ردا وانتقاما على ما حل بأخواتهن الصليبيات اللاتي فقدن اناسا اعزاء عليهن بعد معركة حطين التاريخية ، وما اعقب المعركة من انهيار كلف الغرب الاوربي الالاف من ارواح خيرة الجنود – على حد تعبيره – والفرسان ... ، ويضيف قائلا : ومن ناحية اخرى يبدو ان شدة البطش هذه كانت ترمي الى بث الخوف والذعر في نفوس المقاتلين المسلمين ... ([2]) .

([1]) **المرجع نفسه .**

([2]) **سلامة ، دور النساء الاوربيات ، ص ٤٩ .**

ولعل النص سابق الذكر والذي اعتمد عليه الباحث على المؤرخ الرهاوي المجهول في كتابه " الحملة الصليبية الثالثة " ([1]) ، يولد لدينا في الوقت ذاته فكرتين اثنين ، الاولى ان هناك مبالغة تحاكي لغة المغلوبين في وصف الخسارة التي حلت باوربا وبالتالي فان كتابة التاريخ بلغة المغلوبين تحتاج الى اعادة نظر لان فيها المبالغة لتعظيم قوة المغلوب ، وما حل باوروبا بعد حطين خير شاهد على ذلك . ومن جهة اخرى نرى ان الباحث قد تناسى ان الاحداث التي ذكرها بالاعتماد على الرهاوي المجهول تعطي لنا صورتين متناقضتين الاولى تحكي قوة وشدة وصلابة المقاتلات الاوربيات ، والثانية تحكي بين اسطرها الانتقام مما حصل ؛ فلا نعتقد بعد ما حصل في حطين يجعل الاوربيين يفكرون في ايصال رسالة للمسلمين بعدم الاقتراب من البحر الاوربي كما قال الباحث . ومن ناحية اخرى لا يمكن ان يكون المسلمين بهذه السذاجة للإبحار على مركب ولاسيما ان الاراضي الشامية قد حررت بكاملها بعد حطين ، فكيف وايـن وجدوا اصحاب القارب ؟ .

([1]) ج١ ، ص ١١٥-١١٧ .

المبحث الاول : الانحراف الاخلاقي للمرأة الصليبية واثره في بلاد الشام .

مما لاشك فيه ان التاريخ الاجتماعي للمرأة الصليبية ينتابه الغموض ، فلا يمكن ان نجد حياة واضحة التفاصيل تخص المرأة الافرنجية وذلك للأسباب الاتية :

١: ان المصادر سواء المعاصرة للحروب الصليبية منها ام المحدثة ركزت على اثر المرأة في الميدان الحركي السياسي والعسكري كما مر بنا والصراعات حول السلطة .

٢: ان العادات والتقاليد التي كانت سائدة قد تقسم المجتمع الى طبقات (النبلاء ، الحكام ، الطبقة الوسطى ، الفقراء والعبيد) لذلك فالجزء الذي كان يخص المرأة ولا سيما الصليبية تجده يركن الى تتبع اثرها السياسي المرتبط بالحراك ويهمل واقعها الاجتماعي .

٣: يبدو ان المصادر لم تجد مادة وفيرة تعتمد عليها في تتبع اثر المرأة وطبيعة تفاصيل حياتها العامة ، اليومية ابان الحروب الصليبية على عكس المرأة الاوربية قبل وبعد الحروب الصليبة التي فصلت بها المصادر ولاسيما في اثرها الصناعي والزراعي وغير ذلك .

اذن علينا ان نفهم اننا سوف نركز على ما توفر من معلومات عن المرأة الصليبية ابان الحروب الصليبية من الناحية الاجتماعية طبعا . وقد شكلت المادة العلمية المتوافرة عن سلوكيات المرأة الصليبية غير الاخلاقية ركنا اساسيا في تاريخها الاجتماعي فقد

تحدثت المصادر المعاصر للحروب الصليبية ، والتي اتت بعدها عن الواقع الاجتماعي لتلك المرأة الصليبية ابان الحروب وسنذكر ما توفر بين ايدينا من تلك المصادر ، ناهيك عن امر هام جدا وهو تصرفات الطرف المكمل للمرأة وهو الرجل الذي تنوعت تصرفاته بحسب موقعه (رجل دين ، قائد ، جندي ...) ولعل افضل شاهد على ما شاع فعله ابان الحروب الصليبية من مظاهر الفساد ما اشار اليه البابا هنري الثاني في خطابه المشهور في مؤتمر كليرمنت بقوله : " **انتم يا من تقهرون الاطفال ، وتنهبون النساء الارامل ، وانتم يا من غرقتم في خطيئة الزنا ، يا من تسرقون حقوق الاخرين ، اذا كنتم حقا تريدون ان تحرصوا على ارواحكم ، فاندفعوا باقصى سرعة للدفاع عن الكنيسة الشرقية** " [1] .

ومن ذلك ما ورد من قول لأسامة بن منقذ وما شاهده بنفسه اذ انه كان معاصرا للأحداث آنذاك بقوله [2] : "***أنه ليس عندهم شيء من النخوة و الغيرة ، يكون الرجل منهم يمشي هو و امرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة و يعتزل بها و يتحدث معها ، و الزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث ، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى*** " .

([1]) قاسم عبده قاسم ، الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق تاريخية ، دار عين (القاهرة : ٢٠١٠م) ص ٧٨-٨٨ .

([2]) اسامة بن منقذ الكناني الشيزري (ت: ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) الاعتبار، تحقيق الدكتور عبد الكريم الاشتر ، ط٢ ، مطبعة المكتب الاسلامي (بيروت : ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٢٢٤ .

ويضيف اسامة بن منقذ ليعطي امثلة على سوء اخلاق الافرنج ووصفهم بقوله : "***و مما شاهدت من ذلك أني كنت إذا جئت إلى نابلس أنزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح على إلى الطريق ، و يقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل إفرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ و ينادي*** ..." [1] .

وهنا نجد أهمية مشاهدات اسامة بن منقذ لما كان يجري من فسق وبيع مباشر للخمور ودعوه لنشر الرذيلة في المجتمع .

ويعطينا اسامة بن منقذ صوره اخرى لما وصل اليه المجتمع الافرنجي من عادات سيئة بقوله : "***فجاء يوما و وجد رجلا مع امرأته في الفراش فقال له : أي شيء أدخلك إلى عند امرأتي ، قال كنت تعبان دخلت أستريح ، قال : فكيف دخلت إلى فراشي ؟ ، قال : وجدت فراشاً مفروشاً نمت فيه ، قال : والمرأة نائمة معك ، قال : الفراش لها كنت أقدر أمنعها من فراشها ؟ ، قال : وحق ديني إن عدت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت . فكان هذا نكيره و مبلغ غيرته*** " [2] .

---

(1) الاعتبار ، ص ٢٢٤ .

(2) الاعتبار ، ص ٢٢٤ .

ولعل من المهم ان نذكر هنا ما حل بالمجتمع ابان الحكم الصليبي ولاسيما في بيت المقدس فقط وصف احد الشعراء ذلك بقوله [1] :

أحل الكفر بالاسلام ضيما — يطول عليه للدين النحيب

فحق ضائع وحمى مباح — وسيف قاطع ودم صبيب

وكم من مسلم امسى سليب — ومسلمة لها حرم سليب

دم الخنزير فيه لهم خلوق — وتحريق المصاحف فيه طيب

امور لو تأملهن طفل — لطفل في عوارضه المشيب

اتسبى المسلمات في كل ثغر — وعيش المسلمين اذا يطيب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا — اجيبوا الله ويحكموا اجيبوا

وعلى الرغم من ان الشاعر صور لنا الحالة المأساوية بشكل عام لما مرت به البلاد العربية تحت وطأة الاحتلال الصليبي ، الا اننا نجد في هذا المقطع الشعري ما يرتبط ارتباطا موثقا بما تعرضت له المرأة من السبي والانحطاط الاخلاقي للمجتمع بحيث حتى ان المصحف الشريف يتعرض للحرق .

ورد في المصادر الافرنجية ان هناك نساء حملن برفقة المقاتلين في الحملة الصليبية الاولى وكانت تلك النساء ليس من زوجات المقاتلين فحسب ، بل من العاهرات ، فقد استغل الدين لتشريع الانحراف الجنسي في الحملة الاولى ومن اهم الشواهد التاريخية ما ورد عن البرت قوله : " **في ضواحي صيدا فقد الكثير**

([1]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، ص ١٥٠-١٥١ .

من الحجاج ارواحهم بفعل لدغ الثعابين لهم ، وتعرف الحجاج على دواء وهو ان الرجل الملدوغ يجب عليه فورا ان يعاشر امرأة فيشفى ويتحرر من الورم " [1].

ونجد ان الفساد قد انشر في مختلف طبقات المحتشدين الصليبين فقد كان اوله عند رجال الدين ومن الشواهد على ذلك نجد رئيس شماسية متز وهو (ادلبرو) واثناء تواجده في الحملة الصليبية الاولى في حصار انطاكية من قبل المسلمين الاتراك فقد وجدوه تحت شجرة مع امرأة جميلة فتسلل له الاتراك فقتلوه ، وقد كان هذا حدثا مهما في تاريخ الحروب الصليبية [2] .

وربما نجد شواهد اخرى اكثر دقة من مركز اتخاذ القرار في لندن فقد دعا (انسلم) رئيس الاساقفة في عام ٤٩٦هـ/١١٠٢ م الى عقد اتفقا اصدره الاسقف في كنيسة القديس بولس يقضي هذا الاتفاق بالحرمان الكنسي لكل من لديه خليلات من الكهنة مالم ينفصلوا عنهن على الفور [3] .

لعل السبب المباشر في الاعمال غير الاخلاقية التي قام بها رجال الدين تلك ترجع الى عزوفهم المتعارف عليه عن الزواج الامر الذي

([1]) البرت فون آخن ، تاريخ الحملة الصليبية الاولى ، ورد هذا الكتاب جزء من الموسوعة الشامية الشاملة للحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠٧) ص ١٢٧ .

([2]) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

([3]) ويندوفر ، روجر اوف ، ورود التاريخ ، ورد ضمن موسوعة الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠٠ م) ج٣٦ ، ص ١١٨ .

دعا الكنسية ان تتخذ مجموعة من التدابير والتي كان في مقدمتها المصادقة على زواج الرهبان بعضهم البعض للحد من انتشار الرذيلة في مجتمع رجال الدين ومن الامثلة على ذلك انهم حددوا عمر المقترن بها من النساء بـ(١٢) سنة كحد ادنى ، في حين حددوا سن (١٤) للشاب وقد وصل الحال بالكنسية ان تعد العقد مبروم بين الطرفين حتى وان كان شفويا وذلك لحماية النساء من مظاهر الانحلال [١] .

وقد وصل الحال بالكنسية لمعالجة الواقع المرير الذي عاشته اوروبا ان تنشأ دار خاصة للقطاء في بعض مدن اوروبا حتى ان شارلمان اصدر قانونا ورد فيه ان الاطفال الذين يوجدون في الطرقات او في الخلاء يصبحون عبيدا لمن يأدبهم ويربيهم ، الامر الذي دعا الكنسية تنافس القوانين المدنية وذلك باصدارها قرارا يقضي ان النساء اللاتي يلدن اطفالا غير شرعيين يمكنهن ان يوضعنهن عند باب الكنيسة ، واعلنت الكنسية انها ستتكفل بهؤلاء الاطفال ليصبحوا ارقاء يعملون في املاك الكنيسة [٢] . وممن كان لهن اثر في الانحراف اللاأخلاقي من النساء الافرنجيات زوجة القائد الافرنجي ((**رينيه دي بروس**)) فقد وصفها وليم الصوري عودتها من الاسر قائلا : " **عادت الى زوجها بعد غيبه طالت سنتين ، فردها مغتبطا الى مكانتها كزوجة ، وان**

---

(١) عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة (الاسكندرية : ١٩٩٨ م) ص ٢٨٦ ـ٢٨٩ .

(٢) عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ،ص ٢٨٨ .

كان قد ظهر بعد حين انها سلكت اثناء وجودها بين ايدي العدو مسلكا مزريا ، فلم تحافظ محافظة المرأة الشريفة على فراش الزوجية " [1] .

وفي محاولة لتبرير سلوكياتها المشينة هذه من لدن وليم الصوري ، فانه برر فعلتها تلك بأنها قد اعترفت لزوجها بما فعلته في الاسر ، وذهبت الى احد الاديرة الخاصة بالنساء الطاهرات ببيت المقدس ، واقسمت انها تلتزم العفة التامة حتى يوافيها اجلها ، وان تنضم الى زمرة الراهبات كواحده منهن [2] . وهذا التبرير غير الصحيح من لدن الصوري يدفعنا الى القول : ان الرذيلة قد انتشرت في تلك البلاد الى حد ربما دعت فيه بعض مؤرخي السلطة الى تغطية ما كان من اثم عبر تضمينه في مؤلفاتهم والدفاع عنه بحجج واهية من امثال قولهم ان المحاربين انحرفوا عن الخط المرسوم لهم [3] وغير ذلك من الحجج الواهية التي لاتصمد امام النقد التاريخي بطبيعة الحال .

([1]) الحروب الصليبية ، ج٣، ص ١٢٥ .

([2]) المصدر نفسه .

([3]) مؤلف مجهول ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية العامة للكتب (القاهرة : ٢٠٠٠م) ج٢ ، ص ١٠١ .

وعلى الرغم من ان التوراة قد شجب وحرم الزنا ولاسيما في الوصايا العشرة اذ عد الزنا في نظر التوراة خطيئة يعاقب عليها الرب وقد عُمم هذا على كل اوروبا والشرق القديم ايضا [١] . وعلى الرغم من كل هذه التعاليم الواردة في التوراة بتحريم الزنا فان عشتا روت إلهة النبات والخصب ، رديفة عشتار البابلية انتشرت عبادتها الفاسقة تحت عنوان " الغاء المقدس " في الشرق كله ولاسيما في فلسطين ، حيث كان لها تأثير خطير في بني اسرائيل ، حيث لعبت النساء دورا هاما في البغاء المقدس ، وهذا النوع كان يمارس في ظل المعابد الكنعانية بل وصل حتى الى هيكل اورشليم (بيت المقدس) وكان البغاء يمارس في شعب اسرائيل كما في البلدان المجاوره لها ولا يشجب على المستوى الاخلاقي ابدا [٢]. ورغم تحريم التوراة لذلك فقد شهدت اوروبا بصفه عامة انتهاكات لا اخلاقية كثيرة سجلها المؤرخون الاوربيون انفسهم فقد كانت مظاهر الفساد والاغتصاب منتشرة في اوروبا ولاسيما ابناء الحروب والاجتياحات التي شهدتها اوروبا رغم التشدد في معاقبة مرتكبيه [٣] ؛ فقد نقل لنا "وندوفر" انه لما تفجرت الخلافات بين ملك فرنسا وريتشارد عندما اخذ قلاع بعضهم الاخر شهدت اوروبا

---

(١) الفغالي ، الخوري بولس ، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ، المكتبة البولسية (بيروت : ٢٠٠٩ م) ص ٦٢٢ .

(٢) حمودي ، امام محمد الشافعي ، سيد ، اشرف صالح محمد ، تدنيس المقدس في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ١٩٣ .

(٣) عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة (الاسكندرية : ١٩٩٨ م) ص ٢٨٦ .

العديد من التجاوزات ابانها حتى حل القتل والاعتداء على النساء بالاغتصاب [١] .

ومن جانب تاريخي اوربي ثاني يدل على الانحلال والتعدي على الاعراض انه عندما وصلت جموع اتباع يعقوب الى مدينة بورغ في فرنسا قام يعقوب (استاذ هنغاريا) بتوصية اتباعه عندها بتدمير المدينة عن بكرة ابيها وامر كذلك بسرقة الذهب والمجوهرات واغتصاب النساء بالشوراع حتى ضجت المدن بذلك [٢] .

وقد نقل لنا متي باريس انه قد أُغتصبت النساء العذارى حتى مُتن من شدة الاغتصاب وهذا كان ابان دخول التتار الى اوروبا اذ كانوا يحتفظون بالنساء الجميلات عند احتلال مدينة ما ويبقين معهم الى موتهن من كثرة المغتصبين [٣] .

ولم تكن اوروبا البيزنطية نفسها بمأمن من ايادي العبث والاغتصاب والاعتداء على اعراض النساء من الصليبيين فقد سجل لنا المؤرخ " ستيفن " شواهد لحرق وتعذيب واغتصاب من قبل

---

(١) روجر اوف ، ورود التاريخ ، وهو جزء من الموسوعة الشامية التي جمعها وترجمها الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠١ م) ج٣٩، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) زكار ، الدكتور سهيل ، مدخل الى دراسة الحروب الصليبية ، وردت كجزء من الموسوعة الشامية ، دار الفكر (دمشق : ١٩٩٥ م) ج٤ ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٣) التاريخ الكبير ، ورد ضمن الموسوعة الشامية الشاملة للحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠١) ج٤٠ ، ص ١٠٢١ .

الصليبيين في هجومهم على القسطنطينية ولاسيما الاديرة التي شهدت اعتداءات جمه على الراهبات [١] .

لقد اصبحت توجه الصليبيين نحو عمل الزنا امر طبيعي ولاسيما ابان زحفهم على الاراضي الشامية في حملتهم الصليبية الاولى اذ تفشت جريمة الزنا ولاسيما ان جرائمهم تلك قد شرعنها لهم مؤرخوهم بشياعهم انها معفى عنا بموجب الوعد البابوي ، وعلى ذلك شاع في المدونات التاريخية الصليبية عن الحملة الصليبية الاولى اخبار كثيره من حالات الزنا ، حتى بين الرهبان انفسهم ، الامر الذي جعل الصليبيون يعتقدون ان مجرد المشاركة في الجهد الصليبي من شأنه ان يغفر لهم خطاياهم ويخلصهم من الكفارة المستحقة على ذنوبهم ، وهذا ما دفعهم الى الانغماس في كثير من الانحرافات التي اعتادوا عليها ومنها الخطايا الجنسية كارتكاب فاحشة الزنا واللواط [٢] ولعل افضل من وضع يده بالتتبع عن السلوك المنحرف للمرأة الصليبية ما كتبه الباحث اشرف سيد في مقال تحت عنوان : " **السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية طبقة المحكومين نموذجا** " ، وعلى الرغم من ان البحث اختص بطبقة معينة من المجتمع الا انه وضح ما كان عليه المجتمع الصليبي من انحلال وفسق ،وقد نقل سيد صورا متعددة من هذه الانحرافات حتى انه وصل الحال الى ان

---

(١) هوارت ستيفن ، فرسان الهيكل ، المركز القومي للترجمة (القاهرة : بدون تاريخ) ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) حمودي ، تدنيس المقدس في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ١٩٥ .

بعض الجنود يميل ما بوسعه ليبعد الريبة عن نفسه ، فكان بعضهم يضع فراشه امام باب الخيمه حتى يراه اي شخص يدخل عليه دون ان يسدل الستار عنها [١] . وهذا يعزز لنا ما أُشيع انذاك من فاحشة وتندني للاخلاق بحيث لايريد هذا الجندي ان يكون محل شك بمجرد ان يسدل ستار الخيمة .

ومن صور الفاحشة للأوربيين الصليبيين في الحملة الصليبية الاولى انهم كانوا يتغذون من بعض الحصون كحصن (حارم) في انطاكية ملاذا للفساد والدعارة ويترددون عليه اذ شهد هذا الحصن الانغماس بالفساد والرذيلة الى ابعد حدودها وخصوصا الملذات الجسدية [٢] .

وقد انكب الاوربيون الصليبيون على انشاء الحانات والارتياد عليها في الحملة الصليبية الثالثة ، فقد نُقل عن مجالسة العاهرات من قبل الجنود فضلا عن اغتصاب النساء ، وبرر صاحب كتاب (الحرب الصليبية الثالثة) ان رئيس الاساقفه كانتربري كان قد ضاقت به الحيل لانهاء هذه المظاهر وقد " **تغلب السأم عليه من هذه الدنيا** " [٣] .

---

(١) الاستيلاء ، ص ٨٠- ٨٤ .

(٢) الصوري ، وليم ، الحروب الصليبية ، ج٤ ، ص ٢٢٤ .

(٣) مؤلف مجهول ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية العامة للكتب (القاهرة : ٢٠٠٠م) ج١ ، ص ١٦٣ .

وقد اضاف صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة يصف حال الجنود الصليبيين في عكا قائلا : " ... **وكواعب اتراب ساحرات لم تر العين اجمل منهن ، مما افضى بمعظم العسكر الى الانغماس في حياة اللهو والفجور واكثروا من التردد على النسوة الساقطات وعكفوا على الشراب منه ولايرتوون ومن ثم اصبحت المدينة تعج وتضج بهم من مباذلهم الدنيئة في طلب اللذة** " [1] .

ويضف المؤلف المجهول قوله : ان جيش ريتشارد حينما بنى ورمم اسوار حيفا ظل فيها مدة من الزمن " **حتى انتشرت بينهم شتى انواع الخطايا واخذت تتفاقم يوما بعد يوم من انكباب على الشراب والفجور ، اما النساء فقد عدن من عكا الى الجيش وكثر الفسق ، وعمت الاثام والافعال الشريرة ، ففسدت الاخلاق وانصرف تفكيرهم عن الحج ، واهملوا واجباتهم الدينية التي كان من المفترض عليهم اداؤها** " [2] .

واذا لحظنا ذيل الرواية التي اشار اليها المؤلف نجد بوضوح ان اشارة انصراف التفكير عن الحج هي شعار تمسك به من كتب عن الحروب الصليبية على اعتبار ان دافعية الحروب الصليبية الاولى تمثلت بالحج لبيت المقدس ، وكذلك عبارة " **واهملوا واجباتهم الدينية** " تعطي هي الاخرى صورة واضحة عن تفكير مؤرخي

([1]) مؤلف مجهول ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية العامة للكتب (القاهرة : ٢٠٠٠م) ج٢ ، ص ٥٨ .

([2]) مؤلف مجهول ، ج٢ ، ص ١٠١ .

الحروب الصليبية والدفاع عن فكرتهم المقدسة وهي ان الحرب اساسا لتحرير الديار المقدسة .

وربما لم يكن الوازع الديني الكنسي قد اثر او هذب حاكمات السلطة من الافرنجيات ومنعهن من اقتراف الزنا مع الفرسان الذي كانت مهمتهم تقتصر على حمايتهن وتلبية رغباتهم ، فقد وصفت المصادر ان السلوك المنحرف كان تارة بين الفرسان والحاكمات ، وتارة ثانية بين الملوك وزوجات الفرسان ، وهذا يوضع مدى الانحلال الذي كان سائدا آنذاك [١] .

ومما حفظة التاريخ لنا عن العلاقات غير الشرعية علاقة **السير جيوفوري** بإحدى النساء المتزوجة ، واحضرها من بلاد الشام الى بلاده الاوربية كي يتمتع بها [٢] ، ولم نجد ذكر واضح المقام من لدن رجال الدين في النهي عن تلك الممارسات غير الشرعية ، فما وجدناه فقط اشارات تتعلق بنشرهم تعاليم تتعلق بعدم المغفرة من لدن الرب على هذه الافعال المشينة ، اذ ان التوعد بغضب الرب من تلك الافعال كان له جذور تعود الى الحملة الصليبية الاولى التي جاءت من ضمن خطاب البابا فيها : " **قد**

([١]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٧٩ ، ينظر .٧٥-٧٦. michae.jamas.woman and war.

([٢]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٧٩، ينظر جوانفيل ،مذكرات جوانفيل ،ص١٠٨.

غضب يسوع فطرد من هيكل الرب جميع من اتخذوه مكان للبيع والشراء ... " [1] .

ومن هنا نجد ان رجال الدين قد رَبَطَوا مصير هؤلاء بوجوب طردهم من القدس وعدم السماح لهم بفعل اي شيء يدنس – بحسب رأيهم طبعا – بيت المقدس ، وهي محاولة ذكية من قبل البابا لتحشيد الناس لغرض الاتجاه الى بيت المقدس .

وفضلا عما تقدم فأن من المهم ان نذكر هنا مصداق ما تقدم وهو ما نقله لنا احد الباحثين المحدثين [2] الذي نقل مظان مهمه تتكلم عن السلوكيات غير المحمودة للنساء الافرنجيات وسنلخص الآراء التي توصل اليها بالنقاط الاتية :

١: يعزي الباحث الفساد الى وجود النساء التي اقتيدت برغبتها الى ارض المعركة ويركز على النساء الساقطات منهن وكيف ارتكبت الفواحش معهن من قبل القادة ، وورد مايؤيد ذلك عند (ألبرت) الذي حدد نوع النساء اللواتي حملن في الحملة الاولى الصليبية **"وكانن على عدة اصناف فمنهن النساء اللواتي يرافقن ازواجهن ، ومنهم العاهرات ومنهن من لم يعرف عنهن شيء "** [3] .

([1]) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ج١، ص ١٠٠ .

([2]) الاغا ، حسام حلمي يوسف ، الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاسلامية – غزة ، ٢٠٠٧ م ، ص ٢٨٠ .

([3]) Albert , Historia Hierosoly,p:٢٨٥ .

وبحسب ما نفهمه من النص السابق الخاص بالمؤرخ البرت فانه يتبين لنا ان عبارة **"ومنهن لم يعرف عنهن شيء"** تدل على جهالة عملهن ، وربما كان دورهن خفي يرتبط بالعيون والجواسيس او عمل عسكري . وربما تدل على غير دلالة وهي ان تواجد النساء انساني يقوم على تقديم الطعام وجلب المياه وتقديم الاسعافات للجرحى وهذا ما اشار اليه وليم الصوري بوضوح [١] .

٢: يشير الباحث [٢] الى وجود اماكن لممارسة الزنا وقد اطلق عليها كلمة **" المواخير "** [٣]والتي تدل من اسمها ربما على انها كانت مقرات معزولة عن المعسكر ، ولم يلتفت اليها الجنود في حالة الحرب الامر الذي جعل من هذه النساء الموجودة في المواخير ان ترحل الى المدن المجاورة اليها ولاسيما في حصار المدن وتحديدا في حصار انطاكية الذي ذكره مفصلا المؤرخ المعاصر للحدث ريموند [٤] .

٣: وبعد تفشي الزنا في المجتمع الصليبي أصدر القادة مرسوما يقضي بالحظر التام لمظاهر الزنا وربطوا الحكم على مرتكبه بالموت ، ولكن رغم هذا المنع فقد بقي هؤلاء الافرنج على

---

(١) الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

(٢) الاغا ، حسام حلمي يوسف ، الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاسلامية – غزة ، ٢٠٠٧ م ، ص ٢٨٢ .

(٣) يعني بيت الدعارةوالفساد او مكان تتواجد فيه العاهرات،.

(٤) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، راجع ص ١٠٣ والتي بعدها .

مـواخيرهم وزنـا النسـاء ، وقـد نقـل لنـا الباحـث بالاعتمـاد علـى مصـادر معاصـرة للحـدث عـن رجـل وامـرأة وجـدا وهمـا يمارسـان الزنـا واخـذا مكتفـين وطيـف بهمـا فـي المعسـكر الصـليبي وهمـا تحـت السـوط والضـرب بالعصـي – كمـا نقـل ذلـك الباحـث – واضـاف قائلا : حتى يرتدع كل من يشهد مدى معاناتهم [1] .

ونحـن نعتقـد هنـا ان كـل مـا ذكـره الباحـث (**الاغـا**) مُسـلِما ومُصـدِقا لمـا جـاءت بـه المصـادر المعاصـرة للحـدث ، وخصوصـا المـادة العلميـة التـي تتعلـق بتوبـة الجنـود او محاولـة تغطيـة اعمـالهم الدنيئـة ، ان ذلـك مـن نسـيج خيـال المـؤرخين المعاصـرين للحـدث ولاسـيما الـذين لـديهم ميـل للمـذهب ، ومصـداق ذلـك مـا ورد عـن وليـم الصـوري قولـه : " **كانـت المجاعـة ان ذاك تـزداد تفشـيا وشـدة فـي الجـيش يومـا بعـد يـوم ، ممـا نجـم عنهـا انتشـار الطـاعون وكثـرة الامـراض الاخـرى ، ونسـب اصـحاب السـن الكبيـرة واهـل الخبـرة الواسـعة هـذه الاهـوال الـى خطايـا النـاس وان الـرب استشـاط غضـبا مـنهم ...** " [2] . وعلـى الـرغم مـن ان الصـوري لـم يحـدد تـاريخ هـذا الكـلام الا انـه مـن سـير الاحـداث الوارده فيه يبدو في حصار انطاكية .

([1]) الاغا ، الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية ، ص ٢٨٢ .

([2]) تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص ٣٠٠ .

ويصف وليم الصوري توبت الجنود واصحاب الخطايا بقوله : **" فصب سوط عذابه على اطفاله المارقين لذلك اجتمعوا فيما بينهم للتشاور فيما يفعلون ، وخافوا الله كانه امامهم يرونه رؤيا العين ، وشرعوا يتحاورون فيما يجب عليهم ، فرأوا ان يبادروا بالتكفير عن آثامهم واعلان توبتهم الصدوق والرجوع عن اخطاء الماضي ... "** [1] . اذن نجد هنا بوضوح تبرير وليم الصوري للأفعال المشينة التي كان يقوم بها الصليبيون آنذاك ، وربما يرى اي شخص يقرأ النص الخاص بوليم الصوري اعلاه بانه طبيعي ومن باب التواضع والتذلل ان يرجع العبد لربه ويعتقد ان الامراض التي وقع بها من جراء افعال .

الا ان الصوري يصرح في نفس الصفحة على ان الصليبيين اقدموا على : " صمموا على تطهير المعسكر من كل عاهر وامرأة كريهة السمعة ، وجعلوا الاعدام عقوبة للفحشاء والفجور بشتى انواعه ... " [2] .

ونجد على النقيض من وليم الصوري ما ورد على لسان الصليبيين انفسهم من وصفهم لأعمال التخريب والانحلال التي عملوها بانها من تسديدات الرب ، وهذا ورد في اكثر من موضع في مؤلفاتهم ولاسيما ما ذكره المؤرخ ريموند - وهو مؤرخ معاصر للحدث - بأوصاف عديده منها مثلا : **" لقد وصلنا بوحي الله**

([1]) تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص ٣٠٠ .

([2]) تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص ٣٠٠ .

وبعطفه وبمحبته ... ، وبرحمته ننتصر ونعيش ، في امن من الاتراك " [1] .

وقوله ايضا : **" ولانخشى الملوك او قادة الملوك ، ولا نرهب الاماكن ولا الايام ، حيث ان الرب قد انقذنا من اخطار كثيره "** [2] .

وفضلا عما تقدم فقد نجد مادة متناقضة تخص سلوك المرأة وسلوك الرجل في المعسكر الصليبي ، فتارة نجد أن المصادر تنعتهم بأنهم لم ينشغلوا بأمر النساء وان كل هدفهم هو السيطرة على تحركات اعداؤهم ؛ وتارة اخرى تنعت الجنود بأنهم كانوا بمنتهى الترف ولاسيما بالأكل كما قال ريموند : **" حتى من بقوا بالمعسكر كانوا يستمتعون بحياة الترف ، لدرجة انهم كانوا لا يأكلون الا احسن قطع اللحم ، ويحتقرون لحم الصدر ، ولا يفكرون بالمره بالقمح والنبيذ ... "** [3] .

وفضلا عن ترفهم فتجد رهبانيتهم في النص اعلاه **" لا يفكرون بالمرة بالقمح والنبيذ "** اي انهم بعيدين عن السكر .

([1]) تاريخ الفرنجة الغزاة ، ص ٨٥ .

([2]) تاريخ الفرنجة الغزاة ، ص ٨٥ .

([3]) تاريخ الفرنجة الغزاة ، ص ٨٧ .

وبحسب النصوص سابقة الذكر فأننا حصلنا على صورة واضحة عن التناقض الذي تعرضت له النصوص المنقولة عن المؤرخين المعاصرين للحدث بغية تنصيع صوره لسلوكيات المرأة الافرنجية وتسويق فكرة عند عامة الناس ان الافرنج هدفهم الاساس من وراء الحروب الصليبية هدف ديني وليس دنيوي .

ويورد لنا المؤرخ ابو شامه نصا يؤيد لنا حجم الاعلام الذي كان قد بت به رجال الدين واشبعه في عقول المحتشدين ولاسيما النساء اللواتي : " ... **اجتمعن من الجزائر وقصدن من خروجهن تسبيل انفسهن للاشقياء وانهن لايمتنعن من العزباء ورأين انهن لايتقربن بافضل من هذا القربان ، وزعمن ان هذه قربة ما فوقها قربة لاسيما فيمن اجتمعت فيه عزبه وغربه** " [1] .

ويمكن القول ان الانحراف الجنسي عند الصليبين لم يكن يخص فقط ما فعلوه في معسكراتهم من انتشار الرذيلة بل حتى عند دخولهم الى القسطنطينية عاصمة بيزنطية عندما احرفوا قصد الحملة الصليبية الرابعة ، بعد ان كانت وجهتها الى مصر واحرفوها الى العاصمة القسطنطينية ، فكان من المفترض ان تدعم هذه الحملة مركز الصليبين في بلاد الشام وتعينهم على مقاومة الضغط

([1]) عبد الرحمن بن اسماعيل ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٧ م) ج٤ ، ص ١٠٤-١٠٥ .

الاسلامي عليهم لكنها اضعفت نفوذ الصليبيين بشكل مباشر ام غير مباشر [١] .

عانت نساء اوروبا في هذه الحملة وبخاصة ايام بداية الحملة الصليبية عندما استبيحت القسطنطينية ثلاثة ايام [٢] .

وهي بداية في حقيقية الامر اعطت رؤية عن حجم الوحشية التي كانت تحملها تلك الحملة فهي لم تفرق بين مسلم ومسيحي وانما هدفها التخريب في كل شيء ، وهذا دليل على عدم صدق نوايا العدوان عندما اغتصبوا النساء اشد اغتصاب تحت حملات السكر والعربدة دون وجود اي رادع لتلك السلوكيات التي كانت تحملها تلك الحملة [٣] .

فقد وصفت الحملات الصليبية بأنها جاءت نذيرا بفشل الحركة الصليبية بأكملها [٤] ، ويبدو انها وصفت هكذا لان ماوقع في القسطنطينية لم يكن متوقع من بشاعة الاسلوب وكيفية التعامل مع اهالي المنطقة .

---

(١) اسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١١١ .

(٢) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٠ .

(٣) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٠ .

(٤) اسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١١١ .

وهنا نجد الافعال التي فعلها الصليبيون في العاصمة تتسم بالخزي والعار الذي سجله التاريخ عبر اجياله ، فنرى ان البابا اينوسنت الثالث [1] يصف الاعمال الشنيعة التي اقترفها الصليبيون في القسطنطية بقوله : **" انكم [اي القادة الصليبيين] حدتم عن طهر عهدكم عندما زحفتم على المسيحيين بدلا من المسلمين ، واستوليتم على القسطنطينية بدلا من اورشيلم ، وفضلتم كنوز الدنيا على كنوز الاخره وما هو اكثر من ذلك كله لم تبجلوا الدين ولم تراعوا العمر او الجنس ، لقد اصبحتم امام العالم كله ، اهلا للبغاء والزنا والفسوق لقد اشبعتم عرائزكم الاثمة ليس فقط بالزواج من النساء والارامل ولكن باغتصاب الزوجات والعذارى اللاتي وهبن انفسهن للمسيح "** [2] .

لقد اعتمدت الدكتوره اسمت غنيم في نصها سابق الذكر على مصادر لاتينية صعبة المنال ، فلم نعثر على ما رجعت اليه من مصادر ، ورغم ذلك فقد لحظنا بوضوح تتكيل البابا للاعمال التي اقترفها الصليبيون بحق السكان المسيحيين ايضا ما ادى الى نعتهم من قبل البابا بهذه النعوت ، ولكن لم نجد نص من البابا يدحظ فيه الاعمال الكارثية التي عملها الجنود الصليبيين في البلاد العربية والتي عجت بها المصادر العربية وغير العربية .

([1]) هو البابا اينوسنت الثالث بابا الكنيسة الكاثوليكية ١١٩٨-١٢١٦م يعد واحد من اكثر البابوات نفوذا في تاريخ البابوية فقط كان له تأثير كبير على انظمة الحكم المسيحية في اوربا .
https://www.wikiwand.com/

([2]) اسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١١٣ .

وفضلا عن اننا وجدنا عبارة مهمه في خطاب البابا الا وهي : **" زحفتم على المسيحيين بدلا من المسلمين ، واستوليتم على القسطنطينية بدلا من اورشيلم "** وهذا يؤكد لنا ان انطلاقة الحملات الصليبية كانت توسعية والا لماذا يدحظ البابا البدائل التي سار عليها الصليبيبون الخاطئة بحسب رأيه .

ومن الغريب ان نجد ان غنيم تُبرّء البابا من انحراف الحملة الصليبية وتوجهها الى القسطنطينية بدلا من اورشيلم بقولها : **" ولا يمكن ان يكون البابا هو الذي حرض الصليبيين على مهاجمة القسطنطينية او كان له اي دور في توجيههم هذه الوجهة ثم يوبخهم كل هذا التوبيخ ويحملهم مسؤولية الانحراف بالحملة على هذا النحو "** [1] . في حين تناست **"غنيم"** ان اهالي المنطقة برمتها بعثوا برسائل الى البابا يطلبون فيها الخلاص من افعال الصليبيون ويخبرونه ببدايات الاعمال الا ان البابا التزم الصمت ولم يوجه اي جهد او يفتي اي فتوى من شأنها تفسيقهم او ايقافهم عن وجهتهم هذه ، فان اساس المشكلة او ضعف البيت البيزنطي ان صح التعبير هو الصراع على السلطة اذ اعتلى اليكسيوس الثالث [1] على العرش بعد ان قتل اخيه الاصغر اسحاق وسمل عينه [2] ، وبعدما اقترب

([1]) غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١١٣ .

([1]) اليكسيوس الثالث : احد الاباطرة البيزنطيين ١١٥٣-١٢١١م ، جاء الى العرش بعد اخيه الاصغر اسحاق الثاني

([2]) wikipedia.org/wiki تاريخ الدخول للموقع : ١٠-١٢-٢٠٢١ م .

الصليبيون قاصدين القسطنطينية ارسل اليكسيوس الثالث طلب النجدة الى البابا الا ان الاخير التزم الكتمان [1] الامر الذي ادى الى حدوث ما حدث في القسطنطينية من لدن الصليبيون .

ومن صور الوحشية للقادة والجنود الصليبين ما نقله المؤرخ المعاصر للأحداث فوشيه ما رآه في ارض المعركة بقوله : **" رأيت كثيرا من جثث الشرقيين الذين قتلوا هناك وقد جمعت في كومة واضرمت فيها النار ، وقد ازعجتنا كثيرا رائحة الجثث المتعفنه** ... " [2] .

ومما يذكر من صور الانحراف الاخلاقي ابان الحملة الصليبية الثالثة وتحديدا عند تواجدهم في عكا فقد اقترفوا ابشع اشكال الفحش والزنا وشرب الخمر ، وذلك بجلب نساء لغرض البغاء والزنا من مكانات لم تصرح المصادر عنها ، وعند انتقالهم الى يافا اخذوا تلك العواهر معهم وانتشرت مهنة البغاء وبيع العواهر بأشدها الامر الذي ادى الى تكاسل الجنود انفسهم ، وان العاهرة التي ترافق الجندي في المعسكر الصليبي كانت تنعم بحياة افضل من ساقي الملك نفسه [1] .

([1]) wikipedia.org/wiki تاريخ الدخول للموقع : ١٠-١٢-٢٠٢١ م .

([2]) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١١٥ .

([1]) الاغا ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٨٣ .

وقد نقل لنا ابن جبير عن وقوع مدينة عكا بالرذيلة بقوله : " **تستعر كفرا وطغيانيا وتفور خنازير وصلبانا زفرة قذره مملوءة كلها رجس وعذره** " [١] .

ونجد بوضوح الامر الذي باتت عليه المدن التي تقع تحت الاحتلال الصليبي بتفشي حالات الزنا وغير ذلك من الفجور والتي مما لاشك فيه تعكس الاخلاق التي كان عليها الصليبيون .

ومن المهم ان نذكر هنا المرسوم الذي اقر في ما يعرف بمجلس **نابلس** ٥١٤ هـ والذي نقله لنا احد الاغا [٢] وقد تضمن عدة بنود وهي :

١: اذا راودت الشكوك فرنجيا حول ارتكاب رجل دين من الفرنج الفاحشة مع زوجته ، فعلى الزوج ان يمنع رجل الدين من التردد على منزله او التحدث مع زوجته ، واذا اكتشف الزوج انهما لا يزالا يلتقيان وضبطهما بعد ذلك يرتكبان الفاحشة ، فليعرض قضيته على عدالة الكنيسة ... [٣] .

---

(١) محمد بن احمد الكتاني ، رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية (بيروت : ٢٠٠٣ م) ص ٢٣٥ .

(٢) الاغا ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٣) الاغا ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٨٧ .

٢: البند الاخر من المرسوم اذا ثبت ان احدا ضاجع امرأة مسلمة برغبتها الشخصية فيعاقب الاثنان معا وذلك بأن يخصى الرجل ويجدع انف الفتاة [١].

٣: اذا ضاجع امرأة فرنجية رجلا مسلما بإرادتها فيقع عليهما معا جزاء الزنا ، اما اذا تعرضت للاغتصاب فلا تعاقب ويخصى الرجل [٢] .

هنا نلاحظ ان سبب انشاء هذا المجلس هو لتفشي الفساد الامر الذي دعا المؤتمرون ان يقرروا انشاءه ؛ لقد لفت انظارنا بنود المجلس ولاسيما كيفية التعامل مع مرتكب الفسق والزنا ، ولا نعتقد ان هذه البنود صحيحه وذلك لان الوضع انذاك انماز بانتشار الفسق بصوره ملفته للنظر ، فمن غير الممكن ايقاف مرتكبيه ، ولاسما ان هؤلاء المتركبون يعدون هذا غير محرم .

وربما ان امر انشاء هذا المجلس هو لغياب القانون الذي يحاسب مرتكبي الفسق والزنا ، الامر الذي دعا المؤتمرون من اصدار قوانين لغرض الهيبة القانونية لا الهيبة الاخلاقية .

وقد نقل لنا احد **غارييلي** صور متعددة لما كانت عليه المرأة الصليبية من سلوكيات وابتذال اعتمد في نقلها على احد المصادر العربية القديمة ، وهذا الابتذال يؤكد كذب ادعاء تأسيس مجلس نابلس سابق الذكر ؛ وعلى الرغم من ان النعوت التي سترد بالنص

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ .

نعوت كلها تدل على فسق المرأة آنذاك ولكن يعطي هو الاخر الوجه الذي كانت عليه العادات والتقاليد السائدة وهي بعيده عن روح الاسلام ؛ وسوف ننقل بعض من هذه النصوص التي تؤكد دعم الصليبيين للفساد ومحاولة نشره في البلاد العربية :

- **وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها متزينة وقد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن الجرائر، واغتربن لاسعاف الغرباء، وتأهبن لاسعاد الاشقياء، متنقشة متخضبة، فائقة رائقة، خارقة، مارقة رامقة، قاسرة سارقة، فارجة فاجرة، فاتنة فاترة، ملهاة متلهية، متفننة متفتية، متشوقة متسوقة** [1].

ان نظرة فاحصة للنص اعلاه تبين استعداد هذه النساء للرذيلة بكل معانيها ، ناهيك عن ان النص يشير الى ان هذه النساء قد جمعن من جزر البحر المتوسط ومن مختلف الجزر فالنص واضح بقوله : " **وقد اجتمعن من الجزائر** " ويبدو من النص ايضا انه تم اختيارهن لهذا الغرض بعناية بحسب قول النص " وانتدبن من الجرائر " .

([1]) غاريلي ، المؤرخون العرب للحروب الصليبية ، ص ٢١٧ .

وفي نص اخر ينقله غاريبلي :

" فوصلن وقد سبلن انفسهن، وقدمن للتبذل اصونهن وانفسهن، وانهن لا يمتنعن من العزبان، ورأين انهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب، وانضمت اليهن اترابهن من الحسان الشواب، وفتحن ابواب الملاذ، وبحن بالاباحة، ورحن الى الراحة، وازحن علة السماحة، ونفقن سوق الفسوق " [1] .

وفي هذا النص نجد بوضوح ان المؤرخ يعترف بانه نصب الخيم وبدون اعتراض من قبل السلطة بقوله : **" وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب "** وهذا يدل على سلوك المرأة الافرنجية البائس والمنحرف ابان الحروب الصليبة .

واضاف المؤرخ غاريبلي قائلا :

" وما عند الفرنج على العزباء اذا امكنت نفسها الاعزب حرج ووصلت ايضا في البحر امرأة كبيرة القدر ، وافرة الوفر، وهي في بلدها مالكة الأمر وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم وغلمانهم واشياعهم وهي كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة وهم يركبون بركباتها، ويحملون بحملاتها [1] " .

([1]) غاريبلي ، المؤرخون العرب للحروب الصليبية ، ص ٢١٧ .

([1]) غاريبلي ، المؤرخون العرب للحروب الصليبية ، ص ٢١٧ .

هنا نجد اوصاف لنوع اخر من النساء يبدو من الاميرات المبجلات اللواتي جائن الى الاستقرار لا الى الاستهتار والزنا ، وهذا يعطينا صورة اخرى من صور المرأة الافرنجية ، والتي لم يتفق عليها اثنان من المؤرخين .

وهناك صورة نقلها لنا احد المؤرخين تتكلم عن سلوكيات اخرى للناس اللواتي اجبرن على اقامة علاقة غير شرعية واغتصابهن من لدن الجيش الصليبي وهن مسيحيات اوربا وذلك عند احدى الحملات ويبدو من خلال الكلام انها مرحلة الخلاف بين الملوك الاوربيون ابان الحروب الصليبية ، فقد نقل الباحث نصوص وصور مغزية عن تصرفات الافرنج منها مثلا : في بداية انطلاقهم نحو الحرب الصليبية في جزيرة (ليدو) التابعة لمدينة البندقية قبل احتلالهم للقسطنطينة فقد حولوا المعسكر الى وكر للمقامرين وللعواهر [1] .

ويضيف (السيد) قائلا : **" وعندما دخل الصليبيون القسطنطينية ، اغتصبت الراهبات في الاديره ، ودخل الجنود الذين لعبت الخمور برؤوسهم كنيسة ايا صوفيا واحضروا احدى العاهرات لتجلس على العرش البطريكي وجعلوها تنشد الاغاني البذيئة وترقص الراقصات الرخيصة امام مذبح الكنيسة واستعملت الاواني الطاهرة من اجل احتساء الخمور "** [1] .

([1]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٢ .

([1]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٢ .

اذن هنا نجد الاستهتار الصليبي بمقدسات المسيح في القسطنطينية ، ولا نعلم هل ان المصادر بالغت في دخول الجيش الصليبي الى القسطنطينية ام انها حقيقه تاريخية ، ويأتي هذا الشك لاننا لم نطلع على المصادر التي خرج منها الباحث موارده ، لانها بلغات ميته لم تصل الينا اصولها التاريخية .

ونجد صورة اخرى من سلوكيات الفسق عند المرأة الصليبية فيما اضاف احد الباحثين صورة اخرى للتسلط الاقطاعي على العرض وليس على الارض في هذه المرة ، فقد قام الاقطاعي الدوق وليم التاسع بخطف احدى النساء من غرفة نومها والتي لم تبدي اي معارضه تذكر ورحل بها الى بواتيه حيث مقر اقامته هناك واخفاها ببرج " موبرجيون " ، والاشكال يقع في ان زوجها لم يبدي اي اعتراض على فعلة سيده الاقطاعي [1] .

ونرى في هذا المقام عدد من الصور لسلوكيات المرأة الصليبية والتي نقلتها لنا المصادر الاوربية نفسها ، من ذلك ما قام به ريتشارد قلب الاسد سنة ٥٨٧ هـ حينما غار على عكا اذ منع النساء من مصاحبة الجيش واستثنى من ذلك الغسالات الامر الذي اسخط الجنود الذين منعوا من معاشرة الساقطات [1] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(1) دور المرأة في بلاد الشام ، ص ٣٣٠ .

ومن الامثلة الاخرى ان سكان بيت المقدس الافرنج المستوطنين انفسهم كانوا يقدمون اخواتهم وبناتهم وحتى زوجاتهم من اجل المتعة لزوار المدينة للحصول على الاموال [١] .

ويبدو ان الصليبين لم يكتفوا بنشر الفساد في القدس بل في عكا نفسها ، فقد انتشرت فيها العاهرات والمومسات اللواتي كانن يدفعن اعلى الاسعار لإيجار البيوت لما يدره عملهن من اموال كبيره ، حتى اصبحت مدينة عكا مزدحمه بالسكان نتيجة لوفود الغرباء عليها بقصد من الصليبيين لنشر الفساد مما ادى الى انتشار شتى انواع الامراض فيها [٢] .

ولعل من المهم هنا ان نتطرق الى المادة العلمية التي جاء بها احد الباحثين في بحث علمي يربو على اكثر من عشرة صفحات يسجل لنا الانحطاط الذي كان عليه الصليبيون سمّاه ((**السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية طبقة المحكومين الفرنجة نموذجا**)) وقد اعتمد به الباحث على مصادر مهمه مختصه بالحروب الصليبية منها عربية ومنها باللغات الاخرى ، وقد صنف الباحث في بحثه هذا الفئة المستهدفة في البحث على ثلاثة فئات :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

١: **طبقة الفرسان والجنود** :

يقصد بالفرسان هم رجال الحماية المعينين بأمر ملكي لحماية عوائل الملوك وقادتهم فضلا عن الاعمال الموكله بهم ، وكان هؤلاء من المقربين للنساء الحاكمات ، وقد كشف الباحث [١] ، عن علاقات اثمه بين هؤلاء الفرسان ونساء او بنات الاسر الكبيرة او المليكة بقوله : " **كان الفرسان الذين يقومون بخدمة بعض النساء او البنات في الاسر الكبيرة يُسلون انفسهم بهؤلاء او بخادماتهن ، فنادرا ما كان السلوك في البلاط الحاكم يتأثر بالدين ...، ومن المؤكد ان الكنسية لم تكن تستطيع التدخل باكثر من الدعوة الى العفة والتهديد بالحرمان** " [٢] . وهنا نجد بوضوح ان الباحث اشار الى قضية مهمه تتعلق بعدم مقدرة الكنسية على التدخل بشؤون العائلة الحاكمة الا بالتوجيه الديني واصدار التوجيهات ، وهذا في حقيقة امره نجده هنا وهناك ولاسيما في المصادر الاوربية التي كانت تنحاز كثيرا لتحسين صورة الغزاة الصليبين ، ونجد دائما انهم يبررون الافعال غير الاخلاقية التي يقوم بها الصليبيون الفرنجة.

ويعطي الباحث امثلة مهمه عن مصداق تلك العلاقة منها مثلا : " **ان هناك فارس من طائفة الفروسية المعروفة باسم نورفولك NORFOLK يدعى فودرفي دي ميلر Miller دخل مساكن**

---

(١) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

جون البرتاني الذي كان فارسا للاضطجاع مع ابنته ، لكن اعتقل من قبل بعض الاشخاص المتخفين بالتوافق مع العاهر نفسها ، وقد رموه بعنف بالارض واوسعوه ضربا بشدة وجرحوه والقي به خارج البيت ميتا " [1] .

وناهيك عما تقدم من علاقات غير اخلاقية كانت متفشية في المجتمع الصليبي فإن المرأة سواء العربية ام الصليبية قد تعرضت لشتى انواع الاغتصاب ابان الحملات الصليبية ومنها مثلا : ما فعله الصليبيون انفسهم باغتصاب النساء المسيحيات عند دخولهم الى الاراضي الاوربية الواقعة في طريق حروبهم مع العرب ، ناهيك عما فعله الملك ستيفن البيرطاني [2] في مدينة فورد حينما دخلها واغتصب نسائها الحبلى علنا امام الناس وهن مكشوفات [3].

ومن الامثلة الاخرى التي ذكرها الباحث هو تسيب الفرسان الصليبيين في الحملة الاولى وانغماسهم بالملذات والسكر وتركهم حماية المدن المسيطر عليها رغم معرفتهم بخطورة الموقف المصاحب لاعداؤهم من العرب اذ يقضون اوقاتهم في مفاسد

([1]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

([2]) ملك بريطانيا بين عامي ١١٣٥-١١٥٤ م اتسمت فترة حكمه بنشوء حرب اهلية ، وسميت فترته بسنوات الفوضى . https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الدخول للموقع : ١١-٤-٢٠٢٢م .

([3]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

الشـــراب وغيرهـــا مـــن الملـــذات الجســـدية واهلـــوا القيـــام بمتطلبـــاتهم العسكرية [١] .

٢: طبقة العلماء والطلاب الاوربيين .

وممـــا ســـجله لنـــا الباحـــث ســـابق الـــذكر مـــن انحرافـــات لهـــذه الطبقـــة يعطينـــا صـــورة مهمـــه عمـــا كـــان يجـــري فـــي اوروبـــا مـــن ســـوء الاخـــلاق ولاســـيما فـــي المؤسســـات العلميـــة ، وقـــدد بـــرر الباحـــث ذلـــك الانحـــراف للانحـــــلال المجتمعـــــي آنـــــذاك والـــــذي تمثـــــل بانتشـــــار دور الـــــدعارة والاخـــتلاط بالنســـاء واهـــل الســـوء الامـــر الـــذي انســـحب ســـلبا علـــى اغلـــب طبقـــات المجتمـــع ومنهـــا طبقـــة الطلبـــة التـــي شـــهد انحـــراف واضـــح فـــي ســـلوكياتهم ســـواء مـــن النســـاء ام مـــن الشـــبان ، ولاســـيما الطلبـــة الالمـــان الـــذين عبـــر عـــنهم الباحـــث بـــانهم : " ســـريعو الغضـــب ويـــأتون المنكـــر والفحشاء في حفلاتهم [٢] .

وفضـــلا عمـــا تقـــدم فأننـــا نجـــد طبقـــة الشـــعار والعلمـــاء هـــي الاخـــرى نالتهـــا يـــد الفســـوق فـــي اوروبـــا ابـــان الحـــروب الصـــليبية ومثـــال ذلـــك كـــان يوحنـــا جـــون تزيتـــزس مـــن ادبـــاء القـــرن الســـادس الهجـــري ، وكـــان يعمـــل فـــي احـــدى الوظـــائف وقـــد انتزعـــت منـــه وظيفتـــه لكـــون وقـــع بعلاقـــة مـــع زوجة رئيسه بالعمل آنذاك [١] .

([١]) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

([٢]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .

([١]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .

٣: طبقة العامة .

شكلت طبقة العامة العنصر الاساس بالانحرافات الجنسية لدى المرأة الصليبية ابان الحروب الصليبية وقد اعتمد الباحث سابق الذكر على مصادر كثيرة في هذا الباب عكست ثقافة الباحث وشمولية اطلاعه على تلك المصادر التي مثلت مادة مهمه عكست لنا الانحرافات الجنسية لدى المرأة الصليبية ومن امثلة ذلك :

- مخالفة العامة لتعاليم الكنيسة التي لا تسمح للرجال بالزواج الا بزوجة واحدة ، ورغم هذا فان احدهم يدعى "يعقوب" ادعى بانه يتبع الكنيسة ويملك من الغفران ما يؤهله لتزويج وتطليق النساء بحسب ما يحبون من عدد المرات ، ويقال انه قد زوج امرأة واحد لعشر رجال . [١] .

وتعليقا على ماذكره الباحث فاننا نقول : على من ادعاء يعقوب بقربه من الكنيسه فلم نعثر على نص كنسي يؤكد رد الكنسية على ادعاءات يعقوب هذه ، فاما يكون الامر مبالغ به ، من افتراءات الباحثين والمؤرخين ، او انه لكثرة الفساد الذي كان سائد انذاك جعل الامر مرتبط بالسكوت عن تلك التصرفات .

([١]) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

او ربما كانت الكنيسة متغاضية عن تصرفات العديد من اتباعها ، وعدم رغبتها بفتح نافذ النقد ضدها مما دفعها الى عدم الانصياع الى كثير من الانحرافات السائدة في تلك المرحلة وهناك العديد من الادلة التي تؤكد على تلك الصورة ، اذ انه وعلى هذا الافتراض نجد ان رجال الدين جابهوا هذا الفساد بمحاولات صلاحية فاشلة ارادوا من خلالها ترسيخ البعد الديني في المجتمع عبر ربط الماورائيات بدحض الانهيار الاخلاقي ومن هذه النماذج نجد ان الصليبيين عندما ارادوا الاستيلاء على معرة النعمان في الحملة الصليبية الاولى اظهروا بعض الاحلام عن طريق بعض القديسيين الذين اعترفوا بوجدود الدعارة بين صفوف الناس ، واذا ما تُركتْ فان الرب سوف يجازيهم ويعطيهم معرة النعمان : **" ففي صفوفكم القتل والنهب والسرقة فضلا عن انعدام العدالة كما ان هناك زنا ، وان كان يسعد الرب ان تتزوجوا ، فان الرب سيعطيكم معرة النعمان بسبب رحمته لاعمالكم ... "** [1] .

([1]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٧ ؛ وينظر : ريموند اجيل ، تاريخ الافرنجة غزاة بيت المقدس ، ص ١٧٣ .

ويبدو ان هذه الدعوات الاصلاحية لم تلق اذن صاغية من لدن العامة ، فقد سجلت النساء اعلى مراتب الحيل في اللقاء بالرجال رغم التشدد من لدن ازواهن بالحراسة الصارمة ، فقد يذهبن الى الحمامات ثلاث مرات في الاسبوع لغرض اللقاء بالرجال وممارسة الزنا بدون علم الازواج وقد اتبعن شتى انواع الحيل في سبيل اشباع رغباتهن الجنسية [1] .

وهنا يستوقفنا كلام الباحث الذي اعتمد فيه على مؤرخ معاصر للحدث الا وهو يعقوب الفيتري ، لنقول : لماذا التشدد بالحراسة وعدم المنع اصلا اذا كان الازواج يعرفون حجم الفساد انذاك ؟ ، اذن ربما هذا الاضافات من تبرير المؤرخين التي لم نجد اي تعليق عليها من لدن المؤرخين المحدثين ، ولا نعلم سبب سكوتهم عنها ، هل لانهم لم يحصلوا على مصادر تسعفهم ام ان السكوت كان مقصودا .

وعند العودة لما كتبه يعقوب الفيتري وجدنا ان التشدد الذي كان قد تعمد الصليبين على اتباعه هذه الاجراءات لغرض الانعزال بديانتهم كجزء من المحافظة على العادات الدينية التي تمثل ركن مهم عندهم وان كانت وهميه : **" انهم يشكون ويغيرون على ويقيمون بحبسهم في اماكن كالسجن ويسهرون على حراستهم**

([1]) سيد ، السلوك الجنسي زمن الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .

تحت حماية صارمة دقيقه ، حتى ان اقرب الناس اليهن من الاخوة والاقارب نادرا ما يأتون الى زيارتهن " [1] .

ويوثق لنا حمودي توجه اخر لانغماس المجتمع الصليبي بالرذيلة ، ولاسيما للفتيات القاصرات اللواتي اقتربن من الاستعداد للانجاب فيتم استغلالهن من قبل بعض دناه النفوس لوقعون بهن ليحملن في اجوافهن اطفال غير شرعيين ، الامر الذي زاد الطين بله ، فبدل ان تُرعى القاصرات ذهب المجتمع الصليبي ليحتار بمن على ايدهن من الاطفال [2] .

وكان للخيانة الزوجية اثر مهم في انتشار الجريمة بين طبقات المجتمع الصليبي حيث تسارع كل من الازواج والزوجات للتخلص من الاخر حتى يخلو الطريق لمصاحبة طرف اخر يقضي معه وقتا من المتعه ؛ ويرجع احد الباحثين ان للحرمان العاطفي بين الطرفين اثر مهم في تنامي جريمة القتل بين الازواج [3] .ويظهر لنا يعقوب الفيتري ان البعض من الرجال تعمدوا ان ينصبوا بعض اماكن العباده بقرب البيوت (كالمذابح) وقرب محال سكنهم وذلك محاولة منهم لترسيخ البعد الديني عند الزوجات اللاتي انغمسن بالشهوات والملذات ، وحتى زاد الامر سوءا حينما تعلمن النساء الصليبيات

([1]) يعقوب ، بيت المقدس ، ص ١٠٦ .

([2]) حمودي ، الانحراف الجنسي ، ص ١٩١ .

([3]) حمودي ، الانحراف الجنسي ، ص ١٩٣ .

للسحر والشعوذة توجها منهن لسد حاجاتهن من العاطفة الجنسية ، وجاء تعلمهن للسحر على يد النساء السريانيات [١] .

وينقل لنا يعقوب الفيتري صورة اخرى عن اقامة قساوسة محتاجين للاموال يدعون انهم من المسيح ، وقد عبر عنهم بانهم : " قليلي الخبره " ، يقومون بعمل قداسات لينوهوا من خلالها للنساء بالابتعاد عن الرذيلة وتحاشي الوقوع بالفتنة [٢] .

([١]) يعقوب ، بيت المقدس ، ص ١٠٦ .

([٢]) يعقوب ، بيت المقدس ، ص ١٠٦ .

المبحث الثاني : الاثار الاجتماعية للحروب الصليبية على المرأة .

في هذا المبحث نحاول ايراد المعاناة التي تعرضت لها المرأة المسلمة تحديدا في الحروب الصليبية ، لان هذه الصفحة المظلمة كشفت لنا المعاناة التي كانت تعيشها المرأة انذاك فضلا عن انها كشفت زيف ادعاء المصادر الاوربية بكيفية التعامل مع المرأة والادعاء بحقوقها عالميا .

فقد ذكر فوشيه ان المرأة تعرضت لابشع معاناتها عند الاحتلال الصليبي للارض العربية ولاسيما القدس ، فقد حل الدمار الشامل بالارض العربية وتخريبها ، ووصف حال المرأة العربية المسلمة ؛ فكانت التي لها القدره على العمل قد عملت على في الطواحين ليل نهار ، امام من لم تكن لها قدره فقد بيعت بالاسواق [1] .

ومما يؤكد قول فوشيه ما ذكره ابن جبير عن تلك المعاناة بقوله : " **يصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد** " [2] ، ناهيك عن الالفاظ التي كانت النساء والاسرى يسمعونها من لدن المحتل ، والتي وصفها ابن جبير بقوله : " **ومنها سماع ما يفجع الافئدة من ذكر من قدس الله ذكره واعلى خطره لاسيما من اراذلهم واسافلهم** ... " [3] .

---

(1) الحروب الصليبية ، ص ١١٥-١٢٠ .

(2) الرحلة ، ص ٢٥٢ .

(3) الرحلة ، ص ٢٥٢ .

وذكر ابن جبير في باب اسرى المسلمين وكيفية التعامل معهم بان النساء كانت تكبل باغلال الحديد عند الاسر " **اسرى المسلمين يرسفون في القيود ...، والاسيرات المسلمات كذلك** " [1] . ويضيف قائلا : " **وفي اسواقهم خلاخيل الحديد** ... " [2] . هذه صور متعدده لاذلال المرأة المسلمة ولاسيما في الاسر

وقد نقل احد الباحثين ماكانت عليه المرأة مشاكل جاءت بعد حروب المسلمين مع الافرنج منها مثلا ازمة ترمل المرأة ، فيقول : " **وجدت في بلاد الشام اعداد كبيره من النساء المترملات الاتي فقدن ازواجهن في المعارك ، مما دفع نور الدين محمود للقيام بتزويج عدد من النساء ممن فقدن ازواجهن في الحروب ، وهذا دليل واضح على شيوع هذه الظاهرة** " [3] .

وربما فات الباحث ان يذكر سبب وجود هذه الارامل ، اذ شهدت الحروب الصليبية الاسراف بالقتل وقد وصف المؤرخون سواء الاوربيون ام المسلون ذلك الاسراف في القتل وضخامة الحملة الصليبية الى الارض العربية بصفات دلت في مجملها على بشاعة العده والافعال [4] .

([1]) الرحلة ، ص ٢٥٣ .

([2]) الرحلة ، ص ٢٥٢ .

([3]) الاغا ، فلسطين زمن الحروب الصليبية ، ص ١٤٥ .

([4]) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج٨ ، ص ٤٢٥ .

فهذا العماد الاصفهاني يرسل كتاب بنفسه الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله يعلمه فيه الى الحشود الكبيره التي حشدها الاوربيون في الحملة الثالثة بقوله : " **وليس هذا العدو بواحد فينتجع فيه التدبير ، ويأتي عليه التدمير ، وانما هو كل من وراء البحر وجميع من في ديار الكفر** " [1] .

وهذا يعطينا فهم واضح لما كان يدور في اذهان المؤرخين والكتاب من خطورة الموقف الذي تعرضت له الارض العربية آنذاك .

وذكر ابن الاثير في احدث سنة ٤٩٢ هـ البطش الافرنجي لسكان المدينة قائلا : " **ولبث الفرنج في البلدة [انطاكية] اسبوعا يقتلون فيه المسلمين ، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة ايام .... ، وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى مايزيد على سبعين الفا ، منهم جماهة كثيره من ائمة المسلمين ، وعلماؤهم وعبادهم وزهادهم ، ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف** ... " [2].

هذا العرض الذي قدمه لنا ابن الاثير يدلنا على بشاعة البطش الذي لم يسلم منه كثير من طبقات الشعب حتى العلماء الغرباء عن المنطقة ، الذين كان جل هدفهم التزود بالعلوم والذين حثهم على المجيء قداسة المنطقة ليستزيدوا منها وربما يزودوا اهلها بلعومهم.

([1]) الفتح القسي ، ص ١٦٣ .

([2]) الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص ٤٢٥ .

ومما يؤكد قولنا ما نقله لنا المؤرخ المعاصر للأحداث وهو فوشيه [1] في نقله لكلام احد الاتراك بقوله : **" اعتقد انه لا ينبغي علي ان اغفل عن ذكر ما قاله احد الاتراك اذ لاحظ احد فرساننا ينطق باللغة الفارسية : اقول لك ايها الافرنجي ااحمق انت فتجهد نفسك عبثا ؟ فليس لكم بالفوز علينا قط ، اذ انكم قلة ونحن كثرة ، والحق ان الهكم قد تخلى عنكم لعلمه انكم لا تقيمون شرائعه كما حق عليكم ، ولا تحفظون الايمان والصدق فيما بينكم ولاريب اننا سنقهركم في الغد ونهزمكم ...** " .ويعلق فوشيه على قول التركي هذا : **" آه ماأشد خزي وعار المسيحيين اذ يعرينا من دين له في ديننا ، ومن اجل هذا يحق علينا نفرط في الخجل وان نذرف الدموع ونتوب ونقوم اخطاءنا "** [2] . ومن المهم ان نقول هنا ان البطش والتخريب والتغيير نال حتى اماكن العبادة في القدس ، فقد اورد لنا ابو شامه ما نصه : **" واما الصخرة فان الفرنج كانوا بنوا عليها كنيسة واعادوا رسومها القديمة ... ، وملؤوها بتصاريف التصاوير ... ، وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل ...** " [3] .

([1]) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١٨٧ .

([2]) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١٨٧ .

([3]) الروضتين ، ج٣، ص ٣٩٦ .

فضلا عما ذكره فوشيه من معاناة للمرأة المسلمة ابان الحروب الصليبية وكيف كان واقعها الاجتماعي ومعيشتها ، فأن المؤرخين المسلمين اعطونا صوره واضحة عن معاناة المرأة المسلمة عند الاحتلال الفرنجي للأراضي العربية وتحديدا القدس ، فقد استطعنا ان نجمع ما يمكن جمعه من اشارات دلت في مجملها عن هذه المعاناة ، من خلال المصادر الاسلامية منها مثلا :

ورد في كتاب زبدة الحلب ان المصلين في بغداد حينما سمعوا باحتلال حلب وما عمله الافرنجيون فيها هاجوا على الخطيب بقوله : **" وانزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الافرنج وقتل الرجال وسبي النساء [من لدن الافرنج] والاطفال ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بما يسكنهم من انفاذ العساكر والانتصار للاسلام من الافرنج "** [1] .

وازاء هذه الاحداث التي لحقت بالمرأة فان محاولات تخليص المجتمع العربي (الشامي) من الاستهتار الذي حل به من لدن الصليبيين نجد ان هناك محاولات لغارات برية شنها صلاح الدين الايوبي على بعض المدن العربية المحتلة واسر منها ما اسره ولاسيما من العاهرات الافرنجيات اللواتي زرعن في المجتمع العربي بقصد من الغزاة من ذلك ما ذكر في احدى الحملات التي ارسلها أرسلها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥هـ على احدى مدن

([1]) ابن العديم ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

الشـــام ، اوردهـــا الاصـــفهاني بقولـــه : " **ونقـــل إليهـــا الرجـــال والـــذخائر والعُـــدد ، فنقـــل إليهـــا فـــي المراكـــب جماعـــة مـــن الأمـــراء، وأخـــذوا يطرقـــون الفـــرنج علـــى ســـبيل التلصـــص ، والتصـــيد ، والقـــنص وكبســـوا فـــي ليلـــة ســـوق الخمـــارات والعـــواهر وســـبوا عـــدة مـــن المستحســـنات الفواجر**" [1] .

وعلـــى الـــرغم مـــن جميـــع المحـــاولات والارهاصـــات التـــي كـــان هـــدفها تغيـــر الواقـــع الاجتمـــاعي فـــي الشـــام ابـــان الســـيطرة الصـــليبية الا ان ذلـــك بـــاء بالفشـــل واســـتمر الوضـــع علـــى مـــا هـــو عليـــه ولاســـيما فـــي المنـــاطق الســـاحلية مـــن ارض الشـــام اذ شـــهدت تـــدفق الهجـــرات الاوربيـــة المقصـــــودة الـــــى بـــــلاد الشـــــام بغيـــــة نشـــــر الفســـــاد .

([1]) الفتح القسي في التاريخ القدسي ، ص ١٨٥ .

اولا : نصيب المرأة الاوربية من التعليم .

ربما لا نجد وصفا مائزا يصف المرأة الاوربية في العصور الوسطى بصفه عامة وابان الحروب الصليبية بصفة خاصة ، غير القول انها مضطهدة من الناحية العلمية ، وربما يجد المختص بالحروب الصليبية تناقضا واضحا في سياسات الاوربية في العصور الوسطى في التعامل مع كيان المرأة العلمي والاجتماعي والاقتصادي ، ففي الوقت الذي نجد انها منهمكة في العمل لتوفير لقمة العيش وانها كالماكنة في العمل جنبا الى جنب مع زوجها [1] ، تجد في مصادر اخرى تصف الملك هنري الرابع يصدر مرسوما يتضمن حرية كل من يُدخل ابنه او ولده في مدارس المملكة لغرض التعليم [2].

وعند قراءة نص المرسوم الملكي الذي هو : **" كل رجل او امرأة مهما كانت حالته ، سوف يكون حر في الحاق ابنه او ابنته للتعليم في اي مدرسه يشاء داخل المملكة"** [3] يظهر لنا ان التعليم قبل المرسوم كان مقتصرا على فئة محدوده من فئات المجتمع .

---

[1] - ج.كرامب و أ.جاكوب ، تراث العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الواحد حمدي ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة : ١٩٦٧ م) ج٢ ، ص ٥٦٥ .

[2] - غنيم ، اسمت ، دراسات في تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٩٨م) ج١ ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

[3] - غنيم ، اسمت ، دراسات في تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٢٦١ .

وقد اكد قولنا هذا ما نقلته بعض المصادر عن ان التعليم كان منحصر ببنات ونساء الطبقة الحاكمة والنبلاء ، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية السئية التي تمنع الالتحاق بالمدارس بدون مقابل [1] ، هذا من جانب ومن جانب اخر ربما ان الطبقية الاجتماعية هي التي جعلت هذا التميز بين المتعلمات في اوربا .

وربما لم نجد بصوره واضحة ما نريد معرفته من تاريخ المرأة العلمي في المصادر الاوربية ، ولاسيما تلك التي تحدثت عن بدايات التعليم في اوربا والتي انطلقت فيه من بداية القرن الثاني الميلادي وانتهاءا بالقرن العاشر [2] .

ولم نجد اشارة واضحة لنصيب المرأة من التعليم في اوربا عامة وابان الحروب الصليبية بصفة خاصة في المصادر التي رجعنا اليها ولا نعلم السبب وربما يرتبط بان طبيعة التدوين كانت تركز على الحروب ودمويتها لانها حدث غير طبيعي في تاريخ اوربا والبلاد العربية ، لذلك لم نعثر في الكتب التي رجعنا اليها الا عن اشارات في الاثر الثقافي دون الاثر العلمي .

١-Lowell Green, The Education of Women in the Reformation, History of Education Women's, New York, ١٩٧٩, Vol. ١٩, P ,١٠٦. .

٢ - راجع مثلا : عمران ، محمود سعيد ، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية (مصر : ١٩٩٨ م) .

ثانيا : اثر العلماء المسلمين في حث الناس وابعادهم عن الرذيلة .

لعل من نافلة القول ان نعرض الأثر الذي خلفه العلماء ابان الحروب الصليبية او بعدها لإعادة المجتمع الى الاسلام المحمدي الاصيل ، وهذا الكلام وان كان بعيد شيئا ما عن اثر المرأة الا انه يعطي لنا خارطة ثقافية واعية من لدن العلماء لشعورهم بخطورة المرحلة التي عاشها المجتمع ابان الحروب الصليبية او بعدها بيسير والتي – كما مر بنا في الفصل الاجتماعي – كانت من اخطر المراحل التي مرت بالمجتمع ، وذلك لتفشي الفساد في البلاد والعباد .فقد عانى العلماء ويلات الوقوف بوجه الاحتلال الصليبي الى بيت المقدس واستشهادهم في الدفاع عن المقدسات ، فقد عرف خلق كثير من العلماء باستشهادهم من امثال الحسين بن الحسن الشهرستاني [1] ، وابو القاسم الرملي [2] اللذان استشهدا دفاعا عن مقدسات الارض العربية آنذاك .

---

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١١-٢١٢ .

[2] ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ٤٢٦ .

وفضلا عما تقدم فقد كان للعلماء الاثر الواضح في العمران الاصلاحي ان صح التعبير فقد بنى السلطان نور الدين مدرسه سميت بالمدرسة النورية ، ووضع عليها ابن الجوزي رئيسا وكان لهذه المدرسة الاثر الفكري المهم لانتشال المجتمع من اهوال الفتن والانحرافات الفكرية والاجتماعية [1] .

وفضلا عما تقدم فان العلماء لعبوا دورا مهما في تأسيس مجالس الوعظ لإرشاد الناس في تلك المرحلة من ذلك مثلا :

١.**مجلس الوعظ للنجيب السهروردي** : الذي كانت تعقد مجالسه في الوعظ في بيت المقدس ، وكان ممن عاصر مظاهر الفجور التي جاء بها الافرنجة ، وعمل على فتح داره لكل من اراد التزود من الاخلاق الاسلامية الحميدة ، وقد رجع الى جادة الصواب بسببه ناس كثيره ، يقول ابن النجار في ذلك : " **وظهرت بركة انفاسه على خلق كثير من العصاة فتابوا وانابوا إلى الله عز وجل وحسنت طرائقه ، ووصل به خلق عظيم إلى الله عزو جل ، وصار له أصحاب واتباع كالنجوم يعرفون أينما كانوا ورأى من الجاه والحرمة عند ملوك الاطراف ما لم يره أحد من أبناء جنسه** " [1] .

---

[1] ابن الاثير ، الكامل ، ، ج٩ ، ص ١٦٨ .

[1] ابن النجار ، محب الدين ابو عبد الله محمد بن محمود (ت : ٦٤٣ هـ) ذيل تاريخ بغداد ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) ج٥ ، ص ١١٢ .

٢.مجلس الوعظ للفخر الرازي :

كان الفخر الرازي هو الاخر قد شهد الاصلاح المجتمعي على يده ابعد الاثر في ارجاع خلق كثير من الناس الى مراضي الله عز وجل ، وذلك من خلال انعقاد مجالس الوعظ خاصته في الشام ، ومما قال فيه الشعراء لا حياءه سنن الاسلام ما يأتي :

ماتت به بدع تمادى عمرها دهرا وكاد ظلامها لا ينجلي [١]

٣.مجلس الوعظ لابن الجوزي:

كان لابن الجوزي اثرا مهما في الوعظ والارشاد فقد اهتدى بسببه خلق كثير من المسلمين ومن غيرهم من الديانات الاخرى كالمسيحيين مثلا [٢] ، ان مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلها وكانت عظيمة النفع يتذكر بها الغافلون ويتعلم منها الجاهلون ويتوب فيها المذنبون ويسلم فيها المشركون [١] . وكان مجلس الوعظ الخاص بابن الجوزي يزدحم عليه المريدون من

---

[١] **شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم (ت : ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار (بيروت : بدون تاريخ) ج٤ ، ص ٢٥٢ .**

[٢] **ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل (ت : ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، دار احياء التراث (بيروت : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) ج١٣، ص ٢٢٦ .**

[١] **ابن رجب الحنبلي ، ابو الفرج احمد بن عبد الرحمن بن رجب البغدادي (ت : ٧٩٥ هـ) ذيل طبقات الحنابله ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية (مصر : ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) ينظر ترجمة ابن الجوزي في : ج١ ، ص ٣٩٩-٤٣٤ .**

نساء ورجال كلا على حده [1] ومن الجدير بالذكر ان النهضة العلمية والفكرية التي شهدتها البلاد العربية ابان الحروب الصليبية لم تكن مقتصرة على الرجال فحسب ،بل كان للنساء ابعد الاثر في ظهور طبقة من العالمات المحدثات والواعظات اللاتي اثرين الس العلمية بنتاجهن العلمي والأخلاقي والذي سنتطرق الى بعض من سيرتهن خلال الفصل .

ثالثا : تأثر المرأة الصليبية بثقافات المجتمع العربي :

لعل من المهم ان نتكلم هنا بإيجاز عن التأثير العربي على سلوكيات الفرنجة عامة من النساء والرجال في الحياة اليومية ، وهو من المباحث المهمة في التاريخ الاسلامي الذي يعطينا صورة مهمة عما كان يجري في مرحلة السيطرة الصليبية على بلاد الشام والقدس. ونورد في هنا كلام **فوشيه** احد المؤرخين المعاصرين للحروب الصليبية متحدثا عن التأثر والتأثير الشرقي بقوله " **واني اتوسل اليك ان تتبصر وتمعن الفكر مليا كيف حول الله في زمننا هذا الغرب الى الشرق ، اذ ان اولئك الذين كانوا غربيين اصبحوا الان شرقيين ومن كان روميا او فرنجيا قد تحول في هذه البلاد جليلي**

---

[1] **ابو شامة ، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت : ٦٦٥ هـ) ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل كتاب الروضتين ، دار الجيل (بيروت : ١٩٧٤ م) ص ٧٣ .**

او فلسطيني ...، وقد نسينا الان امكنة ولادتنا فهي غير معروفة لدى الكثير منا الان ولا يرد ذكرها " [1] .

ومن صور تأثر المرأة الافرنجية بالمرأة العربية انها أصبحت تلبس لباس الشرقيات من حيث الزي والنقاب فقد لبست ثياب الحرير والمجوهرات الدمشقية والقاهرية وادوات التطرية من المساحيق والخضاب [2] .

فضلا عن ارتداء المرأة الصليبية لقميصين طويلين يصلان الى القدمين ، وهي ظاهرة مهمه تعكس التأثر بالبيئة الاسلامية وبالحشمة العربية بغطاء جسم المرأة ، وقد ضربت المرأة الصليبية الخمار على وجهها ، وأبت الخروج الى الأسواق والكنائس والحمامات سافرة ، ورأى الرحالة الأندلسي ابن جبير النصرانيات في مدينة بالرسو بصقلية مرتديات زي نساء المسلمين ، فصيحات الألسن ، ملتحفات خرجن في يوم عيدهن ، وقد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفت اللحف الرائقة وانتقبن بالنقب الملونة ، ولبسن الأخفاف المذهبية ، وبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر[3].وفي الشتاء كن يرتدين الفراء ([1])، فإذا خرجن من الدور اتخذن الحجاب شأن المسلمات لا على سبيل الوقار ، بل لوقاية المساحيق التي تغطي وجهها ([2])

([1]) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٢١٨ .

([2]) ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت : ٦١٤ هـ) رحلة ابن جبير ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني (بيروت : بدون تاريخ) ص ٢٥٠ .

[3] ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩٠ ؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢١٠ .

[1] رينسمان، المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٠٩.
[2] المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٠٩. عاشور، المجتمع الإسلامي، ص ٢٤٠.

ورغبة منهن في محاكاة المسلمات الأرقى حضارة ([1])، ومما يذكر، فإن نساء طبقة البولاني قد تحجبن، مثلهن في ذلك مثل النساء العربيات ([2])، مما يدل على تأثر المرأة الصليبية بالحياة الاجتماعية للمرأة العربية ([3])

وظهر عنصر التأثر بالثياب الشرقية كما اشرنا واضحا على المرأة الصليبية ، ناهيك عن تطعيم هذه الثياب برقائق من الذهب وتتطريزها بأشكال فاخرة منه ، وفي فصل الشتاء ترتدي النساء الصليبيات فراء طويل الردان ومعه حجاب اذا ما خرجن من بيوتهن - وهذا ابان الاحتلال الصليبي لطرابلس – تشبها بالمرأة العربية وغطاء رأسها وبدنها ، وهذا الامر يعطينا صورة واضحة لتأثر المرأة بالثقافة العربية [4]. ومهما حاول أبناء هذه الطبقة الحفاظ على أصولهم وتقاليد الطبقات التي ينتمون اليها فقد اضطروا الى مجاراة المحيط الذي يعيشون فيه ، فبادر عدد من الأمراء اللاتينيين الى الزواج من النساء الشرقيات [5] ، وقد اشار من مؤرخيهم المعاصرين لهذا الامر وهو : فوشيه بقوله : **" واتخذ البعض زوجات ليس فقط من مواطناتهم بل**

---

[1] **أنتهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ص ٤٤. عاشور، المجتمع الإسلامي، ص ٢٤٠.**

[2] **الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص ٨١. الجندي، المجتمع الصليبي، ص ١١٢- ١١٣.**

[3] **على، محمد كرد، خطط الشام، ج ١، ص ٨١. غانم، آمال، التأثيرات، ص ٣٣٨.**

[4] **أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢١٠ .**

[5] **ينظر : العقيقي ، نجيب، المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ، ط٤، دار المعارف (القاهرة : ١٩٨٠م) ج١، ص ١٢٥.**

من السوريات والأرمنيات ، كما استعمل الجميع لهجات اللغات المختلفة " [1] .

مرة اخرى نجد التأثر بالثقافات العربية ولاسيما في استعمال اللهجات المختلفة الذي هو الاخر يعطينا رؤية مهمة عن تداخل الالسن فيما بينها . وهذا يؤكد أنه مهما حاولت تلك الطبقات الابتعاد عن ذلك المحيط الجديد لتحافظ على أصولها وتقاليدها فلن يكون ذلك ممكناً فالبيئة والمحيط تحكم وتتحكم بما يناسبها ويجب أن تعمل على التأثير مهما كانت تلك الطبقات محافظة في عدم الدخول والتأثير بها.

وقد أعجبت بها المرأة الإفرنجية بالحمامات التي انتشرت ببلاد الشام بشكل عام، وأخذن في التردد عليها، لدرجة أن نساء طبقة البولاني اعتدن زيارة الحمامات ثلاث مرات في الأسبوع ([2])، وعلى الرغم من التضييق الشديد الذي قام به الرجل البولاني على زوجته ومنعها من الخروج خارج المنزل ([3])، ويظهر أن البعض قد غالى في التردد عليها بدليل موقف جاك دو فيتري (Jacques De Vitry) الذي احتج كثيرة على الراهبات لخروجهن من الأديرة، مخالفات بذلك أنظمة حياتهن ليذهبن إلى الحمامات العامة، وحضورهن مع عامة الناس أيضا([4])، عارض رجال الدين دخول الحمامات معارضة شديدة لاعتقادهم أن تجريد الجسد من الثياب مدعاة للفجور، وعندهم أن النظافة الروحية هي الأصل، ولا أهمية لنظافة الجسد ... وأن القذارة مظهر من مظاهر العفاف ([5])، ولم يكن الإعجاب بهذه المنشأة مقتصرا على العنصر النسوي، بل شمل الرجال أيضا. وما أكثر ما يسرد علينا أسامة بن منقذ من

---

[1] تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١٨٩ .

(٢)-Miller: The Latin in the Levant, p.٥٢٤.

(٣)براور ، عالم الصليبيين، ص ١١٣.

٤-Jacques' de, VI try, A History of Jerusalem, p.٦٢.

(٥)هونكة، فضل العرب على الغرب، ص ٣٥- ٣٦.

أخبار الحمامات وكثرة اختباراته مع الصليبيين فيها والملاحظ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا يختلطون فيها مع المسلمين (معرة النعمان) ([1]) .

واكتسبت المرأة الغربية كثيراً من الذوق الشرقي في الأطعمة والأشربة أخصه ما يتعلق بالسكر التي كانت لطرابلس المنزلة المرموقة في صناعته والتوابل. فالقهوة العربية قهرت المشروبات الأوربية المحلية ، وأصبح الشاي الصيني أو غيره شراب الكثيرين . أما في مجال الطعام، فقد تأثرت النساء الفرنجيات بما كان سائدا في المطبخ الشرقي الإسلامي من عادات وتقاليد لعل أبرزها عدم تناولهن لحم الخنزير الذي تحرمه الشريعة الإسلامية، ومن ذلك ما رواه ابن منقذ عن وصف مائدة أحد الفرسان " جئنا إلى دار فارس من الفرسان ...، فأحضر مائدة حسنة، وقد اعتقى من الديون والخدمة، وله بأنطاكية ملك يعيش منه، فأحضر مائدة حسنة في غاية النظافة والجودة، ورآني متوقفة عن الأكل فقال : كل طيب النفس، فأنا لا آكل من طعام الإفرنج، ولي طباخات مصريات، ما آكل إلا من طبخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير" ([2]).

كما اكتسبت شيئا من الذوق الشرقي في الأطعمة والأغذية ([3])، التي لم تعرفها أوروبا قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، مثل السكر الذي استخدمه أهل الشرق ([4])،

---

[1] ابن منقذ، الاعتبار، ص ١٣٦.
[2] ابن منقذ، الاعتبار، ص ١٤٠.
[3] شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ، ص ٧٥.
[4] أول من عرف السكر كانوا الهنود، وهو الملح الهندي، ثم عرفه اليونانيون، ثم عرفه العرب في أثناء تجارتهم مع الهند، وزرعوا قصب السكر في سهول العراق، وعرف في مصر في منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وعرفه الأوربيون في القرن العاشر، وازدادت معرفتهم به عصر الحروب الصليبية . انظر : مظهر، حضارة الإسلام، ص ٣٨٧- ٣٨٩.

وقد انبهر الصليبيون رجالا ونساء عندما شاهدوا نبات قصب السكر في بلاد الشام ([1])، إذ تعلم الصليبيون من العرب فن ترتيب الموائد، وصناعة الكثير من الأطعمة الشرقية ([2])، عن طريق استخدام الجواري والإماء، فقد كان أصحاب الموائد من العرب والإفرنج لا يرغبون غيرهن في هذا الفن، فقد أخذت النسوة الصليبيات أسرار الطبخ العربي في جملة ما أخذن من تقاليد الحضارة الشرقية ([3])، فتعلمن طريقة عمل الفطائر والمعجنات الأخرى وفيما روي عن ابن العديم، أنه ذكر في كتابه "الوصلة إلى الحبيب"، أن الفرنجة كانوا يصنعون نوعا من الخبز عرف بخبز البيض ([4])، وتعرفن على البهارات التي تستخدمها الشرقيات، كما عرفن عمل المشروبات المعطرة والمثلجة والمحلاة ([5]) .

كما تأثر الصليبيون بالعادات المتعلقة بالأطعمة، فذكر المقدسي أن "سكان بلاد الشام يخبزون الأرغفة على الحصى في الأفران التي توقد بروث الحيوانات، كما أنهم كانوا يطبخون العدس والبيسارة، ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويسلقونه ويباع مع الزيتون ويملحون الترمس ويكثرون من أكله، ويصنعون الخروب ناطفا وسمونه القبيط،

---

[1] ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص ص ٣٤٦. علي، محمد كرد، خطط الشام، ج ١، ص ٥٤.
تم التعرف على نبات القصب أثناء زحف جيش بوهيموند على أنطاكية، انظر : شارتر، تاريخ الحملة، ص ١٤٥- ١٠٥. زابروف، الصليبيون في الشرق، ص ٣٣٣. عن زراعة القصب ومعاصره في بلاد الشام ومصر، انظر : النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص ١١٩.

[2] الجندي، جمعة، الاستيطان في فلسطين، ص ٢٦٧.

[3] السامرائي، التقاليد والعادات، ص ٣٣٤.

[4] ابن العديم، الوصلة إلى الحبيب، ص ٦٦٠.

[5] النقاش، العلاقات، ص ١٤٨.

ويسمون ما يتخذون من السكر ناطفا، ويصنعون زلابية في الشتاء من العجين غير مشكلة" ([1]).

كما تأثرت المرأة الافرنجية بما وجدته من صناعة المخللات المختلفة، والتي كانت تصنعها المرأة العربية من البرتقال أو الليمون الذي لم يعرفه الأوربيون إلا في بلاد الشام ([2])

وقد وضح لنا اسامة بن منقذ صور التعامل وطبيعة تأثر الأوربيين بالعادات والتقاليد العربية من خلال النص الاتي : " **ومن الإفرنج قوم قد تبلدوا وعاشروا المسلمين فهم أصلح من القريب العهد ببلادهم، ولكنهم شاذ لا يقاس عليه. فمن ذلك أنني نفذت صاحباً إلى إنطاكية في شغل، وكان بها الرئيس نادرس بن الصفي وبيني وبينه صداقة، وهو نافذ الحكم في إنطاكية. فقال أصحابي يوماً قد دعاني صديق لي من الإفرنج، تجيء معي ترا زيهم قال : فمضيت معه فجئنا إلى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في أول خروج الإفرنج ، وقد اعتق من الديوان والخدمة، وله بإنطاكية ملك يعيش منه ، فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة، ورآني متوقفاً عن الأكل فقال كُلْ طيب النفس ، فأنا ما أكل من طعام الأفرنج ولي طباخات مصريات لا أكل إلى من طبخهن، ولا أدخل داري لحم خنزير ، فأكلت وأنا محترز وانصرفنا** " [3].

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٥٧- ١٥٨

[2] زابروف، الصليبيون في الشرق، ص٣٣٣.

[3] **الاعتبار ، ص ١٣٥.**

ونجد أيضا مدى تأثرهم بالغناء العربي عندما طلب الملك ريتشارد قلب الأسد من العادل أن يسمعه غناء المسلمين، فأحضر له مغنية تضرب بالجنك، فغنت له، فاستحسن ذلك ([1]).

فقد تأثر الفرنجة الصليبيون بعادات المسلمين في المأتم والأحزان حيث أحضروا النداابات في أحزانهم، ومآتمهم ([2])، وتثبت بعض النصوص أن لبس الزي الأسود في مناسبات الحزن والمأتم كان عادة جارية لدى الفرنجة، وهذا ما فعله القساوسة والرهبان ونساؤهم بعد طردهم من القدس ([3])، وقد بلغ تعلقهم ببعض العادات والعقائد المحلية، أنهم كانوا يصلون أحيانا في المزارات التي يقدسها المسلمون واليهود ([4]) .

[1]) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ١٤٩.
[2] النقاش، العلاقات، ص ١٤٨.
[3] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٢٠١.
[4] حتي، فليب، تاريخ العرب، ص ٧٣٣.

وجملة القول، كان الاحتكاك المرأة الصليبية بالمرأة العربية ببلاد الشام، عصر الحروب الصليبية، أثره الواضح في تأثير المرأة الصليبية، بمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية التي عاشتها المرأة العربية. وترى إحدى الباحثات أن احترام الرجل الأوروبي للمرأة؛ إنما يعود إلى تأثرهم بما شاهدوه في الشرق من احترام المرأة العربية، بعد أن كانت المفاهيم الأوربية تنحصر في أن الرجل هو سيد المرأة ([1]). ويرى بعض الباحثين أيضا أن الأوربيين تخلصوا من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب زمن الحروب الصليبية، وخاصة اقتباسهم مبادئ الفروسية، وأهمها احترام المرأة ([2])

[1] **اهونكة، زغريد، شمس العرب ، ص ٤٦٨.**
[2] **لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص ٥٧٥.**

رابعا : اهم المدراس التي اقيمت زمن الحروب الصليبية .

من المهم القول هنا انه رغم الضغط النفسي زمن الحروب الصليبية الا ان العالم العربي ولاسيما بلاد الشام قد شهد نشاطا علميا ملحوظا تمثل بإنشاء مدارس فكرية لمختلف المذاهب وسوف نذكر نماذج منها **١: المدرسة الصادرية :**

انشأت سنة ٤٩١ هـ ، وسميت كذلك نسبة الى صادر بن عبد الله شجاع الدولة ، وقد تميزت تلك المدرسة التي تعد من اوائل المدارس بل اقدمها على الاطلاق في دمشق ، تميزت بان هناك غرف خاصه للسكن الداخلي ولكل الكوادر من مدرسين وطلبه والقائمين عليها ؛ الامر الذي يسهل من حركة التعليم والتربية [١] .

٢: المدرسة الامينية .

سميت كذلك نسبة الى اتابك الجيش الملقب بأمين الدولة وكان ذلك في سنة ٥١٤ هـ ، وتُعد هذه المدرسة اول مدرسة بنيت للشافعية في دمشق [٢] .

---

[١] **النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م) ج١ ، ص ٤١٣ .**

[٢] **المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٣٢ .**

٣: المدرسة العادلية الكبرى في دمشق .

لما قدم قطب الدين النيسابوري الى دمشق في عهد نور الدين محمود شرع الملك سنة ٥٦٨ هـ ، ببناء مدرسة للشافعية يدرس فيها قطب الدين ولكنه مات قبل اكمالها وفي عهد الملك العادل اراد اكمالها غير ان الاجل وافاه قبل اتمامها ، فاتمها ابنه الملك المعظم عيسى ، وقد دفن فيها الملك العادل سنة ٦١٩ هـ فأخذت المدرسة اسمها من اسم العادل ، وقد فُوض العالم جمال الدين يونس بن بدران لأمر التدريس بها ، وقد اقيمت بها حلقات الدرس والوعظ والارشاد ، واصبحت من المدارس المشهورة ، وفيها وضع المقدسي كتابه : الروضتين في اخبار الدولتين ، والف فيها ابن خلكان كتابه وفيات الاعيان [١] .

٥: المدرسة الناصرية أو الشريفية

---

[١] بدوي ، احمد احمد ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة : بدون تاريخ) ص ٦٥ .

أنشأها صلاح الدين الايوبي سنة (٥٦٦ هـ) جنوب مسجد عمرو بن العاص ،ووقفها على المذهب الشافعي وكانت أول مدرسة أنشئت بديار مصر تحت اشراف الدولة.

٦: **المدرسة القمحية**

بالفسطاط أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ ،ووقفها على المذهب المالكي ووقف عليها ضيعة بالفيوم كانت تدر قمحاً كثيرا يوزع على طلابها وعلى العالمين بها فلذلك سميت بالمدرسة القميحة[١].

٧: **مدرسة ابن الأرسوفي**

بناها ابن الأرسوفي التاجر العسقلاني، وكان بناؤها في سنة (٥٧٠هـ) [٢]

٨: **المدرسة الصلاحية**

بباب الاسباط وقف الملك صلاح الدين كانت كنيسة من زمن الروم تعرف بقبر حنه وقفها في الثالث عشر رجب سنة (٦٨٨هـ) [٣].

---

(١) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥ هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٧ م) ج٤،ص٢٠١

(٢) المصدر نفسه،ج٤،ص٢٠١ .

(٣) الحنبلي ، ابو اليمن القاضي مجير الدين ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف : ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ج٢، ص٤١ .

٩: المدرسة الشريفية :

سميت كذلك باسم العالم الفاضل شرف الاسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الانصاري ، الذي كان يمثل الحنابلة في وقته وكانت تسمى ايضا بالمدرسة الكبرى [١]

١٠: مدرسة دار الحديث النورية :

سميت كذلك نسبة الى نور الدين محمود زنكي ، وتعد اول دار للحديث في دمشق ، وكان ممن عين عليها ليرعاها علميا ابن عساكر ، ويقول فيها وشهرتها احد الشعراء :

ومدرسة سيدرس كل شيء وتبقى في حمى علم ونسك

تضوع ذكرها شرقا وغربا بنور الدين محمود بن زنكي

يقول وقوله صدق وحق بغير كناية وبغير شك [٢] .

١١: المدرسة الاشرفية .

اسست في سنة ٦٣٠ هـ ، انشأها الملك الاشرف موسى وبنى بجنابها بيتا لمن سيتولى امر التدريس فيها ، وذكر المؤرخون الدور العظيم الذي قامت به مدرسة دار الحديث في أداء رسالة العلم ونشره ،

---

[١] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ١٠٤ ؛ ابن تغري بردي ، ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت : ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب والوثائق (القاهرة : ١٩٧٢ م) ج٥ ، ص ٢٥٥ .

[٢] راجع : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة : ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ج٢ ، ص ٢٦٢ ؛ بدوي ، الحياة العقلية ، ص ٦٧ .

من خلال شيوخها الذين اتسموا بالعظمة والعلم، ومنهم : العلامة ابن الصلاح ، أول من ولي التدريس بها ، وقد أملى بها كتابه علوم الحديث ، والإمام أبو شامة مؤلف الروضتين ، والإمام النووي صاحب التصانيف ، وخطيب دمشق الإمام الفارقي الذي باشر أوقاف الدار، وممن درس فيها ، وتولى مشيختها ، الإمام المزي وصنف كتابين كبيرين وهما : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، وفقيه الشافعية وقاضي القضاة تقي الدين السبكي، ومن مشاهير الحفاظ الكبار العلامة ابن ناصر الدين، صاحب كتاب توضيح المشتبه [١] .

كل ما تقدم من مداس ودور للعلم انشأت بعد الاحتلال الصليبي للأرض العربية ، لذلك سعى الامراء والملوك الى تنشيط الحركة الفكرية ، وقد وصف احصى احد الباحثين عدد المدارس ودور العلم التي بُنيت بعد الاحتلال الصليبي بانها اكثر من ٩٠ مدرسة في دمشق وحدها [٢] .

وربما ركز البدوي على المدارس التي تبقى من اثارها شيء ، وهذه الاحصائية من المؤكد اختصت بدمشق فقط من غير باقي حواضر الدولة الاسلامية كمصر مثلا او باقي مدن الشام .

---

[١] راجع التفاصيل الكاملة عن المدرسة وتاريخها على الموقع :

https://www.alittihad.ae/article/ الأشرفية في دمشق الدار الأولى لعلم الحديث.

تاريخ زيارة الموقع : ٣-٣-٢٠٢٢ م .

[٢] بدوي ، الحياة العقلية زمن الحروب الصليبية ، ص ٦٠-٦١ .

خامسا : ملامح الحركة العلمية في العصر الايوبي .

لم تكن الحروب الصليبية صداما عسكريا فحسب بل كانت مواجهة حضارية ثقافية بين الشرق الاسلامي والغرب الاوربي الذي عد العرب كفار يجب الجهاد ضدهم فكانت ، مواجهة طويلة وخطرة في الوقت التي بلغت حضارة العرب أقصى مراحل تطورها ،وعلى الرغم من الحروب قد استنزفت قوى العرب المسلمين عسكريا واقتصاديا فقد شحذت همتهم بالتسلح الثقافي ومواجهة الهجوم الفكري الذي شنه الصليبين على المسلمين فظهرت في ذلك العصر كثير من الموسوعات وبرز عدد من العلماء الذين كان لهم ابعد الاثر في النهضة الفكرية التي شهدتها بلاد المسلمين ابان الحروب الصليبية .

ان المتتبع لأثر العلماء في المجتمع الاسلامي يجد انهم بذلوا جهودا منقطعة النظير في الحفاظ على المجتمع وسلامته دينيا واخلاقيا وذلك من خلال تعليم العامة وتوجيههم ، فضلا عن تقديم النصح للحكام واصحاب القرار ،وقد مر في تاريخ الاسلام السياسي دول اهتمت بالجانب العلمي وتقريب العلماء منها الدولة الايوبية .

ومن الجدير بالذكر أن الأيوبيين رغم تصديهم للصليبيين، إلا أنهم اهتموا بالعلم والعلماء ، وذلك من خلال انشاء المدارس والاهتمام بالعلماء وتقريبهم ، فنجد الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق الذي كان فيقا واديبا اشترط لكل من يحفظ كتاب المفصل للزمخشري مئة دينار وخلعة[1] . كما أن الامجد بهرام شاه

([1]) الحنبلي ، أبو الفلاح بن عبد الحي بن العماد ت (١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، د .ت)ج٥،ص١١٥.

فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب الايوبي صاحب بعلبك كان شاعرًا وأديبًا الذي توفي قتيلا بيد مملوكه سنة (٦٢٨هـ) [١] .

وكذلك المؤرخ أبو الفداء هو اسماعيل بن علي عماد الدين وهو من الاسرة الايوبية المؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، ولي سلطنة حماة وكان جملة ما وصل إلى أهل الدولة بسببه [٢]، فالملاحظ ان من كان يتولى السلطة كان من العلماء .

الى جانب هؤلاء الحكام برزت طبقة من الوزراء والكتاب الذين اسهموا في الحياة العلمية في ذلك العصر، ومنهم: القاضي الفاضل أبو علي محي الدين اللخمي وزير صلاح الدين صاحب الطريقة الفاضلة في الإنشاء حيث قال فيه صلاح الدين : **" لا تظنوا أني فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل "** [٣]، وعماد الدين الأصفهاني الكاتب والمؤرخ الذي عينه صلاح الدين نائبًا عن القاضي الفاضل، اشتهر بمؤلفاته الأدبية [١] ، والأمير أسامة بن منقذ أحد

([١]) ابن حجر، احمد بن علي محمد العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) نزهة الألباب في الألقاب تحقيق عبد العزيز بن محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد (الرياض : بدون تاريخ) ج١، ص٩٩.

([٢]) ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، ط٢ ، (القاهرة: دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) الدرر الكامنة ،ج١،ص٤٤١ .

([٣]) الحنبلي ،شذرات الذهب ،ج٤،ص٣٢٧.

([١]) ابن خلكان ، وفيات الاعيان،ج٢،ص٧٤.

أمـــراء بنـــي منقـــذ أصـــحاب حصـــن شـــيرز، الـــذي ألـــف كتـــاب الاعتبـــار المتضمن لدراسة مقارنة بين عادات المسلمين والافرنجة [١].

امـــا مـــن حيـــث العلـــوم ،فقـــد شـــهد العصـــر الأيـــوبي ازدهـــارًا فـــي علـــم اللغـــة، وذلـــك حفاظـــا علـــى اللغـــة العربيـــة مـــن دخـــول اللفـــظ الاعجمـــي مـــن اخـــتلاط العـــرب بالصـــليبيين ، ومـــن أبـــرز مـــن برعـــوا فـــي اللغـــة محمد عبـــد الله بـــن أبـــي الـــوحش بـــن عبـــد الجبـــار المشـــهور بـــابن بـــري (ت: ٥٨٢هـــ) النحـــوي مصـــري، يعـــود أصـــله إلـــى القـــدس. كـــان كثيـــر الاطلاع على المصنفات والكتب بحوزة أبيه الذي كان وراقاً [٢].

وأبـــو الفـــتح البلطـــي وهـــو عثمـــان بـــن عيســـى بـــن منصـــور، مـــن الشـــعراء المصـــريين تحـــول الـــى دمشـــق فأقـــام بهـــا مـــدة ثـــم دخـــل مصـــر فرتـــب لـــه صـــلاح الـــدين راتبـــا علـــى اقـــراء العربيـــة بالجـــامع فاســـتمر بهـــا الـــى ان مـــات[٣]، والنحـــوي أبـــو الحســـين يحيـــى بـــن عبـــد المعطـــي بـــن عبـــد النـــور الـــزواوي صـــاحب الألفيـــة ، قـــرأ العربيـــة مـــدة بدمشـــق ثـــم بمصـــر ،كـــان أحـــد أئمـــة عصـــره فـــي النحـــو واللغـــة ،تتلمـــذ عنـــده خلـــق كثيـــر وانتفعـــوا بـــه وصـــنف تصـــانيف مفيـــدة وكـــان انتقالـــه مـــن دمشـــق إلـــى مصر بسبب أن

([١]) ابن كثير ،البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٣١.

([٢]) المصدر نفسه ،ج١٢،ص٣١٩.

([٣]) ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) لسان الميزان ، مطبعة الاعلمي (بيروت : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م) ج٤، ص١٥.

الملك الكامل رغبه في ذلك وقرر له على التصدر بجامع العتيق لإقراء الأدب ولم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة (٦٢٨هـ) [١]

أما الشعر فقد طغى عليه الطابع السياسي آنذاك فقد سخر الشعراء ابياتهم لمدح الحكام ، سيما صلاح الدين الايوبي ، فقد قال ابن منقذ :

اقمت عماد الدين حين اماله لطغى الفرنج الغتم طاغى بني سعد [٢]

هذا وقد انتشرت المكتبات في العصر الايوبي وكانت من اضخم المكتبات مكتبة القاضي ، علي بن يوسف القفطي الذي عرف بالقاضي الأكرم أحد الكتاب المبرزين في النثر والنظم كان عارفا باللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والحكمة والنجوم والهندسة والتاريخ جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد وكان لا يحب من الدنيا سوى الكتب [٣] والمكتبة التي عني بها السلطان الكامل بالقلعة كانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل، ثم عني بها ابنه الأشرف أحمد حتى أمر السلطان الكامل بوضع اليد عليها ونقلها إلى القلعة سنة ٦٢٦ هـ الموافق ١٢٢٩م، لتصبح نواة مكتبة كبيرة ضمت ثمانية وستين ألف مجلد.

كما اهتم الأيوبيون ، بالمدارس حتى أصبح بالقاهرة حوالي ثلاثة عشر مدرسة، وعن كثرة مدارس القاهرة يقول ابن جبير : "

---

(١) اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت : ٧٦٨ هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) ج٤، ص٦٦ .

(٢) بدوي ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، ص٥٩ .

(٣) الحنبلي ، شذرات الذهب ،ج٥، ص٢٣٦.

ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد " [1] ، وكان النظام الداخلي المطبق في تلك المدارس ، هو توفير كل وسائل الراحة النفسية والمادية من مأكل ومشرب واقامة فضلا عن منحهم المال .

وفضلا عن المدارس التي انشأت في العصر الايوبي ، انشأ ايضا نظاما للتعليم كتاتيب لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن ولم تكن هذه الكتاتيب مقتصرة على ابناء الاغنياء بل حرص صلاح الدين الايوبي على تعليم الفقراء والايتام [2] ،ولما كانت هذه المدارس والكتاتيب تحتاج الى الاموال فقد وقفت اليها الاوقاف لسد حاجاتها المالية [3] والتي سوف نذكرها لاحقا

([1]) رحلة بن جبير ، ص٤٦ .

([2]) صديق ،الحياة العلمية في العصر المملوكي،ص٣٣ .

([3]) المصدر نفسه ،ص٣٣

سادسا : نماذج من الاثر الثقافي للمرأة بعد الحروب الصليبية .

على الرغم من كل الاساليب التي اتبعها الصليبيون في محاولة طمس الهوية العربية ، والاخلاق العربية عبر نشرهم لأصناف الفسق ومحاولتهم دمار المنطقة كما مر بنا قبل قليل فان المرأة المسلمة استطاعت ان تنتشل المجتمع من تلك الاخلاق عبر تأسيسها المدارس الدينية والأربطة والتي اسهمت اسهاما دل على سمو علم المرأة العربية وسنذكر نماذج من النشاط الثقافي للمرأة المسلمة بعد الاحتلال الصليبي لنبين من خلال هذه النماذج الوجه الناصح للمرأة المسلمة عبر العصور .

١: **عصمة الدين بنت الامير معين الدين انر :**

زوجة صلاح الدين الايوبي ، عملت على انشاء مدرسة سميت فيما بعد **بالمدرسة الخاتونية** [١] ؛ وفضلا عن هذه المدرسة فقد اوقفت الاميرة عصمة الدين خنقاه في دمشق ايضا [٢] وكلا الوقفين كانا يمثلا مقرا للحركة الفكرية ، فالغرض من انشاء المدارس كما هو معلوم لغرض نشر العلم في المجتمع ومما لاشك فيه يرافق هذه المدرسة منهجيا الاعتناء بالعلوم الدينية التي تأخذ على عاتقها ايداع الاخلاق الاسلامية لدارسيها ومريديها .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص ٢٦٤ .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس ، ج١، ص ٨٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ٢٣٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص ٣٨٩ .

٢: **زمرد خاتون** :

بنت جاولي واخت الملك دقماق بن تتش لامه بنت مدرسة تدعى الخاتونية في ظاهر مدينة دمشق واعطت وقفها للشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي ، تزوجت الاميرة زمرد من الملك بوري بن طغتكين ، كانت قد قرأت القران وسمعت الحديث النبوي وكانت حنفية المذهب ، كانت لها رحلات متعددة لطلب العلم منها الى بغداد والحجار ومكة حتى توفيت في المدينة المنورة ودفنت هناك ، وكان من زهدها ان تاكل من عملها في غربلة الحنطة والشعير[١] . وفضلا عما تقدم فقد نقل الزركلي ان زمرد خاتون كانت قد حفظت القرآن وروت الحديث واستنسخت الكتب ؛ ولما رأت ان ولدها تواطئ مع الافرنج امرت بقتله فقتل [٢] .

٣: **الست ربيعة خاتون بنت ايوب**

اخت صلاح الدين بنت مدرسة سميت **بالمدرسة الصاحبية** ، انشأتها سنة ٦٢٨ هـ تقع خارج اسوار مدينة دمشق القديمة على سفح جبل قاسيون ، وهي من اكبر المدارس الاسلامية وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان ان الست ربيعة خاتون توفيت

([١]) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٣٠٦ .

([٢]) خير الدين بن محمود بن محمد ، الاعلام . قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، مطبعة دار العلم للملايين (بيروت : ١٩٨٠ م) ج٣، ص ٤٩ .

ودفنت بنفس المدرسة [1] ، في سنة ٦٤٣ هـ حيث كانت اخر من بقي من اولاد ايوب [2] .

وفضلا عما تقدم لعل من المهم ان نسجل هنا من نبغت من النساء ابان الحروب الصليبية او بعدها بيسر وذلك كي نوضح الدور الذي لعبته المرأة العربية ؛ لأننا لم نجد التراث الفكري للنساء الاوربيات في تلك الفترة فارتأينا ان نعرض نماذج من النساء العربيات ممن كان لهن اثرا ثقافيا في المجتمع آنذاك مرتبين ذلك بحسب التسلسل الهجائي .

- ابطن بنت عبد الله العجمية أم إبراهيم عتيقة علي بن حسين ابن مناع التكريتي التاجر أم ولده. سمعت صحيح مسلم وكانت صوامة قوامة ،ماتت بدمشق في ثاني عشر رجب سنة (٧٢٩هـ) وقد جاوزت التسعين[3].

- أسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة من الزهاد فكانت تلقن النسوة القرآن وتعلمهن العلم والقرب وكانت تجهد نفسها فيما يقربها ماتت ليلة الجمعة تاسع جمادي الأولى سنة (٧٠٨هـ) [4]

---

(١) شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم (ت : ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار (بيروت : بدون تاريخ) ج٣، ص ١٣٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص ٣٨٨ .

(٣) الفاسي ، ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد بن علي المكي (ت : ٨٣٢ هـ) ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد ، تحقيق كمال الحوت ، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ج٢، ص٣٥٩ .

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤٣٠ .

ـــ أسماء بنت محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله أم الشرف التغلبية الدمشقية، ولدت في سنة (٦٣٩هـ)،محدثة سمعت من علماء عصرها، توفيت سنة (٧٣٣هـ) [١]

ـــ أسماء بنت يعقوب بن أحمد بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبية الأصل ثم المصرية المعروف والدها بابن الصابوني تكنى أم الفضل محدثة ماتت في ثالث عشر صفر سنة(٧٦٢ هـ) وقد زادت على التسعين[٢]

ـــ أم الخير وتسمى سعيدة ابنة العز محمد بن أحمد بن الكمال أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكية ولدت سنة (٨٠١هـ) وأجاز لها البلقيني والعراقي والهيثمي وآخرون وماتت في شعبان سنة (٨٥٠هـ) [٣]

ـ أم راجح واسمها ستيت ابنة علي بن أبي البركات بن أبي السعود بن ظهيرة القرشية ولدت سنة (٨٣٤هـ) وأجاز لها أبواها وعماها النجم وأبو السعادات وأمهما كمالية ابنة التقي الحرازي ،وخطبت غير مرة فامتنعت وزارت المدينة وجاورت بها وكانت تذكر بكثرة

---

(١) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ) معجم الشيوخ الكبير ، ط١ ، مكتبة الصديق للنشر (الطائف : ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) ج ١، ص ١٨٧.

(٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١،ص٤٣٠ .

(٣) السخاوي ، ابو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر (ت : ٩٠٢ هـ) الضوء اللامع في لاهل القرن التاسع ، (القاهرة : ١٩٣٤ م) ج١٢، ص١٤٥ .

الطـــواف ومزيـــد الاتقـــان والخيـــر والبـــر والمحاســـن الجمـــة ، ماتـــت بعـــد تعللها مدة في أواخر جمادى الأولى سنة (٨٨٦هـ) [١]

ـــ أم أيمـــن ابنـــة الحـــافظ أبـــي الفـــتح محمد بـــن محمد بـــن محمد بـــن ســـيد النـــاس اليعمـــري المصـــري. ســـمعت صـــحيح البخـــاري وحـــدثت بثلاثياتـــه فســـمعها الحـــافظ زيـــن الـــدين العراقـــي ونـــور الـــدين الهيثمـــي توفيـــت فـــي يـــوم الســـبت الرابـــع والعشـــرين مـــن شـــهر ربيـــع الأول ســـنة (٧٥٥هـــ) بمنزلها بالجيزة من مصر [٢]

ـــ آمنـــة بنـــت محمد بـــن أحمـــد بـــن عبـــد الله بـــن عيســـى ، تعـــرف بـــأم أحمـــد البعلبكية، ولدت سنة (٦٣٧هـ) توفيت في آخر سنة (٧٢٥هـ) [٣]

ـــ آمنـــة بنـــت محمد بـــن الحســـن بـــن طـــاهر القرشـــية تكنـــى أم محمد، المعـــروف والـــدها بـــأبي البركـــات بـــن القـــران ســـمعت جـــدها لأمهـــا القاضـــي أبـــا المفضـــل يحيـــى بـــن علـــي القرشـــي ،ســـمع منهـــا ولـــدها وغيـــره وحجـــت بعـــد ذلك مرتين ووقفت رباطا لسكنى الفقراء من النساء[٤] .

ـــ أمـــة الحـــق بنـــت المحـــدث أبـــي علـــي الحســـن بـــن محمد بـــن أبـــي الفـــرج البكـــري لقبهـــا الـــذهبي بالشـــيخة المســـندة معمـــرة منفـــردة ، ولـــدت بمصـــر سنة (٥٩٨هـ) روت عن جدها وجد أبيها وتفردت بأجزاء عالية

---

(١) المصدر نفسه،ج١٢، ص١٤٦.

(٢)الفاسي، ذيل التقييد،ج٢، ص٣٥٩.

(٣) الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ،ج ١، ص ١٨٨ .

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٩،ص٤٥.

روى عنها عدد من العلماء،وحدثت بدمشق ومصر وشيزر وتوفيت بشيزر في أواخر رمضان سنة (٦٨٥هـ) [١]

ـــ أمة الرحيم بنت الشيخ الفقيه محمد بن أحمد اليونيني سمعت مسند النساء من مسند أحمد على والدها، وكانت موصوفة بالعقل والدين، قليلة المثل في النساء توفيت سنة (٧٢٩هـ) [٢]

ـــ بدرة بنت الإمام فخر الدين محمد بن أبي القاسم بن تيمية من المحدثات سمع منها مشاهير العلماء توفيت سنة (٦٥٢هـ) [٣]

ـــ تتر بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي تكنى أم محمد الدمشقية سمعت عدد من العلماء بلغت من العلم انها أجازت شهاب الدين ابن حجر وأبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي. ماتت سنة (٨٠٣هـ) بدمشق [٤]

ـــ حبيبة بنت عبد الرحمن بن الإمام جمال الدين أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الشيخة الصالحة المسندة تكنى بأم عبد الرحمن حضرت حضرت عند علماء عصرنا وأجاز لها سبط السلفي ومن بغداد إبراهيم بن أبي بكر الرعبي وأجازت للصفدي في سنة (٧٢٨هـ) توفيت (٧٣٥هـ) [٥]

---

(١) تاريخ الإسلام ،ج٥١، ص٢١٩ .

(٢) الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ،ج ١،ص ١٨٩ .

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج٤٨،ص١٢٠ .

(٤) الفاسي، ذيل التقييد،ج٢، ص٣٦٠.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١،ص٢٣٣ .

ـــ حَرمة بنت تمام بن إسماعيل بن تمام تعرف بأم محمد السلمية الدمشقية امرأة صالحة عابدة ذات أوراد وخير ولدت في حدود سنة (٦٠٠هـ) وعمرت دهراً سمع منها جماعة من العلماء [١]

ـــ خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شادي بدارها وتعرف بدار كافور وكانت رئيسة محترمة توفيت يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان سنة (٧٢٣هـ) ودفنت بتربة ام الصالح رحمهما الله [٢]

- خديجة بنت الزين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة تكنى بأم احمد شيخة صالحة عابدة خيرة سمعت من مجموعة من العلماء وروت بالإجازة توفيت سنة (٦٨٥هـ) [٣]

ـــ خديجة بنت عثمان بن محمد بن أبي بكر التوزري تعرف بأم الرمال سمعت بقراءة أبيها وابن العجمي سنن ابن ماجه ووجد نسخة من سنن ابن ماجه بسماعها على يوسف الجميزي لجميع سنن ابن ماجه ولبعضها على جماعة من أصحاب ابن باقا وكانت كاتبة جيدة الخط تكتب الاجازات، توفيت في ربيع الآخر سنة (٧٣٤هـ) بالقاهرة [٤]

ـــ خديجة بنت يوسف بن غنيمة بن حسين البغدادي محدثة سمعت من مجموعة من العلماء ماتت سنة (٧٩٩هـ) [١]

([١]) الذهبي ،تاريخ الإسلام ، ج٥٢، ص١١٦ .

([٢]) ابن كثير ،البداية والنهاية، ج١٤، ص١٠٨ .

([٣])الذهبي، تاريخ الإسلام ،ج٥١، ص٢١٥ .

([٤]) الفاسي ، ذيل التقييد،ج٢، ص٣٦٤.

([١]) المصدر نفسه ،ج٢،ص٣٦٤.

ـــ زينب بنت أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المقدسية محدثة سمعت صالحة روت عن عدد من العلماء ماتت في محرم سنة (٧٠٢هـ) [١]

ـــ زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية كانت امرأة صالحة تعرف بمسندة الشام لكثرة من روى عنها روت عن جماعة سماعاً وإجازة وتكاثروا عليها وتفردت وروت كتباً كباراً توفيت سنة (٧٤١هـ) [٢]

ـــ زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحية تعرف ببنت الواسطي الزاهدة العابدة توفيت في المحرم سنة (٦٩٥هـ) وقد قاربت التسعين [٣]

ـــ زينب بنت عمر بن كندي بن سعد بن علي أم محمد الدمشقية الكندية نزيلة بعلبك، شيخة صالحة جليلة كثيرة المعروف، حجت وبنت رباطا ووقفت على البر. روت الكثير توفيت في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة (٦٩٩هـ) [٤]

ـــ زينب بنت مظفر بن أحمد الأدمي ولدت سنة (٦٣٦هـ) وكانت تكتب، وقابلت صحيح البخاري مع زوجها، سمعت من عدد من العلماء وتوفيت سنة(٧٧٩هـ) [١]

([١]) الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ،ج ١، ص ٢٥٤.

([٢]) اليافعي، مرآة الجنان ،ج٤،ص٣٠٥

([٣]) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥،ص٤٣٠

([٤])الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ،ج ١،ص ٢٥٤

([١])الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ،ج ١،ص ٢٥٧

ـــ ســـت العجـــم ، فاطمـــة بنـــت ســـهل بـــن بشـــر بـــن احمـــد الاســـفرايني المعروفـــة بالعالمـــة الصـــغيرة ، يقـــول ابـــن عســـاكر وهـــو مـــن عاصـــر المـــدة التـــي جـــاءت بعـــد الحـــروب الصـــليبية عنهـــا : " **كانـــت تَعِـــظ النســـاء في بعض المساجد وفي الاعزية** " [1] .

وهـــذا يـــدل علـــى ان صـــفة الـــوعظ قـــد انتشـــرت بعـــد الحـــروب الصـــليبية ومـــا احدثتـــه تلـــك الحـــروب مـــن اخـــلاق غيـــر مرغـــوب بهـــا فـــي المجتمـــع العربـــي ؛ ومـــا لفـــت انتباهنـــا هـــو ان الـــوعظ لـــم يكـــن فـــي امـــاكن فـــي المســـاجد فحســـب بـــل حتـــى فـــي مجـــالس العـــزاء وهـــذا الامـــر يعطينـــا صوره مهمه عن الاثر الثقافي الذي خلفته المرأة العربية آنذاك .

([1]) تاريخ مدينة دمشق ، ج٧٠ ، ص ٢٥ .

الخاتمة :

بعد ان انهينا دراستنا هذه توصلنا الى عدة نتائج وتوصيات للباحثين يمكن ان نجملها بالاتي :

١: أُستغلت المرأة الصليبية لغرض ايجاد مصاهرات زواج كان هدفها الاساس التوسع في الاراضي العربية والاوربية وقد شهدت الدراسة كما مر بنا نماذج من تلك المصاهرات لعب فيها تواجد المرأة اثرا واضحا في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة الشام بصورة عامة .

٢: ان تعديل قانون الوراثه الاوربي الذي سمح للمرأة الصليبية بتقلد الحكم سواء بوصاية ام حكم مباشر ، جعل منها تتطلع بصورة كبيرة للسيطرة على الحكم ؛ وقد شهدت الدراسة تطلع المرأة الصليبية لحكم البلاد العربية وامتداد نفوذها ولاسيما في حكم بيت المقدس كملكة تارة واميرة تارة اخرى ؛ وقد وصلت هيمنتها الى استعمالها للقوة العسكرية كحل بديل للسيطره على المناطق التي ترغب بالسيطر عليها .

٣: ان الدور العسكري الذي لعبته المرأة الافرنجية كان محل اعتزاز عند المؤرخين الاوربيين ولاسيما المعاصرين منهم ، الا انه من الغريب لم نجد اشارات واضحة تبين لنا الاثر العلمي او الاجتماعي للمرأة الصليبية ابان الحروب الصليبية الامر الذي دعانا ان نأتي بشواهد لنساء مسلمات كان لهن الاثر الكبير في الحركة العلمية بصفة خاصة ، والثقافية بصفة عامة ، فقد شهدت بلاد الشام انذاك نبوغ عالمات مسلمات شكلت سيرتهن اركان مهمه لاثر المرأة ابان الحروب الصليبية وبعدها .

٤ : توصلت الدراسة الى ان علماء الشام كان لهم دور مهم في توعية المجتمع العربي بعد مدة الاحتلال الصليبي للارض العربية ، تمثل ذلك الدور بعقد مجالس الوعظ والارشاد الديني .

٥ : اظهـرت الدراسـة ان المـرأة الصـليبية لعبـت دورا مميـزا فـي انحطـاط المجتمـع الاوربـي والعربـي ابـان الحـروب الصـليبية ، وقـد اتـت الدراسـة بنمـاذج مـن الانحـلال اللااخلاقـي الـذي شـهدته المنطقـة ومـن الغريـب ان المصـادر التاريخيـة ولاسـيما الاوربيـة منهـا بـررت اعمـال تلـك النسـاء بتبريـر لـم يـنهض امام النقد التاريخي .

٦ : كشـفت الدراسـة بوضـوح عـن سـكوت المصـادر الغربيـة عـن - ولاسـيما المعاصـرة لاحـداث الحـروب الصـليبية – الانتهاكـات التـي تعرضـت لهـا الارض العربيـة ابـان تلـك الحـروب والتـي شـملت العبـاد والـبلاد وكـان للمـرأة العربية نصيبا من تلك الانتهاكات .

٧ : اظهـرت الدراسـة ان الهـدف او الوجهـة الاساسـية لبـدايات الحـروب الصليبية ذو نزعة دينية الا انها انحرفت من مسارها ، لاسباب استعمارية .

الباحثة

المصادر والمراجع

اولا : المصادر العربية

- القران الكريم

- ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت : ٦٣٠ هـ /١٢٣٣م)

١- الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١(لبنان : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .

- البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت : ٤٥٨ هـ /١٠٦٦م):

٢- السنن الكبرى ، دار الفكر (بيروت :١٩٧١) .

- الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت : ٢٧٩ هـ /٨٩٢م) :

٣- السنن المعروف(الجامع الصحيح) ، دار الفكر للطباعة (بيروت : ١٤٠٣ هـ) .

- ابن تغري بردي ، ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت : ٨٧٤ هـ /١٤٧٠م) :

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب والوثائق (القاهرة : ١٩٧٢ م) .

- ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت : ٨٧٤هـ /١٤٧٠) :

٥- رحلة ابن جبير ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني (بيروت : ٢٠٠٣ م) .

- ابـن حجـر ، شـهاب الـدين ابـي الفضـل احمـد بـن علـي العسـقلاني (ت : ٨٥٢ هـ /١٤٤٩م) :
٦- تهذيب التهذيب ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٤م) .
٧- الـدرر الكامنـة فـي أعيـان المائـة الثامنـة ، تحقيـق : محمد سـيد جـاد الحـق ، ط٢ ، دار الكتب الحديثة (القاهرة: ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)
٨- لسان الميزان ، مطبعة الاعلمي (بيروت : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م) .
٩- نزهـة الألبـاب فـي الألقـاب ، تحقيـق عبـد العزيـز بـن محمد بـن صـالح السديري ، مكتبة الرشد (الرياض : بدون تاريخ) .
- ابـن حـزم الاندلسـي ، ابـو محمد علـي بـن احمـد بـن سـعيد (ت : ٤٥٦ هـ /١٠٦٤م) :
١٠- المحلـى ، تحقيـق احمـد محمد شـاكر ، دار الفكـر(بيـروت: بـدون تاريخ)
- الحنبلي ، أبو الفلاح بن عبد الحي بن العماد ت (١٠٨٩هـ /١٦٧٨م):
١١- شـذرات الـذهب فـي أخبـار مـن ذهـب ، دار إحيـاء التـراث العربـي (بيروت ، د .ت) .
- الحنبلي ، ابو اليمن القاضي مجير الدين (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م):
١٢- الأنـس الجليـل بتـاريخ القـدس والخليـل ، المطبعـة الحيدريـة (النجف الاشرف : ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) .
- الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت : ٤٦٣ هـ /١٠٧١م) :
١٣- تـاريخ بغـداد ، ط١، دار الكتـب العلميـة(بيـروت: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م) .
- ابـن خلكـان ، شـمس الـدين احمـد بـن محمد بـن ابـراهيم (ت : ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

١٤- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار (بيروت : بدون تاريخ) .
- الدارمي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت : ٢٥٥هـ /٨٩٤م) :
١٥- السنن ،ط١، مطبعة الاعتماد (دمشق : بدون تاريخ) .
- ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت : ٢٧٥ هـ /٨٨٨م) :
١٦- السنن ، ط١، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر (بيروت : ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م) .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ /١٣٤٨م) :
١٧- تاريخ الاسلام ، ط٢ ، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م) .
١٨- سير اعلام النبلاء ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م) .
١٩- معجم الشيوخ الكبير ، ط١ ، مكتبة الصديق للنشر (الطائف : ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م) .
- الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م):
٢٠- راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة : ٢٠٠٥ م) .
- ابن رجب الحنبلي ، ابو الفرج احمد بن عبد الرحمن بن رجب البغدادي (ت : ٧٩٥ هـ /١٣٩٣م) .
٢١- ذيل طبقات الحنابله ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية (مصر : ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م)

- السخاوي ، ابو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر (ت : ٩٠٢ هـ /١٤٩٧م) :

٢٢- الضوء اللامع في لاهل القرن التاسع ، (القاهرة : ١٩٣٤ م)

- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت : ٢٣٠ هـ /٨٤٥م) :

٢٣- الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت : بدون تاريخ) .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

٢٤- حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة : ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .

- ابو شامة ، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت : ٦٦٥ هـ /١٢٦٧م) :

٢٥- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل كتاب الروضتين ، دار الجيل (بيروت : ١٩٧٤ م) .

٢٦- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٧ م) .

- الصفدي ، صلاح الدين ابو الصفاء خليل بن ايبك (ت : ٧٦٤ هـ /١٣٦٣م) :

٢٧- الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الارنأووط ، دار احياء التراث (بيروت : ٢٠٠٠ م) .

- ابن العديم ، كمال الدين ابي القاسم محمد بن عمر (ت:٦٦٠ هـ /١٢٦٢م) :

٢٨- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م) .

- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت : ٥٧١ هـ/١١٧٦م) :
٢٩- تاريخ مدينة دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- عماد الدين الاصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (ت : ٥٩٧ هـ/١٢٠١م) :
٣٠- تاريخ دولة ال سلجوق مطبعة العربية مطبعة الموسوعات (مصر :١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) .
- الفاسي ، ابو الطيب محمد بن احمد بن علي المكي (ت : ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م) :
٣١- ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد ، تحقيق كمال الحوت ، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ابن القلانسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت:٥٩٧ هـ/١٢٠١م):
٣٢- حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس المسمى بالفتح القسي في الفتح القدسي ، ط١، دار المنار (مصر : ٢٠٠٤م) .
- ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة بن اسد التميمي (ت : ٥٥٥ هـ/١١٦٠م) :
٣٣- ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت : ١٩٠٨ م) .
- ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل (ت : ٧٧٤ هـ /١٣٧٣م) :
٣٤- البداية والنهاية ، دار احياء التراث (بيروت : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) .

- ابـن مـاكولا ، ابـو نصـر علـي بـن هبـة الله بـن علـي (ت : ٤٧٥ هـ /١٠٨٢م) :
٣٥- الاكمـال فـي رفـع الارتيـاب عـن المؤتلـف والمختلـف مـن الاسـماء والكنى والالقاب ، دار الكتاب الاسلامي (القاهرة : بلا تاريخ) .
- المزي ، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت : ٧٤٢ هـ/١٣٤١م) :
٣٦- تهذيب الكمال ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٢ م) .
- المقريـزي ، تقـي الـدين احمـد بـن علـي بـن عبـد القـادر (ت : ٨٤٥ هـ /١٤٤٢م) :
٣٧- المـواعظ والاعتبـار بـذكر الخطـط والاثـار ، دار الكتـب العلميـة (بيروت : ١٩٩٧ م)
- ابـن منقـد ،مؤيـد الدولـة أبـو المظفـر أسـامة بـن مرشـد بـن علـي الكنـاني الشيزري (ت: ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) :
٣٨- الاعتبـار، تحقيـق الـدكتور عبـد الكـريم الاشـتر ، ط٢ ، مطبعـة المكتب الاسلامي (بيروت : ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- ابـن النجـار ، محـب الـدين ابـو عبـد الله محمد بـن محمـود (ت : ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م) :
٣٩- ذيـل تـاريخ بغـداد ، دراسـة وتحقيـق مصـطفى عبـد القـادر عطـا ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .
- النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ/١٥٢١م):
٤٠- الـدارس فـي تـاريخ المـدارس ، ط١، دار الكتـب العلميـة (بيـروت : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- اليـافعي ، ابـو محمد عبـد الله بـن اسـعد بـن علـي (ت : ٧٦٨ هـ/١٣٦٧م) :

٤١- مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت : ٦٥٦ هـ/١٢٢٩م) :
٤٢- معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت : ١٩٧٩م).
- أبو الفداء ،إسماعيل بن علي بن محمود ،(ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م):
٤٣- المختصر في اخبار البشر ،جزان ،علق عليه ووضع حواشيه :محمود ديوب ،ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤١٧هـ/١٩٩٧ .

ثانيا : **المصادر المعربة** .

- مجهول :
١. الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية العامة للكتب (القاهرة : ٢٠٠٠م) .
- متى الرهاوي :
٢. تاريخ متى الرهاوي ، الافرنج (الصليبيون) ،المسلمون ، الارمن ، ترجمة : محمود محمد الرويضي ، عبد الرحيم مصطفى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية (الاردن : ٢٠٠٩ م) .
- فوشيه الشارتري :
٣. تاريخ الحملة الى القدس (١٠٩٥-١١٢٧) م ، ترجمه الى العربية : د.زياد جميل العسلي ، دار الشروق (عمان : بلا تاريخ)
- وليم الصوري :
٤. تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، الهيأة المصرية للكتاب (مصر : ١٩٩٢ م) .

ثالثا : **المراجع الاجنبية** .

- Bornstein، Diane. The Lady in the Tower: Medieval coutesy -Literature for Women. Hamden، Connecticut; Archon Books، ١٩٨٣.

، New York، History of Education Women's،-Reformation ١٩٧٩.

-Rosemary، horrox and Mark ramrod، A social history of england ١٢٠٠-١٥٠٠،camberidge university press ٢٠٠٦-p.

London: ،-Wilkinson. Jerusalem Pilrims before the Crusade

The Education of Women in the ،١٩٧٧ - Lowell Green

رابعا : **المراجع العربية والمعربة** .

- البرت فون آخن :

١- تاريخ الحملة الصليبية الاولى ، ورد هذا الكتاب جزء من الموسوعة الشامية الشاملة للحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠٧) .

٢- انتهاوزن ،ريتشارد :

٣- فن التصوير عند العرب ،ترجمة :عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ،بغداد ،١٩٧٤م.

- بدوي ، احمد احمد :

٤- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة : بدون تاريخ) .

- برروار ، يوشع :

٥- عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (مصر : ١٩٩٩م) .

- ج.كرامب و أ.جاكوب :

٦- تراث العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الواحد حمدي ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة : ١٩٦٧ م) .

- الجنزوري ، علية عبد السميع :

٧- إمارة الرها الصليبية ، مطبع الهيئة المصرية للكتب(مصر: ٢٠٠١ م)

- حسين ، حسن عبد الوهاب :

٨- مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية (مصر : ١٩٩٧م) .

٩- الحويري ،محمود محمد :

١٠- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث من الميلاد ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦١م.

- ديورانت ، ول وايريل :

١١- قصة الحضارة ،ترجمة محمد بدران (بيروت : بدون تاريخ)

- رنسيمان ، ا . ستيفن :

١٢- تاريخ الحملات الصليبية ، ترجمة نور الدين خليل ، الهيئة المصرية للكتاب (مصر : ١٩٩٤ م) .

١٣- تاريخ الحروب الصليبية ،ج٥،ترجمة :السيد الباز العريني ،ط١،دار الثقافة ،بيروت ،١٩٩٦م.

- زابوروف ،ميخائيل :
١٤- الصليبيون في الشرق ،ترجمة :الياس شاهين ،د،ط ،دار التقدم ،موسكو،١٩٨٦م.
- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد :
١٥- الاعلام . قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،مطبعة دار العلم للملايين (بيروت :١٩٨٠ م) .
- زكار ، الدكتور سهيل :
١٦- مدخل الى دراسة الحروب الصليبية ، وردت كجزء من الموسوعة الشامية ، دار الفكر (دمشق : ١٩٩٥ م) .
- الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن :
١٧- الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط١، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والأجتماعية (القاهرة : ١٩٩٩م) .
- عاشور ، سعيد عبد الفتاح :
١٨- اوربا في العصور الوسطى (النظم والحضارة) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، بدون تاريخ) .
١٩- الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو مصرية للطباعة والنشر (مصر : ٢٠١٠م) .
- العقيقي ، نجيب :
٢٠- المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ، ط٤، دار المعارف (القاهرة : ١٩٨٠م) .
- علي ،محمد كرد :

٢١- خطط الشام ،(بيروت ،١٩٧١ م).

٢٢- الإســـلام والحضـــارة العربيـــة ،د ،ط ،دار الكتـــب المصـــرية ،١٩٣٤م.

- عمران ، محمد سعيد :

٢٣- حضـارة اوربـا فـي العصـور الوسـطى ، دار المعرفـة الجامعيـة (مصر ، ١٩٩٨ م) .

- غنيم ، اسمت :

٢٤- دراسـات فـي تـاريخ اوربـا فـي العصـور الوسـطى ، دار المعـارف (القاهرة : ١٩٩٨م) .

- الفغالي ، الخوري بولس :

٢٥- المحـيط الجـامع فـي الكتـاب المقـدس والشـرق القـديم ، المكتبـة البولسية (بيروت : ٢٠٠٩ م) .

- قاسم عبده قاسم :

٢٦- الحملـة الصـليبية الاولـى نصـوص ووثـائق تاريخيـة ، دار عـين (القاهرة : ٢٠١٠م) .

- ماير ، هانز ابراهارد :

٢٧- تـاريخ الحـروب الصـليبية ، ترجمـة عمـاد الـدين غـانم ، مطبعـة طرابلس (ليبيا : ١٩٩١) .

- متي باريس :

٢٨- التـــاريخ الكبيـــر ، ورد ضـــمن الموســـوعة الشـــامية الشـــاملة للحـروب الصـليبية ، ترجمـة الـدكتور سـهيل زكـار ، دار الفكـر (دمشـق : ٢٠٠١) .

- محمد سهيل :

٢٩- تاريخ الحروب الصليبية ، دار النفائس (بيروت : ٢٠١١ م).

- محمد علي :

٣٠- مشكلات الوراثة في بيت المقدس ، ط١، دار النهضة العربية (مصر : ١٤٠٥ هـ /١٩٨٤ م) .

- محمود ، هنادي السيد :

٣١- مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الاول ، ط١، دار العالم العربي (القاهرة : ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م) .

- مظهر ،جلال :

٣٢- حضارة الإسلام واثرها في الترقي العلمي ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،١٩٨٦م.

- هوارت ستيفن :

٣٣- فرسان الهيكل ، المركز القومي للترجمة (القاهرة : بدون تاريخ)

- هوليستر ، سي وارن :

٣٤- هنري الاول ، مطبعة جامعة ييل (لندن : ٢٠٠٣ م) .

- هونكة ،زغريد :

٣٥- شمس العرب تسطع على الغرب ،ترجمة :فاروق بيضون وكمال دسوقي ،مراجعة :مارون عيسى الخوري ،ط٤،بيروت :دار الافاق الجديدة ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- ويندوفر ، روجر اوف :

٣٦- ورود التاريخ ، ورد ضمن موسوعة الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق : ٢٠٠١ م) .

خامسا : **الدوريات** .

- جلال سلامه :

١. دور النساء الاوربيات في الحملة الصليبية الاولى مجلة جامعة النجاح المجلد ٢٨ العدد ١٢ لعام ٢٠١٤ م

- حمودي ، امام محمد الشافعي ، سيد ، اشرف صالح محمد :

٢. تدنيس المقدس في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals، العدد الاول .

- الزنكي ، جمال الدين :

٣. تطلع المرأة الصليبية للسلطة وصراع القوى في المرحلة المبكرة ٥٢٤-٥٥٦ ، مجلة حوليات الاداب والعلوم (الكويت :١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) الحولية ٢٩ .

- الزيدي ، مصعب حماد نجم :

٤. صقلية ودورها في الحروب الصليبية ، مجلة التربية والعلم – جامعة الموصل (٢٠١٣ م) .

سادسا : **رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه** .

- الاغا ، حسام حلمي يوسف :

١- الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاسلامية – غزة ، ٢٠٠٧ م .

- نيفين ظافر حسيب الكردي :

٢- الاوضـــاع الدينيـــة والسياســـية والاقتصـــادية والاجتماعيـــة فـــي الغـــرب الاوربـــي مـــن القـــرن التاســـع حتـــى القـــرن الحـــادي عشـــر المـــيلادي ، رســـالة ماجستير غير منشوره ، كلية الاداب (جامعة غزة : ٢٠١١م) .

سابعا : **الموسوعات الاجنبية** .

- Britannica.com/biography/Raymond

-The Columbia Encyclopedia، Sixth Edition. ٢٠٠١ Baldwin I، Latin king of Jerusalem.

- Wikiarav.com/wikiMelisende_afJerusalem

ummary

Muslim sources have witnessed a clear interest in mentioning the history of women from the beginning of Islam to the present day and in all fields (political, social, scientific, cultural and religious), so we find clearly when reviewing Islamic sources of their diversity, translations of women from different specialties, we find the nurse, we find the poet, we find the queen, we find the princess and we find the roles of women In all fields. In addition to the foregoing, women played an important role throughout the ages, starting from the Rashidi era until the end of the Abbasid era. Men participated in various sciences, and the authors of Islamic sources recorded this. Women witnessed a distinguished literary activity in various Islamic cities, including the Levant. A distinguished presence in the literary and scientific councils, the narration of the Prophet's hadith, and the preaching and guidance councils. The scientific movement witnessed the emergence of women who were disciples of famous scholars, and the wars that witnessed women were

ravaged by the Islamic cities, especially the Levant, which went through a great war represented by the Crusader invasion of the Arab land, which later became known as wars The Crusades, those wars destroyed the country and people, and not only Arab or Muslim women were affected by those wars, but even European women. What prompted us to dive into this study is the history recorded by European sources about women and their activism, which centered on two aspects: the first aspect is the activity of princesses and rulers women and the other The second is the activity of women from the general class, and whatever the matter is, we have just begun to find out about the behavior of the Crusader women during the Crusades. The "behavior of the Frankish woman during the Crusades" and what prompted us to study the subject was that we did not find a study that specialized in European women and traced their activities in a detailed and analytical manner. Especially in European society, and how she worked for the purpose of her strength day and night. The first chapter came under the title: “The Political Impact of Women during the Crusades,” which in turn was divided into four sections: the first dealt with the effect of intermarriages in the political role of women, and the second topic dealt with the feudal system and its relationship to the role of women The political, and the third topic came to treat the impact of women in the Kingdom of Jerusalem, and all the aforementioned investigations talked about the impact of European women, except for the fourth topic, which came to show the impact of Muslim women at the time of the Frankish-Islamic conflict, for the purpose of comparison and standing on the difference between the two effects. As for the second chapter, it was under the title “The Military Mobility of the Crusader Woman” and it was divided into five sections. The saying and we touched on the role of contemporary sources of the event and what they said about the impact of women and

their participation, as well as our use of some modern references that spoke about the impact of women and how they evaluated their participation. The second topic came to present the impact of Queen Iceland and her military movement, while the third topic was devoted to the role of Princess Alice in the military movement, while the fourth topic came to show the role of Princess Constance in military events, while the fifth topic touched on the participation of the general Crusaders women in military events.

The third chapter constituted an important basic building block of this study, as it touched upon the impact of the Crusaders woman on the social aspect, as it included showing the social behaviors of the Frankish women during the Crusades. The second topic came to show the social effects of the Crusades on the Crusaders women, while the fourth and final chapter was devoted to highlighting the cultural impact of women and their influence on Arab society, and it took place in six sections, the first: dealing with women's share of education in the Middle Ages, and the second under the title The impact of scholars on urging People and keeping them away from vice, and the third came under the title: The influence of the Crusader woman on the cultures of the Arab society, as this topic reflected how the Frankish woman was affected by the cultures of the Arab Islamic society in terms of food, drink, and so on.

Karbala University

College of Education for Human Sciences

Department of History

The Frankish woman and her role in political, military and social life during the Crusades

(٤٩٠-٦٩١ AH/١٠٩٦-١٢٩١ AD)

Thesis submitted by the student

Layla Salman Madhi Al Ameri

To the Council of the College of Education for Human Sciences, which is part of obtaining a doctorate in Islamic history

Supervisor

Assistant Professor Dr. Salwa Hassan Idan